

التاريخ الأدبي لبلاد المغرب

من أقدم العصور إلى اليوم



المجلد التاسع
عند العكاويين

1

تأليف

د. الهادي بن القاسم

عضو أكاديمية الفنون والعلوم المغربية



اهداءات متنوعة

DIFFERENT GIFTS

التاريخ الأدبي وما سيء المغرب

من أقدم العصور إلى اليوم

٠٠١٠٦



المجلد التاسع
عند العلويين

1

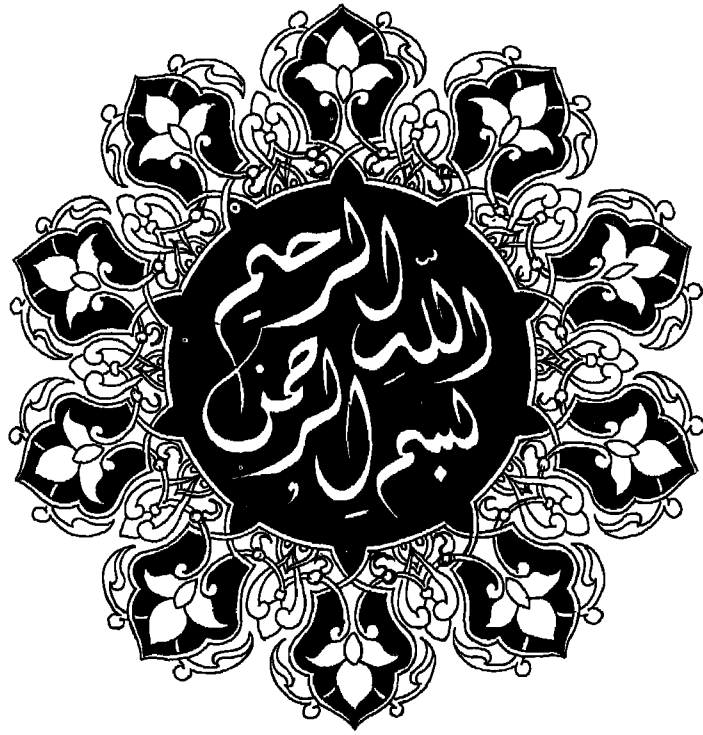
تأليف

عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية الفلكنة المغربية

1988 - 1408

يمثل الرسمُ الموجودُ على الغلاف القائد محمد بن عبد الملك سفير الملك محمد الثالث لدى أمبراطور النمسا جوزيف الثاني وهو مأخوذ عن اللوحة الأصلية التي وضعها الرسّام النمساوي الشهير بلوحاته الجميلة لوشينكول (Loschenkohl) على ما وقفت عليه في متحف الدولة بفيينا (Museum der Stadt) انظر صفحة 222 من هذا المجلد....



عَظِيمَةُ الْيَسَاقِ

وَإِنِ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ
إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم يَسَاقِ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ
مُتَوَدِّعُ الْأَنْفَالِ - الْآيَةُ 72

ملاحم التاريخ الدبلوماسي للمغرب

مع ظهور الدولة العلوية وجدت نفسي أمام رصيد ضخم يتصل بعلاقات المملكة المغربية مع غيرها من الأمم، إن كل دوله في العالم تتوفر على "مناحف" تعتمد مادتها على الوثائق المغربية على عهد الدولة العلوية الشريفة، فيها الخطابات، وفيها الإقتضيات وفيها التقارير والمذكرات، وفيها الرسوم والصور والخرائط، ومن هنا كنت مطالباً بالتفكير في الاختصار، وحينئذ وقعت أمام حيرة المقيار الذي أجعله أساساً للاختصار.. لقد كنت أشعر وأنا أستقي عن خصوص هذه المعاهدة أو تلك، أو تنازل عن هذا التقرير أو ذاك، ولكأنما أترك عن يرا علي عايشته منذ سنين! وقد حرصت - لكي أكون وقياً بالتزاي - على الإقتصار على ما اعتقدت أنه لا غنى عنه في سياق الحديث، وتركت ما سبقني غيري إلى ذكره وقد رت أن المهتمين سيسهل عليهم أن يرجعوا إلى إحالي وإشاراتي مؤملاً أن أتمكن من إصدار "ملاحق" أثبت فيها ما أرى الحاجة ماسة لاستدراكه كما أضنتها ما كنت اضطررت لتأجيله أو اختصاره منذ الصفحات الأولى لهذا التاريخ: (معجم الدبلوماسية المغربية والأجانب - ج 1 ص 198 - ملف الأمثال الدبلوماسية ج 2 ص 304) وخاصة من ذلك المواد التي تتعد العودة إلى مصادرها ومرجعها من تاريخ المرابطين والموحدين ومن أتى بعدهم من بني مرين وبني وطاس والسعديين والعلويين.

علاقات المملكة المغربية بالإمبراطورية العثمانية وببلاد السودان

- محمد الأول وداي الجزائر.
- مناصرة الملوك العلويين للعثمانيين...
- علاقة التوتر بين المغرب وفرنسا بالصلات مع الجيران.
- تردد السفارات بين المغرب وتركيا...
- سفارة اسماعيل أفندي وتقريره عن مهمته.
- استمرار التواصل بعد الملك محمد الثالث...
- استنجد تركيا بالمغرب ضد احتلال نابليون لمصر.
- صلة المغرب مع الإيالات التابعة للعثمانيين...
- علاقات المغرب ببلاد السودان من خلال الرسائل والتقارير ...
- الحدود المغربية الجنوبية حسب رسالة ملكية.

علاقات المملكة المغربية بالإمبراطورية العثمانية على عهد العلويين القسم الأول

لقد كان المغرب في مطلع الدولة العلوية سعة مغارب ! فيألى جانب بقايا السعديين الذين كانوا يتشبهون ببعض الأطراف، نجد الدلائيين يستولون على فاس ونواحيها، بينما كان كروم الحاج يحكم مراكش وجهاتها، وكان أبو حسون صاحب إيليغ يستبد بالسوس، وكان المقدم الخضير غيلان ببلاد الهبط : والرئيس أعراس، يستأثر بنواحي الريف في حين ينساب النفوذ التركي في أطراف الجهات الشرقية للمغرب، هذا إلى احتلال بعض الثغور المغربية سواء من طرف الإسبان أو البرتغال على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

وبين هذا وذاك نجد سمعة المغرب الخارجية في انهيار متلاحق، فإن الحالة الداخلية كانت تعكس آثارها على هيبة الدولة، وهكذا اشترأت أعناق بعض الدول إلى نيل نصيبها من هذا المغرب الذي كان بالأمس ما كان.. أصبحت كل دولة أجنبية تمد يدها إلى زعيم تزوده بآلات الدمار مبتغية وراء ذلك الحصول منه على امتياز!!

☆ ☆ ☆

ولقد كان أول اتصال بالعالم الخارجي للدولة العلوية - فيما نعلم - هو الذي تم بين الملك سيدي محمد بن الشريف (محمد الأول) وبين ممثل الباب العالي في الجزائر؛ وذلك قبل أن يتصل بشرافة مكة على ما سنرى...

هذه نسبت مولاي سليمان بن مسدي محمد سلطان المغرب				
مولاي سليمان	ابن مولاي محمد	ابن مولاي عبد الله	ابن مولاي سماعيل	ابن مولاي الشريف
ابن مولاي علي	ابن مولاي محمد	ابن مولاي علي	ابن مولاي يوسف	ابن مولاي علي
ابن مولاي الحسن	ابن مولاي محمد	ابن مولاي الحسن	ابن مولاي القاسم	ابن مولاي محمد
ابن مولاي ابي القاسم	ابن مولاي محمد	ابن مولاي الحسن	ابن مولاي عبد الله	ابن مولاي محمد
ابن مولاي عرفات	ابن مولاي الحسن	ابن مولاي ابي بكر	ابن مولاي الحسن	ابن مولاي احمد
ابن مولاي اسماعيل	ابن مولاي القاسم	ابن مولاي محمد	ابن مولاي عبد الله الكامل	ابن مولاي محسن المثنى
ابن سيدنا الحسن السبط	ابن سيدنا علي بن ابي طالب	ابن سيدنا فاطمة الزهري	ابن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً	
نسب حسب العلامة الجلاء		قلادتها نجومها الجوزاء		

النسب العلوي من إملاء السلطان مولاي سليمان

وهكذا فعلى إثر الحركة التي قام بها مولاي محمد بن الشريف نحو المغرب الشرقي من أجل استخلاصه من حكم الترك وإرجاعه لحظيرة العرب، في إثر ذلك بعث أحمد باشا بتاريخ منتصف رجب 1064 = 1654 بسفارة إلى مولاي محمد تحمل رسالة من إملاء الكاتب المحجوب الحضري وبإمضاء الباشا وقد

كانت السفارة تتألف من اثنين من علماء الجزائر هما الفقيه عبد الله بن عبد الغفار النفزي والحاج محمد بن عبد العالي الحضري المزغناوي واثنين من رجال الديوان الأتراك... (1)

وقد كان مما تضمنته الرسالة إلى «حفيد مولانا علي وسيدتنا البتول، وولد مولانا الشريف بن مولانا علي».

وبعد فقد كاتبناكم من مغنى غنيمة المقيم والظاعن والزائر، رباط الجريد مدينة ثغر الجزائر... وذلك أن الوهاب سبحانه منحكم همة وهيبة الجود والحلم والسماحة واختار لكم عنوان عنايتها في غاب الصون سجماسة، لكن فاتكم سرّ الرأي والتدبير... فخرقت على الإيالة العثمانية جلاباب صونها الجديد...

وقد كان الداوي أحمد باشا يعتقد أن تهديداته ستنال من العاهل الشاب بيد أن سيدي محمد عاتب السفراء مرّ العتاب... وأمام اعتذارهم له بأنهم مجرد رسل إليه، أمر بتحرير جواب كان درساً في المقابلة بالمثل، بل إنه في رسالته أثار بعض القضايا التي تكشف عن وجهات نظر المولى محمد إزاء عدد من الأحداث التي عرفتها الساحة المغربية، وبخاصة مؤاخذته للمنصور السعدي عن تعاميه عن أترك الجزائر، وبدايته بالحملة على مملكة (كاغو) قبل أن يصفى بلاد العرب من العناصر التركية !!

لقد كان مما ورد في رسالة سيدي محمد بن الشريف - وهي بتاريخ أواخر شعبان 1064 = 15 يولييه 1654 - هذه العبارات: (2)

«... إن آل تلمسان ما أثارهم إلا جوركم في الأموال والبنين ومكابدتهم للضيم على مر السنين... ولئن غرسني الله - كما أشرتم - لهذه الإيالة قاعدةً وأساساً أول، فعلى الله سبحانه الاعتماد والمعول... وما فاتنا من الكرامات يدركها الأخ أو الابن أو الحفيد...!!»

(1) تاريخ الضعيف الرباطي، تحقيق وتعليق وتقديم محمد العماري، نشر دار المآثورات، الرباط 1406 = 1986 ص 23.

Auguste Cour : L'établissement des dynasties des chérifs du Maroc, leur rivalité avec les turcs de la régence d'Alger 1509-1530, paris 1904 p. 171-187.

(2) تاريخ الضعيف ص 25.

وبعد أن يحمل على أطماع القائد التركي يشير إلى المؤامرة التي دبرها الأتراك ضد العاهل المغربي محمد الشيخ والإجهاز عليه...

لقد كانت الرسالة الشريفة من إنشاء أبي عبد الله محمد بن مبدك بن حفيد الحسني وشهادة الفقيه أبي العباس أحمد التجموعتي، والقاضي أبي نعيم رضوان بن عبد الملك...⁽³⁾

وقد بهت أحمد عصمان باشا من صراحة محمد الأول وعزيمته ومن هنا تقرر إعادة السفارة ثانية لتحمل رسالة شفوية من أحمد باشا كلها توصل ورجاء، قالوا له : «نحن جئنا إليك لتعمل معنا شريعة جدك وتقف عند حدك...»

وهذان فقيهان من علماء الجزائر قد جاءا إليك حتى يسمعا منك ما تقوله ويحكم الله بيننا وبينك ورسوله، فقد تعطلت تجارتنا وأجفلت عن وطننا رعيتنا...

وقد كان من نتائج هذه السفارة تخطيط الحد الذي يفصل بين المملكة المغربية والإيالة التركية بوادي (تافنة)، وقد التزم محمد الأول أن لا يتخطى هذا الوادي إلا فيما يرضي الله ورسوله، وكتب العهد بذلك إلى صاحب الجزائر آنذاك.⁽⁴⁾

☆ ☆ ☆

وفي أعقاب وفاة المولى محمد وجلوس أخيه المولى الرشيد على كرسي الحكم وجدنا بعثة تركية لدى المولى الرشيد تطلب إليه أن لا يسمح لجيشه بالتوغل في الأراضي التي توجد تحت نفوذهم على أن يقلعوا بدورهم عن كل محاولة للتوسع، ورغبة من المولى الرشيد في استقرار الأحوال استجاب لمطب الترك،

(3) الرسالة محفوظة ضمن مجموع مخطوط بمكتبة الأمير مولاي عبد الله بالرباط وبقسم المخطوطات من المكتبة العامة تحت رقم 4485. راجع مخطوطة الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب المخطوط بالمكتبة العامة رقم 1275/319 د ص 38 ب 40 تاريخ الضعيف، تحقيق أحمد العماري ص 26 - 27 ابن زيدان : الاتحاف 3، 134.

(4) تاريخ الضعيف ص 17.

وضمن ذلك في كتاب منه إلى الوالي التركي بالجزائر، وكان الكتاب يحتوي على رسم للحدود التي تفصل الأراضي المغربية عن الأيالة التركية وهكذا التزم الطرفان بجعل وادي تافنة حدّاً بين البلدين... (5)

☆ ☆ ☆

وقد تميزت أيام السلطان المولى إسماعيل بطائفةٍ من المناوشات مع جيرانه أتراك الجزائر ظهرت آثارها سواء في الوثائق المغربية أو التركية أو الفرنسية وغيرها كذلك بالرغم من اتفاقٍ منذ بداية أيام مولاي إسماعيل على إقرار ما تم بين أخويه محمد والرشيد وبين أتراك الجزائر من جعل وادي تافنة حدّاً بين البلدين... (6)

وقد ازداد حذر المغرب من الأتراك بتلمسان عندما وصلت الأخبار بأن أتراك الجزائر يمولون تمرد ابن أخيه الأمير أحمد محرز بجنوب المغرب، وتأكد لديه وجود «اتفاق» يهدف إلى كسر شوكة المولى إسماعيل !

ولقد كان العاهل يعتقد أن أمر ابن محرز قد انتهى بعد طرد هذا الأخير من المنطقة سيما بعد عقد هدنة مع أتراك الجزائر إلا أن الأخبار الواردة من سوس سنة 1092 = 1681 أكدت أن أتراك الجزائر الذين فتحوا ضده واجهة في شرق المغرب... كانوا أيضاً وراء تمرد ابن محرز في الجنوب حيث ضببت بعثات متبادلة ومراسلات منتظمة انتهت إلى عقد حلف سري (7) بين أولئك وبين عناصر التمرد. (8)

وهكذا بعث للسلطان محمد الرابع يخبره بصنيع رجاله مذكراً باتفاقية الهدنة المعقودة بين الطرفين...

ويظهر أن جواً من الانفراج أخذ يلوح في الأفق... وهكذا فمن خلال الرسالة الطويلة التي أرسلها محمد بن حدّو سفير السلطان مولاي إسماعيل إلى

(5) الاستقصا، 7 - 60.

(6) الاستقصا 7، 59 - 60. Cour : l'Établissement... 197-200.

(7) الزباني : الروضة السليمانية (مخطوط) صفحة 60 (ب) تاريخ الضيف ص 70 تعليق 721.

(8) الاستقصا 7، 64 - 65 - التازي : قصر البديع بمراكش (بحث قدم للمؤتمر الثامن العربي للآثار المنعقد بمراكش يبرابر 1977).

شارل الثاني بتاريخ 11 شعبان 1094 = 5 غشت 1683 نقرأ أن السلطان العثماني ينصف العاهل المغربي مؤكداً له أن «إدالة الجزائر عند أمره ونهيه»، ومعنى هذا أن العلاقات توطدت بين الباب العالي وبين المغرب أكثر من أي وقت مضى... (9)

وقد اغتنم العاهل المغربي فرصة اعتلاء السلطان سليمان الثاني كرسي الحكم فبعث برسالة حملها إلى القسطنطينية عبد الملك الأيوبي وذلك لرفع التهئة وتجديد العهد الأمر الذي دفع بالسلطان سليمان إلى إرسال سفيره الحاج خليل آغا متمنياً أن يستمر تبادل الرسائل ووصول السفراء، وقد عثرت على نص الجواب في اسطامبول : أرشيف الرئاسة (باش باكنليك أرشيف - Bas Bakanlik Arsivi) مجموعة المراسلات العثمانية (نامه إهمايون⁽¹⁰⁾ - Nama i

- Hümayün).

وقد حررت الرسالة المشار إليها باللغة التركية إلى : فاس حاكمي أولان إسماعيل الحسني... ملكي الفعال ملكي الخصال حارس ثغر الإسلام فارس هيجاء الاقتحام صاحب العز والمجد والسعادة... أدام الله ذاته وأبقاه⁽¹¹⁾

9 (25 p. Trans.. By Hopkins 1576-1774, Letters From Barbary

10) كانت رحلتي الأولى إلى اسطانبول في مايو 1972 تهدف للبحث عن الوثائق المتعلقة بصلاتنا الأولى بالباب العالي منذ 857 = 1453 عندما هنا المغرب تركيا بفتح القسطنطينية، وبخاصة ابتداء من 961 = 1562 عندما حاول الأتراك الاستيلاء على فاس بواسطة حليفهم أبي حسون الوطاسي، وقد وجدت نفسي أمام بحر خضم من الوثائق التي لم ترتب بعد وخاصة منها المتعلقة بالعلاقات مع الدول، وقد تمكنت، مع ذلك، من تصفح المجموعة التي تحمل عنوان مهم (Mühümme) والتي تحمل عنوان (مهمة دفترية) والتي تحمل إرادته (Irade) غير أن حظي من المجموعة الرابعة المعروفة باسم نامه إهمايون Nama i hümayün كان أكثر منه في المجاميع الأولى التي لم أتبين منها إلا قليلاً... وقد اشتملت على وثائق من العهد الاسماعيلي، ونظراً لضيق الوقت وفقد الترجمان كنت أصور جميع ما يحمل اسم (فاس) أملاً في تعريبه... وقد سمحت الفرصة بعد سنتين من هذا التاريخ بالتعرف في الأردن، بمناسبة مؤتمر بلاد الشام، على الدكتور خليل ساحلي أوغلو الذي أشكر اليوم مساعدته الثمينة في إعطاء ملخ لهذه الوثائق... كما لا أنسى العون الذي أسداه لي الأساتذة والمسؤولون في اسطانبول مضيفاً إلى كل هؤلاء أولئك الذين ساعدوني أثناء الزيارات اللاحقة للعاصمة التاريخية التركية...

11) سنأتي على النصوص الكاملة لهذه الرسائل في «الملاحق».

والمجد والتعاده حاكم حطة وسيمه فاس اولان المولى الشريف اسمعيل الحسيني
 ادام الله تعالى ذاته وابقاه صوب سعادته وبنه درارى بدية اللغات تقاباء
 اجابت آيين شاهانه كه كنجينه ضمير سماحت سمير خسروانه دن متصادر واولاي
 متلائي بيضا ضياء تسليماات موافقت قرين باد شاهانه كه محيط بيكران
 خاطر سعادت ماثر ملوكانه دن ميثا در درار ايش تاج اكرام وزيور افسر توفيق
 واحترام قلوب لوازم وود و محبت و مراسم صدق طويت مراعات اولند قلوبكم
 بجلاي مجلاي ضمير صفوت اتصاف ومرات صفا نماي خاطر عاظمه وشكاف طرية
 متوازي پرده خفا اوليه كه موقع اقبال وخلافت وعظمت ومحط رجال مجد
 وعلو وشوكت اولان سرادق سلطنت وجهان باني وباركاه رفيع سهر خسروانه من
 عم اخفا دار الرسول السيد عبد الملك الايوبى دام شرف سيادته يدليه منبعث
 اولان محبت نامه زهت افزاي دوستانه لري ونداي عظام مزوسا حليله
 عز حضور فايض النور خسروانه مزه عرض ومطلعون مقطعه واربعه مشمول
 نظر ميمنا ترخا فائز اولوب مضمون سواد مشك آكينندن رواج مهر وطاق
 ونفحه يگانهكي وانفاق استنشا قاولمغله احكام احكام مموالات وتأسيس
 اساس ممدق ومصافات ولتوب طرف هاليون شوكت مقرر و نمرذ د خنامه هايون
 ملاطفت مشهور تر تهجيري و اصدار و طرف مخالفت نما كره انساب وانما سي
 اولان افتخارا الاما جد والالار مولاج خليل دام مجده ايله ارسكال

رسالة السلطان العثماني إلى العاهل المغربي

الأجنبية زعماء المنطقة، لقد كان الداوي يشعر بدأته على فرنسا وهو يساعدها على تحقيق أهدافها، ولذلك شبه الجزائر بأنها لفرنسا كالإجاصة بالنسبة للعطشان! (17)

ومن جهة أخرى فقد رأينا «الباب العالي» يبعث في السنة الموالية 1107 = 1696 سفارة إلى بلاط المولى اسماعيل الذي كان أرسل بوفادة تهنئة للسلطان مصطفى الثاني بمناسبة تقلده الحكم...

لقد وصلت السفارة ومعها رسالتان من اسطامبول كانتا ضمن ماعثرت عليه في أرشيف اسطامبول : الأولى ولو أنها لا تحمل تاريخاً إلا أن مضمونها يكشف عن أنها كانت بعد تولي مصطفى الثاني الحكم : وننقل ملخصها هنا بالعربي :

«...لقد ورد علينا كتابكم الذي يعبر عن الودّ والصدّاقة المتوارثين فيما بين الأمّتين... وأنه من حين جلوسنا على العرش ونحن نقوم بأنفسنا على تقرير قواعد الملة خدمة لمصالح الأمة ورفعاً لراية الجهاد وحماية للشعور الإسلامية وأننا لن نسمح بقيام المحظورات الشرعية في بلادنا...

أما الرسالة الثانية فتتناول موضوع شكاية الجزائر إلى اسطامبول من مولاي اسماعيل حيث نجد أن الدّاي يوهم الباب العالي أن الوجود التركي بالجزائر مهدّد من طرف المغرب !!

وبهذا نفس، خطاب السلطان مصطفى الثاني باللّغة العربية وهو ينتدب «الجليل بن الجليل» للصلح مع الجزائر ولكن الخطاب، إضافة إلى هذا، يحمل بين سطوره معاني التهديد والتحامل (18).

وقد تبعت تلك الرسالة تحرشات جديدة ضد المغرب...

وهذا ما احتج عليه السلطان المولى اسماعيل لدى السلطان مصطفى الذي نراه يغضب فيبعث برسالة مطولة بتاريخ 22 شوال 1110 = أبريل 1699 باللسان التركي «إن الجزائر ضمن ممالكنا المحروسة المسالك... وإن سكان البلاد وأهلها وحكامها

(17) Hantete : Correspon dance des deys d'alger, p. 417

(18) نظراً لضيق حجم الكتاب فإننا ننشر نصوص هذه المراسلات على حدة في الملاحق على ما أشرنا.

الله محمد بن الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي ووزيره الشهير أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب الغساني المدعو حمّو... وذلك بتاريخ 27 شوال 1103 = 12 يولييه 1692 يقول الضعيف...

وقد تحدث «دفتر التشريفات التركية» عن هذه الاشتباكات ونعت فيها المغرب والعرب على العموم بأسوأ النعوت!!⁽¹⁴⁾

وبالرغم من الشكوك التي تخيّم على حقيقة مدار في لقاء وجدة فإن الشيء المؤكد هو أن اسماعيل فوت الفرصة على الأتراك في أن يتقدّموا خطوة واحدة في الأراضي المغربية، وبذلك خيب أيضاً آمال لويز الرابع عشر الذي كان يؤمل أن تسفر الأحداث عن وضع يمكنه من إملاء اتفاقية على المغرب تجعل هذا الأخير يقبل محالفة فرنسا على النحو الذي تريده هي!!

☆ ☆ ☆

ويتوتر الجو من جديد بين فرنسا والمغرب للأسباب ذاتها أوائل سنة 1106 = أواخر 1694، ويتحرك من جديد الحاج شعبان خوجة داي الجزائر الذي كان يجدي ملك فرنسا قابلية زائدة لكل مناوشة تمس المغرب، وهكذا نجد رسالة غريبة منه بتاريخ 11 محرم 1106 = 1 شتنبر 1694 يقول فيها: إن السلطان المولى اسماعيل يتفق مع محمد باي تونس من أجل مهاجمة الجزائر!! وبهذه المناسبة فإنه يكيل للعاهل المغربي سائر أنواع الشتائم...!⁽¹⁵⁾

ولقد وردت في رسالة داي الجزائر إلى لويز الرابع عشر بهذا التاريخ عبارة تستحق الوقوف عندها⁽¹⁶⁾ حتى نتصور إلى أي درجة تستغل المصالح

(14) دفتر التشريفات نشره في البداية ألبير دوفولكس (A.devoux) عام 1852 واهتم به بصفة أشمل الكونت دو كاستري ج 3، سلسلة 2، ص 499 - الاتحاف 2، ص 69/68 - Hesp 1928

Cour : l'Établissement... p. 203

(15) إن الجزائر وتونس ولو أنهما معا تابعتان لاسطانبول إلا أن العلاقة فيما بين الإيالتين كان يشوبها نوع من الغموض جعل داي الجزائر يعتقد أحياناً أن تونس يجب أن تكون تابعة بينما كان باي تونس يعتبر نفسه مساوياً لداي الجزائر وأنهما معا تابعتان للقسطنطينية...!

(16) Hantete : Correspon dance des deys d'alger, p. 417

والحرم العتيق المتمسك من كما بالله وسنة بيه بالحمل الوثوق بده الله
 بالملائكة المقربين وايدخله الى يوم الدين ووقفه لما فيه صلاح العباد
 وربط خيام سلطنة باقوى الاوتاد السلطان بن السلطان السلطان
 مصطفى ايد الله وبصره وهو حبيب وكفى الى النبي الشريف المشفق
 عن التوضيف الجليل ابن الجليل مولاي اسمعيل بعد سلام الالهي وحياته
 المباركة الحسنى فلا يخفى ان الامثال الامر الله تعالى العزيز العليم واجب
 على كل ذليب سليم وان العاقل من تمسك من تقوى الله بحبل بين القوي واستوى
 اليه الوسيلة في مخالفة ما يدعوا الى الهوى وان مما ينبغي ان يدرك الانسان
 صاحباً ومساءً ورواحاً وخذوا ان الشيطان لكم عدو فاتخذوا عدواً
 وان مخالفة امر الله موجبة للعذاب السرمدي والخذلان لا بدى وان من
 يتصف بالعبودية ويحلى بنور الايمان يكون متصفاً بما في ضمن قوله تعالى
 لاتعاونا على الاثم والعدوان ولقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب
 جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكرتها اختلف فمن التاكران
 يخرج عن حجة المجاهدين فيكون قد مزق حبك الست بركم فالوالبغ في اتحاد
 كلمة المنقين فالواجب التوجه بالقلب واللسان وتبتغ مظان اجابة
 الدعاء من الزمان والمكان لان السلطان قلب وجميع العالم جثمان فاذا افضت
 طائفة من الموحدين عن حيا المجاهدين كانوا من المارقين بشهادة سيد المرسلين

جانب من الخطاب العثماني 1107 = 1196 عن الأصل الذي يوجد في اسطنبول

وجندها منقادة من بعد أجدادنا لنا... وبعد هذا يذكر بأنه بقرب دار سلطان المغرب ما تزال توجد مليية والبريجة وسبنة وبادس وهي بيد الكفار... (19) وأنتم تمدون يدكم إلى مدينة بعيدة عن دياركم تقع في جوار تلمسان ألا وهي (وهران) (20) تريدون أن تحوزوها بأعدار واهية على عكس ما تشير به الآية : ﴿ياأيها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾...

ونترك التعليق على أسلوب الرسالة التركية للذين يهتمون بطبيعة حوادث الحدود، ولكننا مع ذلك نلاحظ أن السلطان المولى اسماعيل يستجيب مرة أخرى لمطلب اسطامبول مؤكداً عدم رغبته في إثارة أي مشكل مع جيرانه إلا في حالة تعرض بلاده للخطر... ونعتقد أنه في هذه الأثناء بعث السلطان المولى اسماعيل إلى السلطان العثماني ينوّه بجهاده، وتعليقاً من المولى اسماعيل على قول السلطان مصطفى حول الثغور المغربية التي ما تزال محتلة، (21) يذكره العاهل المغربي، من جهته، باحتلال وهران وأن وضعية وهران ليس شيئاً أمام وضعية سبنة : «إن جهاد جيراننا أهل مزغنة في دشرة وهران أمر خفيف» !! (22)

وليس من قبيل الصدفة أن تجيء رسالة السلطان مصطفى للمولى اسماعيل في وقت واحد مع حديث لويغ الرابع عشر إلى عبد الله ابن عائشة سفير

19) هذا يُذكر في الرسالة التي بعثها بها محمد بن حدو إلى شارل الثاني بتاريخ 11 شعبان 1094 = 5 غشت 1683...

20) تذكر المصادر المغربية أن السلطان المولى اسماعيل في إطار مضايقته لاسبانيا لكي تتخلى عن الثغور المغربية المحتلة كان يقصدها أيضاً في وهران في محاولة لتحرير المدينة التي كانت اسبانيا تتخذ منها قاعدة للتقوي على المغرب الأمر الذي يفسره نداء الشاعر المغربي البوعناني مفتي فاس للعاهل المغربي :

ووهران تنادي كل يوم متى يأتي الأمير متى يزور ؟

التازي : الثغور المغربية المحتلة... مجلة البحث العلمي، يناير - يونيو 1976 ص 15.

21) من المعلوم أن المهدي حررت 1092 وأن طنجة حررت سنة 1095 - ثم حررت العرائش 1100 ثم أصبلا...

22) متنوعات محمد الفاسي صدر بمناسبة مرور عشرات سنوات على تأسيس جامعة محمد الخامس 1957 - 1967 ص 64 - 65.

1957 - 1967 ص 64 - 65.

المولى اسماعيل لدى البلاط الفرنسي، عن الصّلات التي تربط فرنسا بتركيا وعن عداوة هاتين للنمسا معيداً الكرة إلى مفاتحة المغرب لضّمّ للحلف الفرنسي التركي للدخول في حرب ضدّ أنصار الأمبراطور النمساوي في اسبانيا...!(23)

ومن الطريف أن نسمع - مرة أخرى في هذه الأثناء - عن ادّعاء جزائري لتواطؤ جديد بين المغرب وتونس لضرب الجزائر حيث يهاجمها من شرقها مراد باي تونس وهو اتفاق لا تعرفه لا المصادر التونسية(24) كما ولا تعرفه المصادر المغربية... ويتجدد الصدام أواخر عام 1112 = أوائل عام 1701 حيث نجد رسالة من القنصل الفرنسي مانيني (Manier) بسلا(25) مرفوعة إلى الوزير الفرنسي يتحدث عن اشتباك مغربي جزائري...

كما نجد رسالة الجزائر إلى نفس الوزير الفرنسي بتاريخ 20 مايه 1701 تخبر بتغلب الدّاي مصطفى على جيش السلطان اسماعيل في وادي الجديروة من فروع شلف بتاريخ 20 ذي القعدة 1112 = 28 أبريل 1701...

وإذا كانت الوثائق تحدثت عن فشل جيش المغرب هذه المرة فإنها تحدثت عن انتصار اسماعيل على الأتراك في حملة مضادة لاحقة حيث نجد القنصل الفرنسي في تطوان (Pierre Estelle) يكتب إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 29 يونيه 1701 يخبره بأن حاكم المدينة أعطى أمراً بإقامة الأفراح وإظهار معالم الزينة بمناسبة انتصار الجيش المغربي على الجيش التركي...

☆ ☆ ☆

وتعبيراً من السلطان المولى اسماعيل عن فرحته الكبرى بتحرير وهران أواخر 1120 = 16 أبريل 1708. وجّه سفارة خاصة إلى السلطان أحمد الثالث في هذه السنة بقصد حمل التّهاني بالانتصار على المحتلين الإسبان...

☆ ☆ ☆

S.I.H.M. T/6 p. 163/164 (23)

(24) ابن أبي الضياف 2، 76.

(25) Cour : L'Établissement... p. 206 Manier de la Closerie (Jean Baptiste) Facteur de Jean Jourdan à Salé

وبانتشار أخبار الضربات الموجعة التي كانت تلحقها جيوش الأبراطور النمساوي وحلفائه بآل عثمان يسجل السلطان المولى إسماعيل موقفاً من أشرف المواقف ذلك أنه يتناسى احتكاكاته مع الأتراك ليعرض مساعدته لهم في مقارعتهم للنمسا... بل ولينسى تشده مع الملك لويز الرابع عشر في سبيل مناصرة العثمانيين.

وهكذا حررت رسائل أخرى لكل من سلطان تركيا أحمد الثالث ولويز الرابع عشر بتاريخ 14 جمادى الأولى 1122 = 22 يولييه 1709 يعرض عليهما مساعدته العسكرية لحرب النمساويين ولا يفوته بهذه المناسبة أن يذكر لملك فرنسا مجدداً أنه يقدره نظراً لكونه يحالف تركيا التي تقوم بحماية الحرمين الشريفين...

☆☆☆

وفي الوقت الذي تصدى فيه الجيش المغربي لوقف حركة السداي ضد المغرب، قام السلطان المولى إسماعيل بإرسال سفارة إلى السلطان أحمد الثالث تحمل رسالة إليه في الموضوع جاعلة إياه على علم مما يقوم به ولاته...

وإذا كنا نجهل تاريخ الرسالة الإسماعيلية التي توجد في خزانة أكسفورد فإن الجواب عنها من طرف تركيا يحمل تاريخ «آخر جمادى الأخيرة عام سبعة وثلاثين وإحدى عشرة» = 1725 بدار السلطنة العلية قسطنطينية...

وقد كان مما ورد في هذا الخطاب :

اعلم أيها السيد الولي أنا قبل أن يصل إلينا كتابكم الأسمى وخطابكم الأسمى كنا لا نعرف ما هم عليه أهل الجزائر ولا أنهى إلينا فعلهم أحد كما أنهيتموه لنا ولا عرفنا ما صار عندهم ولا ما هم عليه، وبالجملة أهل الجزائر ما هم على شيء لكونهم أخلاط الناس فيهم الأصلي وفيهم البراني وفيهم من لاخلاق له ولم تكن عمارتها بذوي الأحساب والأنساب، كل هذا لا يخفانا قبل، نعرفه ونتحققه منهم، وقد بلغنا أنهم خرجوا من البلاد بمحلتهم وأرادوا الشرّ معك وإنا لانرضى منهم ذلك، وهذه الذخائر

والأموال والخزائن التي خبّرنا بها قطعاً خبرنا بها غيرك والآن إن شاء الله نردّ لهم
البال ونشتغل بهم ولا نتركهم في حيّز الإهمال. وتلك الخرجة التي خرجوا
لبلاك نطلب من كمال فعلك وحسبك أن تسمح لهم لوجهنا وإن عادوا
يراجعونك ولو بكلمة. نمحي جرّتهم!!

☆ ☆ ☆

وبالرغم من الظروف العصيبة التي أعقبت وفاة السلطان المولى اسماعيل بسبب
التنافس على الحكم بين بنيه فقد استمرت صلوات المغرب باسطامبول...
وخاصة بين السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل والسلطان محمود الأول...

وهكذا سجلت سنة 1143 = 1731 حركة هامة قام بها السلطان المولى عبد الله
في إطار علاقته بالعثمانيين والمشرق: تلك إرسال سفارة خاصة من لدنه لتقديم
التّهاني بجلوس السلطان محمود الأول على عرش أجداده، وكانت برئاسة الحاج
أحمد البخاري...

وقد عثرتُ في اسطامبول على ترجمة الرسالة المغربية إلى اللغة التركية
وهي مؤرخة في شهر رجب 1143 يقول فيها السلطان المولى عبد الله «إن جنودنا
وخيراتنا وافرة... وأنتم حُماة الحرمين الشريفين، أنتم بين الملوك كالتاج على
الرأس، واننا لندرجوا من جنابكم حفظ ما كان بين آبائنا وأجدادنا من عهد...
وقد أرسلنا كتابنا هذا بصحبة خديمتنا الوفي القديم الحاج أحمد بخاري ؟
والرجاء تسهيل عودته بعد أن يستوفي الغرض...

وقد كان انقضاء اسبانيا على وهران مرةً أخرى من مرمى (أليكانتي Alicante
سنة 1732 = 1144 مناسبة كتب فيها السلطان محمود الأول إلى السلطان المولى
عبد الله أواسط سنة 1145 = دجنبر / يناير 1733 يخبره بأن المجاهدين انتكسوا
وأنهم في حاجةٍ إلى مساعدةٍ أخرى من أهل المغرب...

☆ ☆ ☆

فاس حاكمي المصطفى على الله مولى اسما جليل او على مولى القبايل بالله طرفين شيكوه فطواها اي شام وظل اليه
 اوزر حضرت كرتايه جلوس هارون سوكتموزي تهنيتي شعر كونه دوكي قرين ناسه تر محمد سيد
 عنه عليه شاهانه وسند سینه بادشاهانه بهجوات خفیه ایلدیرین وخلص وختت تهنیتون صکره
 ناصر دین اسلام حای ملت الحقیقه نیجه الزمان المجاهد فی سبیل رب العالمین سلطان المؤمن والمؤمن
 خادم المؤمن المشریف مالک مروشام وقراین المستطاب ابن السلطان بن السلطان الاعظم
 محمد خان اید الله سلطنته بمرزبوره وخذت سکره واسعدت زمانه المبارک فی اوانه وبعص ولم یزل یحضر خورده
 ویرینه ادریسه آیین غیب الالهة فاصد خلائق اولون اخطار مغریه ولفور جهادیه وه یقیم اولوب بر خوی
 ان اولی الاصلاح ما استطعت وما توفی الابان الله الهیته تعالی دولت ایلدیرین عزیزه فرخاوه وجوده
 واولو ویا اوز خلقک جمله سی کله لری واحمد اولوب افرزه مطیع وقرین دین اسلامه رفعت ایدوب
 جمله وبعوه ایلدراحت وامنیته اوزره اولوب کلمه اسلامی اقلان بیون جمله اصنام اوزره بر خوی
 وجاهدوا فی الله من جهاده ترو ترمه لری بیون غزا و جهاده سادوت اوزره ودر اگر کان اولسه وارد اولو
 نصرتت منصور باصد فی علی ان المؤمن للمؤمن کالبیتان المؤمنین یسند فی اولون هساک اسلام ایلدیرین
 ویرینه غزا و جهاد ایدوب خیر دعا لرینه مظهر اولودوم الهیته تعالی جناب شواری لری با ادم لوس الش
 ایدوب رضای رب العباده سعیدک قصور ویتامان ککره خالایک بینهک جسد اوزره باش شلتاچ
 بفر لوسک سر دولت علیه لوزن مرجو و متوفقد که قدیم الایمان برده سکره فر اولون ابا و جهاد فر سینه و فرغ
 بلان الفت و محبت و مهور و موافق نر بته مؤید و مشید اولدیرین کبی بر ایدوب اول اول اول اوزره اولدیرین اولون
 آیین اولد تهنیت کرم صلی الله تعالی علیه وسلم حضرت یونیک جفر صحت اوزره المسلمون بنا و احد علی
 سواهم و دخی انما الاغالی بالیمان و کل امر ما نوی و عدایته ان الما کدن مروید که یدفع بالسلطان
 سلطنته عن دیننا و دیننا ارحمه منه الهیته تعالی سلا لیمین هدایین ایلد بلا و جهاد کمال اوزره نظام
 عالم راحت و رفاهیت اوزره در الله سبحانه و تعالی سزی هر حاله اعلی دین افرده منصور و مظهر دین
 سلطنته علی الدوام مؤید و مؤید ایلدیه مخلص لریک نامه محبتی بلیقی ایلد ارسال اولونان قرین اوزر
 الحاج احد حار ان سنا الله تعالی سند سعادت لرینه و ز سید و کرم هر حاله انسانا اقامه و ایلد و ایلد
 لوسون رسل و ریا ل منتفع اولوب کلوب کون اوزره هو سبحانه و تعالی جسد ایلدیرین صلوات الله علیه
 ایدوب خلیفه لری اعدا لر قانیدن اکسک ایلوب طول عمر کمال دولت قیام و دایم ایلد ایلد ایلد
 و القاد و علی ایدوب و صلی الله علیه و آله و سلم و علی آله و صحبه اجمعین
 برتانی شهر میخانه

وقد عرفت أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) جسراً ممتداً عبر البحر المتوسط يربط البلاط المغربي بالباب العالي حيث نجد العشرات من السفارات المتبادلة والهدايا المقدمة...

لقد دشّن علاقته بالسلطان مصطفى الثالث الذي تولّى الحكم تقريباً في نفس التاريخ التي تولّى فيه محمد الثالث، بإرسال بعثة ترأسها شخصيتان بارزتان الأولى: الحاج الطاهر بناني الرباطي مفتي الديار المغربية، وأمير ركب الحاج الحاج عبد الله الخياط (الضاسي) الملقب بعديل، حيث عبّر السفيران المغربيان لسلطان تركيا عن عواطف الودة التي يكنها العاهل المغربي للباب العالي، وقدموا له رسالة تهنئة ملكية وطائفة من الهدايا من نفائس المغرب لقيت صدى طيباً لدى السلطان مصطفى الذي قدر المبادرة المغربية وأصبح السفارة بوفادة أخرى من تركيا حملت، فيما حملت، هدية اشتملت على مدافع وآلة حرب وأدوات مراكب وضروب سلاح الأمر الذي ابتهج له السلطان سيدي محمد إيما ابتهاج حيث نراه يُرجع الوفد العثماني مغموراً بثتى ضروب التكريم...

وإذا كانت الوثائق المغربية لم تتحدث عن هذه السفارة بأكثر من هذه الكلمات فقد عثرنا في أرشيف اسطامبول في جملة ما عثرنا عليه، على نص (الخطاب الهمايوني) الذي بعث به السلطان مصطفى إلى السلطان سيدي محمد جواباً عن سفارة بناني وعديل، وقد كان الخطاب مرفوقاً بقائمة الهدايا المرفوعة صحبة السفيرين المذكورين. وقد احتوت على أحجار كريمة ومجوهرات رقيقة علاوة على المواد الحربية السالفة الذكر...

وقد كانت الرسالة مؤرخة في أواخر شعبان 1175 = أواخر مارس 1762.

ويظهر أنه تجدد سنة 1178 = 1765 اختيار الفقيه الطاهر بناني الرباطي للسفارة لدى السلطان مصطفى الثالث ورافقه هذه المرة أديب من أدباء سلا هو الطاهر بن علي بن عبد السلام السلوي حيث توجهها كما تنقله كتب التاريخ المغربي بهدية فيها خيول عتاق وسروج مثقلة بالذهب ومرصعة بالجواهر والياقوت ونفيس الأحجار وفيها سيوف محلاة مرصعة بالياقوت المختلف الألوان وفيها حلى من عمل المغرب وبنود منسوجة بالذهب من عمل فاس

فابتهج السلطان بذلك وكافأ عليه بمركب موسوق من آلة الحرب المحتوية على المدافع والمهارس والبارود مع (إقامة)⁽²⁶⁾ كثيرة للمراكب القرصالية من كل ما تحتاج إليه...

ولقد كان السلطان محمد الثالث يطمح لإحياء (دار الصنعة) التي كانت تُعنى بإنشاء المراكب على عهد الموحدين والمرينيين بمدينة سلا على ما عرفناه... ويذكر صاحب الاستقصا أن العاهل المغربي قام باستشارات الجهات التركية المختصة، وقد أجابته بأن الأمر يتطلب إنشاء دار على هيئة كذا ومن نعتها كذا وكذا... لكن السلطان استطال الزمن... كما أنه استكثر المصاريف الباهضة التي يكلفها المشروع...

ومن حسن الحظ أن نجد آثار سفارة الحاج عبد الكريم راغون سواء بالأرشييف المغربي والأرشييف التركي، وهكذا فمن ناحية عثرنا في أرشييف اسطامبول على ترجمة بالتركية لنص الرسالة العربية التي رفعها العاهل المغربي للسلطان التركي بتاريخ 8 ربيع الأول 1180 = 13 غشت 1766 كما وقفنا من جهة أخرى بالمغرب على نص رسالة الاعتماد التي حملها السفير عبد الكريم راغون إلى صدر الدولة العثمانية وأمينها وناصرها وإنسان عينها ومعينها السيد محمد أفندي على ما نذكره في الملاحق...

وقد عثرنا إضافة إلى هذا على جواب السلطان مصطفى الثالث على رسالة محمد الثالث وهو بتاريخ أوائل ذي الحجة 1180 = ماية 1767 وفيه يخاطب العاهل المغربي بأرفع صفة ويحييه بأرق سلام ويقول أنه توصل بكتابه المعبر عن صدق المحبة وإخلاص الود بواسطة الحاج عبد الكريم راغون وأنه انبسط جدا من تصدى المغرب للصلح مع طائفة دوبروونيك...

ولقد كان المبعوث الذي وعدت به مراسلة سابقة - على ما نظن - هو مبارك بن همدان والأمين الحاج عبد الله الشربي الأندلسي التطواني بالرغم من أن الرسالة الموجهة لهذين السيدين لا تحمل تاريخا...

(26) الإقامة تعني في الاصطلاح المغربي : التجهيزات وقطع الغيار... الاتحاد الوجيه للدكالي، منشورات الخزنة الصبيحية - سلا ص 184.

الرسالة

وطل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تحية التدبير في حياة وعمره بمواجل هذه واعترافه بركاته
 نيل سر الزكوة العثمانية وامينها وناصحها واسرارها
 ومجتمعا السيد المشي الاجر الاجر الاخضر السيد محمد ابنه انحر
 التدبير له ووالكرامته واعلانه سبحانه عليك ورحمت الله تعالى
 وبركاته وبجسر ما علم اننا جعلنا له وكلنا ونابيا عنه جميع
 ما نجد من اننا بغير عن الضرب في جميع ذلك وهذا نحن وجدنا
 هذا الحاج عبد الله راعوه لتلك الناحية بالموتور عليك ان
 لهم في جميع ما احتاج اليه وفوق الكراه من غير تفكير
 ان وجدنا نحن على اسرار حال ويصلنا بحسبه امتان فاقبل
 صلاتنا على وجه الاكرام والتبرك ونحس على عظمته ومجتمعه
 به في سنة 1180 في ربيع الاول سنة 1766

رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى أفندي الصدر الأعظم في الدولة العثمانية، يقدم
 له فيها السفير عبد الكريم راغون الذي حمله كتاباً يتضمن التعزية للسلطان مصطفى الثالث فيما
 أصاب الأسطول العثماني من الروس وقد زوده بهدية نفيسة مكافأة له على الهدية التي كان
 أرسلها مع السفيرين السلاوي وبناني...

وهي بتاريخ 8 ربيع الأول 1180 = 14 غشت 1766.

الحمد لله وحده

صلوات الله على من يحب محمد وآله وصحبه

حمد يمين الفقيه مبارك بن همام وقد يميناً
 ايجاج عبد الله الشريبي صلح عليكما
 عمن الله وبركته قد رزقتم الله بلاء في
 ثلث ما ختم لها جبروات السلطان العثماني صلح
 فبادر بعوا اللوزير برأهته وانه بعوا العنقاص بالمش
 براءته وانه بعوا السلطان عبد الحميد براءته
 وبقي الخليفة بالخمسة اعتمه او انتم اركبوا
 في السيفه التي فيها المال وتوجهوا بالسلامه
 وانه ابلغتم المال والبروات للسلطان العثماني
 الماراج حوالتي ازهير وانتموا والسير عم حتى يظلم
 عليكم والسلام ومن انكم فرفق صلح بلو ومير
 الة كلكم صلح عليه معلوم روح برسة الجراح والبلاد والحقبة
 يوزن في القلاع التي لا تترك الا يصقع لاح والامروا الدولة
 وانتم من اجل وثوقه امتنعتم من ان يذبحوا لاكم ان منع
 عند ملا عس حاطم عنكم به يد الا حينه قراش رضى بغيره وهذا
 عند فقه وجد كتمه ان روى مع يرائه ومع يوم اينوا به حتى
 يونا يلو ولقد بلان اهل كمينه لا انه ومنع
 اعني من الصلح بالخير ووجهه من غير

أوراق اعتماد السفيرين امارك بن همام والحاج عبد الله الشريبي المبعوثين من السلطان محمد بن عبد الله إلى السلطان عبد الحميد ومعهما هدية مالية هامة، والرسالة لا تحمل تاريخاً، من أوائل رسائله إلى السلطان عبد الحميد أي حوالي 1190 = (1777 م).

ويذكر الزَيَّاني في (الترجمانة) أن المبعوثين المذكورين ذهبوا للمرة الأولى يصحبان ستمائة ألف ريال ركبا بها من طنجة، وهو يذكر بهذه المناسبة أن السلطان سأله ذات يوم عما يمكن أن يعلّق به الناس على إرساله هذا المال للعثمانيين من أجل الجهاد فأجابه الزَيَّاني : إن الناس يقولون : لو صرفته في الجهاد بالمغرب لكان أولى ! فقال السلطان : وأيّ جهاد في غربنا ؟ فأجابه الزَيَّاني : سبتة ومليلية وبادس ونكور ! وهنا تحدث له العاهل عن المصاعب التي كانت تحول دون ذلك وأن العثمانيين هم الآن بصدد ردة الغزو⁽²⁷⁾ الموجّه ضدهم، يعني أنهم يستحقون الإيثار !

الأتراك يستوردون الشاشية من فاس !

في مذكراته عن مدينة فاس كتب الدبلوماسي الفرنسي لوي شيني من سلا بتاريخ 10 نونبر 1775 16 رمضان 1189 صفحة هامة تصف العاصمة المغربية، وقد لفت النظر في هذا المذكرة إلى أن الفرنسيين عندما يطلقون على الطربوش اسم فاس (FEZ) فإنهم يقلدون في ذلك الأتراك الذين كانوا يعطون اسم فاس للشاشية التي دأبوا على استيرادها من فاس، وبالرغم من أن «التوانسة» حاولوا تقليد أهل فاس إلا أنهم لم يصلوا إلى إتقانهم على نحو ما كان عليه الحال في مصانع فرنسا التي حاولت بدورها أن تنافس مدينة فاس !! والمهم بعد هذا أن نذكر بأن للشاشية بالمغرب ماضياً يضرب في جذور القدم...

التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 3، ص 164/163

ولكثر اهتمام الباب العالي بشؤون المملكة المغربية نجد أخباراً بتاريخ 24 رجب 1197 عن السفارة المغربية إلى النمسا وكان يرأسها محمد بن عبد المالك حيث تتبعت تركيا باهتمام لائحة الهدايا التي رفعت إلى العاهل المغربي من أمبراطور النمسا⁽²⁸⁾

فعلاً في أعقاب سفارة ابن عبد الملك إلى قييناً وجّه العاهل المغربي (مايه 1197 = جمادى الثانية 1783) سفارة هامة إلى الباب العالي برئاسة الطاهر فنيش وقد عرفنا من أفرادها عبد العزيز فنيش الذي يظهر أنّه قريب للسفير... وكانت تحمل مساعدات ضخمة وهدايا فخمة للسُلطان...

(27) الترجمانة الكبرى تحقيق عبد الكريم الفيلاي، الرباط 1967 ص 131.

(28) لقد شوشت السفارة المغربية بالنمسا إلى حد كبير على رجال الحكم في اسطامبول.

Ramon Laurido Diaz : Relacion Del'alawi : Sidi Mohammad... en la Seconda Mitad del Sultano 1775-1790,

Hesp. Tamouda, 1986 p. 231

ولابدّ لنا أن نذكر هنا أن السفير فنيش لم يستقبل مباشرةً بعد وصوله على ما جرت به العادة ! وقد عرفنا من خلال التقارير الدبلوماسية الأجنبية أن القادة الأتراك كانوا بحاجة إلى تقديم تفسير لهم عن البواعث التي كانت وراء ذلك «التقرب» المغربي من أمبراطور النمسا الذي كان على حالة حربٍ مع الأتراك ! «إن سلطان المغرب تصرّف على نحو ما تفرضه مصالح الإسلام...» على حد تعبير السفير المغربي كما تنقله المصادر الأوروبية... والدليل على ذلك أنه أي السفير المغربي لدى النمسا عاد وقد حرر عدداً من الأتراك الذين كانوا يعانون من الأسر هناك..! وبهذه المناسبة أكد المبعوث المغربي عن استعداد بلاده لتقديم المزيد من العون للأتراك في حروبهم مع النمسا والروسيا...

وقد ذهب السفير فنيش أبعدَ من هذا عندما قال معلقاً على حلف النمسا والروسيا، لماذا لا نتّحد نحن المسلمين في المشرق والمغرب، ولماذا لا نضع ثروتنا وأسطولنا تحت قيادة واحدة ؟

وهنا جرى الحديث حول «حجم» المساعدة التي يمكن أن يقدمها العاهل المغربي الذي يتنازل عن كل ما يملكه في سبيل العثمانيين...

وقد واصل فنيش سفره إلى مكة بينما التحق قريبه عبد العزيز بالمغرب ليطلع السلطان على ما تمّ عليه الاتّفاق مع الباب العالي وهو الأمر الذي حرص ملك المغرب على تنفيذه كاملاً...

وقد كان من الوثائق التي وجدناها في أرشيف اسطانبول وثيقة تحمل تاريخ 23 شعبان 1197 = 22 يوليه 1783، وكان بعضها ترجمة للخطاب الملكي الوارد على يد المكي برکاش... وفيه يجنّد عواطفه نحو أخيه السلطان عبد الحميد ويبعث إليه بناءً على قول الرسول ﷺ «تهادوا تحابوا» سيفاً مجوهرأً وخنجرأً مرصعاً بالأحجار الكريمة إلى بقية التحف...

ويتخلص العاهل من هذا ليطلب مرّةً أخرى من السلطان العثماني إصدار الأمر ببيع ما طرزت به تلك المصاحف المهداة من والده وإنفاق ثمن ذلك على أشرف مكة من ذرية الحسن والحسين وأن تجلّد المصاحف من جديد لتجعل

رهن القراء والطلبة حتى يتمتعوا بقراءتها ولا تبقى محجوبة عن الناس بسبب ذلك الحلي...

وبهذا الصدد عثرت على نص الجواب الذي بعثه السلطان عبد الحميد إلى الملك محمد الثالث حول مطلب هذا الأخير...

كان خطاباً طويلاً بديع الأسلوب ولو أن السلطان عبد الحميد لم يتفهم «الروح السلفية» التي وردت في خطاب سيدي محمد...

وقد قال فيه على الخصوص : وما رأينا إخراج المصاحف المطهرة عن خزينة المدينة المنورة وانتزاع الجواهر واتباعها خليقاً بخليقتكم الكريمة وحقيقاً بحقيقتكم الفخيمة... فإنها هدية لسلطان الأنبياء... ولا شك أنه حي في قبره... فإخراج الهدية من الخزانة النبوية، وإن لم يكن في نفسه سيئة، ما كان دأب الملوك والأمراء الإسلامية... إن خزينة ﷺ مشحونة بتحف السلاطين والأمراء الماضين وهدايا الخواقين والخلفاء، ولم يقع من أسلافنا إخراج شيء عن خزينة سيد الأنام... وأما العطايا والإنعام لسكان بيت الله الحرام وقطبان مدينة سيد الأنام لاسيما الشرفاء الفخام... فهو من طرفنا وطرف أسلافنا الهام في كل سنة وعام، شامل وعاماً بواسطة أمثائننا ووكلاتنا من وزرائنا وسائر الخدام....

وبعد أن يتحدث الخطاب عن مهمة سفراء العاهل المغربي يشير لانعقاد الصلح بين العثمانيين وبين إسبانيا 1783 = 1197 في أعقاب انتصار هذه الأخيرة على الأسطول الإنجليزي في ميورقة.

وقد زود السفير المغربي بنسخة من ذلك العقد لاطلاع العاهل عليه لأن تعاون الإخوان واجب لأهل الإيمان في كل آن لاسيما في آخر الزمان...

وفي عام 1199 = 1785 توجهت - في أعقاب سقوط القرم (La Crimée) سفارة هامة إلى الباب العالي تتألف من الأمين عبد الكريم العوني وعبد العزيز الصنهاجي ومحمد الزوين الرحماني، ومعهم أربعة مراكب تحمل اثني عشر ألف قنطار من ملح البارود، وقد حمل السفير العوني معه رسالة العاهل المغربي

المتعلقة بتعنُّت أتراك الجزائر وعبثهم، وفيها يخاطب سلطان تركيا : «إن لم تدفع ضررهم عن المسلمين فدعني وإياهم...!».

وفي إطار التعاون مع الباب العالي نجد هذا وقد عقد اتفاقية الصلح مع اسبانيا على ما أسلفنا يطلب إلى ولاية الجزائر أن تنضم للاتفاقية التي تقتضي مَرَّيان الصلح على سائر الولايات العثمانية - طرابلس، تونس، الجزائر، لكن الجزائر تمرَّدت على تعليمات القسطنطينية...

وهنا وجدنا أن الباب العالي يتوجه إلى المغرب ليطلب إليه وساطته بل تدخله لدى داي الجزائر محمد عثمان باشا حتى يحمله على الاستجابة لرؤسائه في اسطامبول.

ولم يسع المغرب إلا أن يقبل هذا التشريف أو التكليف سيما وهو يخدم علاقته بالأتراك الذين كانوا يخشون احتلالاً شاملاً للجزائر من قبل اسبانيا.

وبهذا وحده نفسر «الاسترعاء» أو «التصريح» الذي صدر باللغة العربية والإيطالية والإسبانية عن العاهل المغربي لأعضاء السلك القنصلي بطنجة وقد حرر بمراكش بتاريخ ثاني ذي القعدة 1199 = 5 شتنبر 1785 :

«...إن أهل الجزائر إن فعلوا مع جنس الاصبنيول الصلح الذي أمرهم به السلطان العثماني نصره الله صلحاً تاماً كيف أمرهم فعلى بركات الله، وإن لم يفعلوا ما أمرهم به فإننا نوجه عشرة فراكيط من فراكيطنا الجهادية لباب مرسى الجزائر ونمنح جميع أجناس النصرارى من الدخول للجزائر، وكذلك الاصبنيول يوجهون عشرة من فراكيطهم وهم يتكلمون مع أهل الجزائر وأنا كلامي مع أجناس النصرارى الذين يريدون الدخول للجزائر وغيرها من مراسي الجزائر...» (29)

29) د. التازي : فكرة المغرب العربي من خلال الوثائق الدبلوماسية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العدد 14/13 محرم 1404 = أكتوبر 1983 ص 16/15 مولود قاسم نايت بلقاسم : شخصية الجزائر الدولية، نشر دار البعث، الجزائر 1405 = 1985 ص 109 - د. يحيى بوعزيز : مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا مجلة الثقافة الجزائرية، العدد 89 محرم 1406 = أكتوبر 1985. ندوة جامعة الشتاء - إيفران، مارس 1988.

ومن السفراء المغاربة الذين توجهوا أوائل 1199 = نونبر - دجنبر 1784
الأمين عبد الكريم العوني الذي عاد إلى المملكة المغربية يصحبه السفير
العثماني اسماعيل أفندي على ما يؤكد التقرير الذي رفعه القنصل الاسباني
سالمون إلى بلاده بتاريخ 13 يونه 1785 = 5 شعبان 1199...

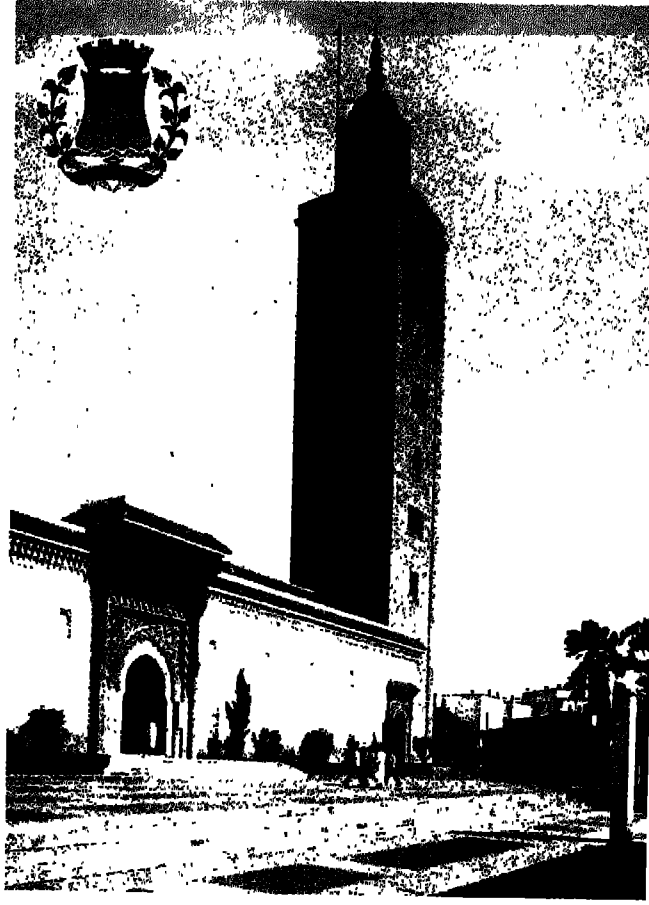
إن خطاب العاهل للسلطان العثماني بقوله : «إن لم تدفع ضرر أصحابك في
الجزائر عن السلمين فدعني وإياهم» ترك دويماً كبيراً في الديوان الذي نراه
يبادر بالكتابة لداي الجزائر «أن يتأدب مع السلطان وينفذ ما يكتب لهم به
ويفعل معه من الآداب ما يفعله مع السلطان عبد الحميد !!».

وقد اجتمع على ظهر السفينة التي أقلتته إلى المغرب بالأمين عبد الكريم
العوني، وتذكر المصادر المغربية أن العوني سأل أفندي عما يحمله في حقيبته
حول قضية الجزائر، فأجابته : عندي المكاتيب لباشا الجزائر وباشا تونس
ولسلطان المغرب، السلطان كتب للأولين أن يكونا عند أمر مولاي محمد !

إن خطأ في الترجمة والتبليغ حصل دون شك... فقد فهم العوني أن
السلطان عبد الحميد ولى أمرهم لسلطان المغرب.. فلما بلغوا طنجة نزل العوني
من المركب واجتمع مع والي المدينة ابن عبد الملك فأخبره بقدم الباشدور
معه، وأنه أتى بالمكاتيب لأهل الجزائر وتونس بولاية سلطان المغرب عليهم!!
فلم يتردد الوالي في الكتابة للسلطان سيدي محمد بأن السلطان عبد الحميد
أعطاه الجزائر وتونس - على ما تذكره هذه المصادر - وأن سفير عبد الحميد
يحمل المكاتيب بذلك!!

وعندما وصل مبعوث قائد طنجة إلى مراکش التي كان العاهل يقيم فيها
آنذاك، وجه السلطان كبير الطبجية القائد الطاهر فنيش بالمكاتيب إلى عمال
القبائل وقواد المدن التي يمر بها السفير التركي من طنجة إلى الرباط يأمرهم
فيها بإكرام السفير والاحتفاء به كما يليق بمقامه ومقام الدولة التي يمثلها،
وفعلاً أقيمت لاسماعيل أفندي احتفالات في كل الأماكن التي نزل بها...

ولما وصل إلى الرباط، وقد كان حله الركاب السلطاني، أنزل في «سانية الرحماني» وأغدقت عليه من قبل المخزن الشريف أنواع الإنعامات واحتفل السلطان بعيد الأضحى في عين عتيق على بعد ثلاثة أميال من المدينة كما يقول الزيّاني⁽³⁰⁾ وعين يوم الجمعة الموالي 15 أكتوبر 1785 لاقتيال السفير التركي وذلك بجامع السنة.



جامع السنة حيث تم استقبال السفير اسماعيل أفندي

وبعد الصلاة أمر السلطان قاضي القضاة بقراءة كتاب الخليفة العثماني فلم يكن فيه إلا الاعتذار عن أعمال أتراك الجزائر! فغضب السلطان - تقول المصادر المغربية - غضباً شديداً ونسب الكذب للسفير التركي وأمر بإرساله في الحين إلى تطوان ريثما يلتحق به سفير مغربي يرجع معه إلى بلاده!

وحتى يضمن نجاح أهدافه قرر العاهل المغربي إرسال سفارة سابقة قبل عودة السفير التركي... وهكذا تقرر إرسال وفد برئاسة ابن عم العاهل وصهره مولاي عبد الملك بن ادريس وبمعينة الكاتب محمد بن عثمان وأبو حفص عمر لوزيرق.

لقد قضى ابن عثمان ثلاثة وعشرين يوماً بالعاصمة التركية، وفي 27 من شوال (23 غشت 1786) استدعى للملاقة الرسمية مع السلطان وقبل المثل بين يديه أو لم الوزير وليمة فخمة حضرها أعيان الدولة التركية وأعضاء السفارة المغربية الآخرون، وفي كتاب رحلة ابن عثمان وصف دقيق لهذه الحفلة وما تبعها، وقد ذكر أن الملاقة على هذه الكيفية من الاحتفال وعدم الانتظار الطويل لم تتفق لأحد كما أخبره بذلك أهل الديوان لأن ملاقة الوفود عندهم يرصدون بها الأعياد أو عرض العسكر لقبض الراتب...»

وفي أثناء مقام ابن عثمان باسطنبول ورد على الحضرة التركية أبو القاسم الزباني الذي عينه السلطان لمرافقة السفير التركي اسماعيل أفندي، وليحمل في الوقت ذاته للسلطان العثماني هدايا ومكاتيب في الشؤون الجارية، ولما وصل المركب المقل للزباني إلى المرسى وجد في انتظاره أعضاء السفارة السابقة علاوة على شخصيات تركية سامية...

وقد تحدث الزباني في رحلته «الترجمانة الكبرى» عن سفارته هذه بتفصيل مذكراً بعناية الدولة التركية به على نحو ما فعلوا بزميله السابق ابن عثمان حسبما يؤخذ من الرسائل التي وصلت إلى المغرب من القسطنطينية.

لقد قضى الزباني باسطنبول مائة يوم، مثل بين يدي السلطان عبد الحميد الثالث، سأله: هل يمكن للسلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يقدم سلفاً للدولة التركية؟ وكانت تركيا إذذاك على أهبة الحرب ضد الأمبراطورية الروسية

والأمبراطورية النمساوية، فأجابه السفير المغربي بأن السلطان سيدي محمد بن عبد الله يقدم للدولة التركية في سبيل الجهاد أموالاً كثيرة لا على سبيل السلف بل على سبيل العطاء المحض...

☆ ☆ ☆

ونعود إلى السفير اسماعيل أفندي السالف الذكر لنقف على تقرير له سرى رفعه إلى السلطان عبد الحميد بعد عودته إلى بلاده وهو بتاريخ 15 ربيع الأول 1201 = 5 يناير 1787 وقد عثرت عليه ضمن الوثائق التي وجدتتها في اسطانبول... والتقرير يكشف عن كثير من الجوانب المبالغ فيها كما يصور الخوف الذي كان يهيمن على العثمانيين من المركز المرموق الذي كان ينعم به العاهل المغربي ليس ببلاده فقط ولكن عبر أقطار الشمال الإفريقي ومصر والحجاز وبلاد اليمن...!! تقرير من ثلاث صفحات من الحجم الكبير مزدحم الكلمات...

«...وفي أثناء إقامتي بالمغرب ورد خمسة أشراف من عربان الجزائر يشكون ما انتابهم من ظلم من أهل الوجاقات (الولايات)، فأشار عليهم بالذهاب إلى الدولة العلية، فأجابوه بأن اسطانبول على مسافة ستة أشهر فكيف نستطيع الذهاب؟! وهنا بعث بهم إليّ لأسمع كلامهم، فلما استنطقتهم نقلوا حالات من الظلم يندى لها الجبين واعترضني منها عارض!! والحق - يقول اسماعيل - أن ظلم العثمانيين لمن تحت أيديهم من أناس وممالك شيء يمجه العقل ويرفضه الشرع، وقد ذكر لي أن سكان الجزائر لا يرضون بما يقوم به حكاهم، وانهم يرسلون المولى محمد ويبعثون إليه خفية ويستغيثون به...!!

إن أحداً من الحكام لا يتوفر على ما يملكه المولى محمد من جند وخرائن، وله من القوة والاقتدار ما ليس لغيره، وقد استخبرت وعلمت من بعض الملاحظين أن باي تونس، وباشا طرابلس وما يتبعهما من قبائل وعشائر عربان تلك البلاد يضمرون الحبّ خفية للمولى محمد نكاية في عسكر الجزائر! وأن لهم معه مكاتبات ومراسلات، ولهذا فإنّ لم تسع الدولة العلية لدفع ظلامات هؤلاء المغاربة مما التمسه المولى محمد فإنه والعياذ بالله - إذا استيأس الناس أخشى أن يزحف مولاي محمد على الجزائر وينتهي الأمر...!!

جانب مذکورده انچه در اخبار و کتب معتبره مشاهده نموده و مشاهده نمودن
برای اعادیت چنین تقدیریه اظهار امیدواریم که در این باره مطالبی که در این
امروزه احوال بجز فواید دیگر و مسائلی که از این کتاب و کتاب دانت نموده از آن کتب و کتب
اسیرکی فواید و احوالی است که در این باره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
مورخینک در این باره کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
مذاهب معتبره و کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
برعکس و کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
و کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
افزاید بیان احوالی که در این باره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
شریعت معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
بوده و کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
نامه کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
تسیم این کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
امد کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
دخی کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
مطلبی که در این باره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
طلب و کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
فراهمی که در این باره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
شوکت کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
سان کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
مصدر رزق سعید امیدواریم که در این باره کتب معتبره و کتب
لیاسی و کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
طوتی که در این باره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
و کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
و کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
شریعت کتب معتبره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب
مطلبی که در این باره مشاهده نموده و در این باره کتب معتبره و کتب

طرف حضرت جلاله من خاير ما كى مول محمد بن موفى عبد ربه بن عيسى بن علي العباسي بازيون عالمي و...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجمع الطلقات وانزل ثم الزين كذا...
والذي من لا زكوة خالصون اللهم صل على محمد وآل محمد
وقتنا بركته ورحمته حفلة شريفة القويم ورحمة الى مرادك اللهم وعاء ما...

هذا ولا يخفى الكتاب الباب...
وغيره من صفات الانبياء...
المعصية عن الله الطوبى...
فوقه وصدق ما...

رسالة هامة من السلطان عبد الحميد إلى السلطان سيدي محمد ابن عبد الله بتاريخ أواسط
جمادى الأولى 1201 = مارس 1787 وقد جاءت أهميتها من أنها تأتي في ظروف كان الباب العالي
يتأهب لإعلان الحرب ضد الموسقو (الروسيا) عندما قامت الامبراطورة كاترينة بجولة في بلاد
القرم وأقام لها القائد بوتكين أقواس نصر كتب عليها : طريق بيزانطة ! لقد علمت الدولة أنشد
الهدف الحقيقي، وتأكد لها ذلك لما اجتمعت كاترينة في جولتها تلك مع ملك بولونيا
وأمبراطور النمسا... (تاريخ الدولة العلية العثمانية ص 173).

ويظهر أن الجواب عن رسائل سلطان المغرب حملها إليه المبعوث العثماني كاتب الديوان أحمد عزمي أفندي الذي ورد عام 1202 = 1787 في جملة من أعيان القسطنطينية مصحوباً بهدية فاخرة فيها بعض المخطوطات المتعلقة بالحديث الشريف، ومنها سروج «ثلاثة مرصعة بالجواهر وصينية ذهبية وكؤوس عشرة من الذهب أيضاً وبراد (إبريق) من الذهب، والكل مرصع بالجواهر واليواقيت والألماس وجبنيتان مرصعتان بالألماس وراية عظيمة من الحرير الأخضر مكتوب عليها بالذهب الأحمر آيات قرآنية، هذا إلى تخوت وثياب من عمل الهند وحلب الشام منسوجة بالذهب، ومصحف كريم محلى بالذهب مرصع بالجواهر وأقواس للرمل محلاة بالذهب مرصعة بالجواهر وبسط أرمنية بمخادها وسجادتها...

وقد وجدت أثراً لتقرير رفعه إلى حكومته السفير أحمد عزمي أفندي الذي عاد إلى اسطنبول بتاريخ 9 رجب 1202 = 1787 - حسبما تقول المصادر المغربية والتركية - وقد كان فيما ورد في هذا التقرير أن سلطان المغرب سوف يقوم بواجبه إزاء عبور السفن الروسية عبر جبل طارق...

وفي سنة 1203 = 1789 أرسل السلطان سيدي محمد بن عبد الله بسفير القائد محمد الزوين ابن القائد عبد الله الرحماني وكان مصحوباً بطائفة من الأسرى الأتراك الذين أنقذهم العاهل المغربي من نابولي إضافة إلى هدية من جملتها سفن أربع عدة رجالها نحو أربعمئة رجل بين رؤساء وبحرية وطبجية، وكان رؤساء تلك السفن: الرئيس على الصابونجي السلوي والرئيس قدور شايب عيّن الرباطي والرئيس عبد الله العسري السلوي والرئيس محمد العنقي الرباطي التركي الأصل، وكان هذا الاتصال بمساعدة كارلوس الرابع.⁽³¹⁾

وقد استمرت المراسلات والمساعدات المغربية وهكذا نجد الطاهر فنيش مرز أخرى بالقسطنطينية صحبة أحمد عزمي أفندي يحمل معه آلاف القناطير من النحاس والبارود وملحه المصقى والمراكب والسفن وآلاف الدنانير... هذا إلى نسخة من تأليفه «الفتوحات الإلهية»..

(31) لقد طرح الباحث الإسباني لوريدو دياز سؤالاً حول صحة الأخبار التي ذكرت أن العاهل المغربي جهز أربعين ألف رجل لاسطامبول ؟ Hesp. TAM 1986.

وقد اتجهت بعثة مغربية أخرى تحمل العتاد والسلاح للسلطان عبد الحميد الذي وجدته البعثة قد توفي ! ونجد أثر هذه البعثة في رسالة موجهة من اسطانبول إلى المغرب أواسط جمادى الأولى 1204 = 1790 يخبر فيها السلطان سليم الأول العاهل المغربي بأن كتابه قد وصل على يد سفيره افتخار الأماجد الأكارم الحاج المكي بارقاش دام مجده وكان موجهاً «إلى عمنا المرحوم السلطان عبد الحميد خان وذلك أربعة سفن من سفائنكم الجهادية - على حد تعبير الرسالة - وقد أجزنا سفيركم المذكور بالعودة إلى جنابكم حاملاً رسالتنا... والواجب علينا من جهة الوحدة الإسلامية الإخبار بما كان وما سيكون، والتعاوض فيما يمكن لنا ولكم في الظاهر والباطن ولا يخفى عليكم العدوَّان القويان وهما الروس والكروس !

ويتبع السلطان محمد الثالث سفارة بركاش بوفادة تعزية للسلطان سليم الأول برئاسة القائد محمد بن عبد الله الزوين الذي عاد لتركيا مرة أخرى... ونجد رسالة جواب عن التعزية يتسلى فيه سلطان تركيا بأن «الموت باب وكل الناس داخله...» متخلصاً إلى كشف مساعدة أخرى قدمها المغرب إلى تركيا، ويتعلق الأمر بوصول ألف قنطار من ملح البارود وبإبلاغ خمسمائة وستة وثلاثين أسيراً تركياً افتداهم السلطان محمد بن عبد الله من مالطة... وقد عاد السفير الزوين ببعض العلجات الحبشيات⁽³²⁾

☆ ☆ ☆

وإذا كانت سياسة الخارجية المغربية تعثرت إثر وفاة المغفور له محمد الثالث بالنسبة لبعض الدول نتيجة للظروف اللاحقة فإنها ظلت بالنسبة للقسنطينية وللولايات التابعة لها على نحو ما كانت عليه من تبادل الود والمساندة المطلقة.

(32) يذكر الضعيف في تاريخه أن القائد الزوين عرضت عليه أثناء الشراء، علجة حسنة ومغنية تحفظ خمسة عشر طبعاً من طبوع الآلة التركية وتضرب الكامنجة، فطلب من بائعتها أن تتركها عنده بقصد الاختبار حيث استمع إليها وهي تعزف وتغني، ولكنه لما سمع في اليوم الموالي عن قيمتها : 400 مثقال، استثقلها وردّها بالرغم من تدخل صاحبه التليبتى التطواني... قال الضعيف معلقاً على هذا : أبى شراءها لمدم رقته ولكونه بدوياً !! (اقرأ في هذا الكتاب ج 1 ص 87 وكاد أن يعود) تاريخ الضعيف ص 215، سجلات الديوان السلطاني رقم 187.

الحمد لله الذي هدانا لهذا... والله اعلم بالصواب

الحمد لله الذي هدانا لهذا... والله اعلم بالصواب

الحمد لله الذي هدانا لهذا... والله اعلم بالصواب

رسالة إلى محمد بن عبد الله... وصل كتابكم المستطاب بيد سفيركم بارقاش المكي دام مجده الذي أرسله إلى عمنا المرحوم السلطان عبد الحميد خان... وذلك أربعة سفن من سفائنا وقد أجزنا سفيركم المذكور بالعودة إلى جنابكم بصحة نميقتنا... والواجب علينا وعليكم من جهة الوحدة الإسلامية الإخبار بما كان وسيكون والتعاقد فيما يتمكن لنا ولكم في الظاهر والباطن ولا يخفى عليكم العدوان القويان وهما الروس المنحوس، والكفرة الكروس وأنا الآن مشغول بإعداد أدوات الجهاد... وهي بتاريخ أواسط 1204 = 1790.

وهكذا فبمجرد مبايعة السلطان المولى يزيد ، بعث هذا برسالة إلى السلطان الجديد سليم الثالث يعزيه ويهنئه كما يخبره بوفاة والده وتربعه هو على كرسي الحكم حسبما تكشف عند مذكرة بتاريخ 23 ربيع الأول 1205 = 30 نونبر 1790، كانت ترجمة لخطاب اليزيد الذي حمله إلى سليم الأول القائد محمد...

وقد أضاف مولاي اليزيد عنصراً جديداً في رسالته يستدعي منا الرجوع لما سلف من مراسلات متبادلة بين والده وبين السلطان عبد الحميد، ويتعلق الأمر بمبلغ من المال كان والده أمر بإرساله إلى اسطانبول عندما رفضت مالطة فداء الأسرى بذلك المبلغ... فهنا نجد اليزيد يطلب السلطان سليم بإرجاع الألف سبيكة من الذهب التي كانت أرسلت بواسطة السفير القائد الطاهر فنيش...

وقد صادفت السنوات الأولى لتلمك السلطان المولى سليمان مداهمة نابليون الأول للأسكندرية، صيف سنة 1798 = أوائل سنة 1213 وهكذا اتجه الباب العالي نحو السلطان المولى سليمان برسالة تفيض عاطفة، وتصف أهداف نابليون داعية إلى توحيد الجهود من أجل إحباط أحلامه...

ولم نقف على نص هذه الرسالة المؤرخة يوم 3 ربيع الأول 1213 = 15 غشت 1798 بعد شهر ونصف من نزول نابليون بالأسكندرية، ولكنني حصلت على ترجمتها بالإنجليزية بمساعدة الباحث الأمريكي الزميل نورمان سيگار (Norman Cigar)⁽³³⁾ وقد كان بعث بها الوزير المعتمد لجلالة الملكة البريطانية في اسطانبول.

«... لقد حطّ نابليون بونابارت في الأسكندرية... وهو يخطط لاقتحام مكة والمدينة وبيت المقدس ولهذا فقد أصبح واجباً في الدين على سائر

(33) حسب معلومات الزميل المذكور فإن أصل الرسالة يوجد في المتحف البريطاني، أوراق نيلسون.

British Museum, Nelson Paper, Vol VI 280, Additional 34 P. 907

وقد علق الزميل نورمان سيگار على الرسالة بالعربية «قيد كما وجد ويحتوي الأصل على أغلاط متعددة في النحو والأسلوب الخ...».

المؤمنين سواء أكانوا في الشرق أو الغرب، وسواء أكانوا عرباً أو عجماً أن يوحّدوا صفوفهم لمناهضة هذا الكافر... وإن الأمل معقود عليكم أيها السيد العظيم لتدافعوا من أجل حماية حوزة الإسلام والمسلمين...».

وقد عثرت في اسطانبول على نسخة من الرسالة التي أُرِدَها السلطان سليم الثالث إلى السلطان المولى سليمان وكانت بتاريخ 19 شعبان 1213 = 27 يناير 1799 يفصل له فيها أخبار هجوم نابليون الأول على مصر بغتة، وما اقترفه المحتلون من فظائع ضد العلماء والنساء والصبيان، ويعلمه بأنه عيّن القائد أحمد باشا الجزائر لمناهضة المهاجمين، كما يعلمه بأن العثمانيين تحالفوا بهذا الصدد مع بريطانيا ويطلب للعاهل المغربي المساعدة على تسهيل نقل الذخائر عبر جبل طارق إلى أن تتخلص الديار من هول هذه الحملة الجائرة !

وبالرغم من أننا لم نعثر عن جواب المولى سليمان عن هذه الرسالة إلا أن من المؤكد حسب الوثائق المغربية والبريطانية أن العاهل المغربي قدّم عوناً للعثمانيين من أجل تخليص مصر لا تنساه الأيام، بالرغم من السفارات المتوالية التي بعث بها نابليون إلى ملك المغرب آنذاك ليصرفه عن عون مصر...

ولم يتجلّ ذلك العون في مساندة بريطانيا واسبانيا فقط ولكنه تجاوزه إلى وجود طائفة من المقاتلين المغاربة على أرض مصر ضد حملة نابليون على ما تؤيده إفاذات الجبرتي...

وهكذا رأينا اليوم أن مشاعر الأدباء المغاربة تتفجع للهول الذي حل بمصر، وهكذا حفظنا من نظم لأبي الربيع سليمان الحوات هذين البيتين :

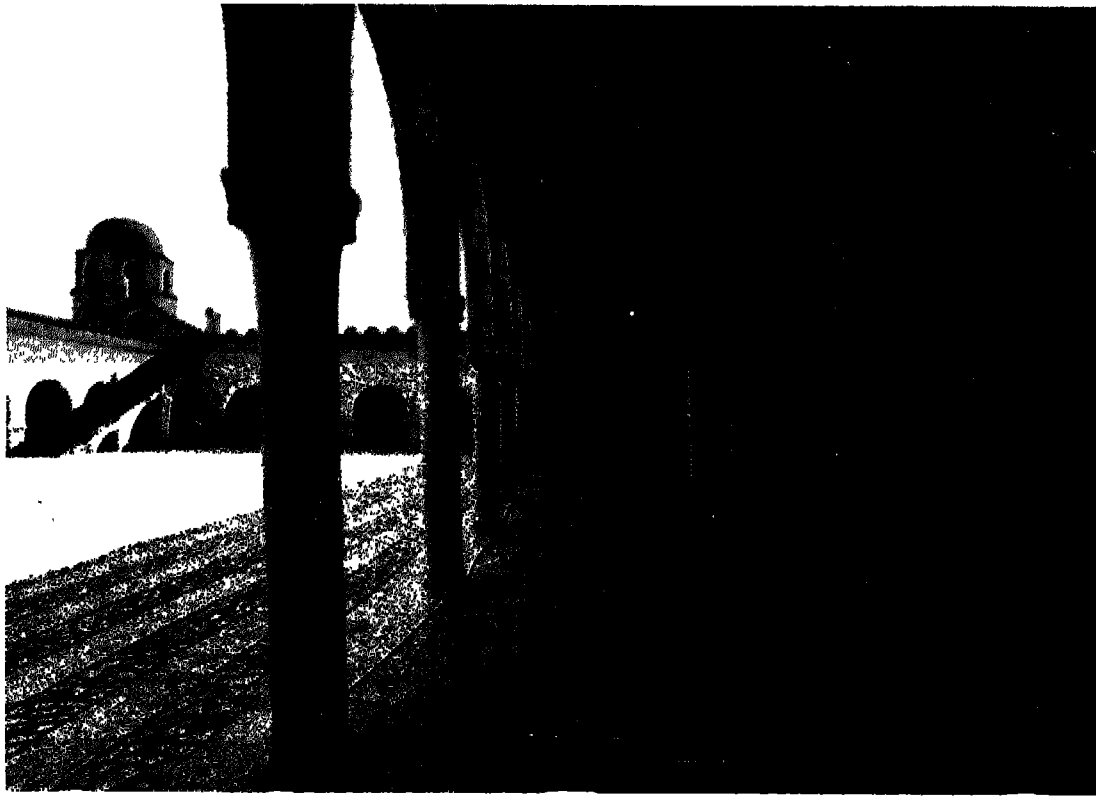
فإمعنْ الإسلام مدُّوا بقوةٍ إلى الله بالشكوى عسى يحلّل الوعر
ولا تغفلوا ! بل استعدُّوا بقوةٍ وهل أخذتُ إلا بغفلتها مصر؟!
وليس فقط بالشعر الفصيح، ولكن «الشيوخ» أسهموا بالقصائد الشعبية... (34).

(34) تاريخ الضعيف : ص 356 محمد الفاسي : مشاركة المغرب في الجهاد المصري للحملة الفرنسية / دعوة الحق 1973 معلمة الملحون (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية 1406 = 1986 سلسلة التراث).

وتخفف امة محمد عليه السلام من شوقهم ونهمهم فبعد ما صار اتفاقا هذا معلوما لديكم نوبل من اخوتكم العتيبة وتحررتم الراسية ان تقاطعوا
 طائفة الوثنيين بها مودة الاصدقاء ولما تعلموا في نظام الذخائر الجبلية اكانت تحت تصرفهم ونيلهم بل بها ساعدتهم في ذلك
 الذخائر فربما يكونوا لولا النعم العائد عليهم هو عائد علينا وايضا هم راغبون في التجارة في اوقافكم ودياركم بالاجرة
 بصالحكم ليدارهم وجيب بعضنا يعرفكم ليداركم ولو تخفى ان فيهم نفع لهم الطرفين ودم يشمل التقدير والاعمال والاعمال
 في كل يوم وتوقفهم في رغبهم اذ ليس فيهم من يربح بل كلها عرفتموها وما طاعة القريبين وبها عين لعمرة الله والملائكة
 والناس جميعهم فالواجب على صلواتكم الدينية وقبرنكم الاسلامية الالوتساحر ونظيرها في كل من يتألفهم ويسلوا
 في صالحكم القبيح ويرتكب ما ارتكبه من الوصايا الفعوية بل تقف لهم ودايرهم وتزيبهم زودهم ووقايهم ووقايهم بايديهم
 منصف حالهم وظلمت بالهم ويورث قوة اهل الاسلام ومنصف تلك الخونة اللثام وذلك الخيانة لذين جددت محمد عليه السلام
 وشعبه الملائكة القادة الى يوم القيام لانه القايمة التي ارتكبها واللعنة الواسعة عالمهم على جميع المودين ووجها
 الخلفاء ومن وضعها العزيز على كافة المسلمين على المصطفى كونه كان زافرة وما عبقرة ورعة وذلك كبريت تقضيا يدين به
 سبب حقيقته لو تخفى على حكم الوقاد وهدمك النمار والمجاهل انكنا من لعلت ذاتك السنة وشبهك الفاروقه ان تكون معنا
 على قلب واحد بعضنا بعضنا عند قنشر كونه ساعد الحمد والوجيزاد امانه لديرو الله وتشرية محمد خير العباد فترى هل
 الدنيا لله من غير البرية عليه افضل الصلوة واكمل التحية والسلام على اعدائهم والتابع محمد من سائر العباد
 العظيم لانه ثلث عشر ومائتين والعشرون

شكاية تركيا بنايليون الأول ومصر.

إخبار المولى سليمان بهجوم نابليون الأول على مصر بفتة وما اقترفه المحتلون من فضائح ضد العلماء والرؤساء
 والهيئات العلمية وبأنه عين القائد الحاج أحمد باشا الجزائر لمناهضة الفرنسيين، ويعلمه بأن العثمانيين تحالفوا بهذا
 الصدد مع بريطانيا ويطلب للعاهل المغربي المساعدة على تسهيل نقل الذخائر عبر جبل طارق حتى تخليص الديار
 المصرية من هول الهجوم وهي بتاريخ 19 شعبان 1213 = 27 يناير 1799.



صورة المسجد الكبير بسوسة

وقد توالت الاتصالات بين الباب العالي والمملكة المغربية حيث نجد السلطان المولى سليمان يبعث برسالة تهنئة للسلطان مصطفى الرابع بمناسبة تقلده الحكم وفي جوابه على التهنئة، نجد مصطفى يستنجد بالعاقل المغربي عندما شبت الحرب بينه وبين موسكو من جديد حيث كتب مصطفى يطلب سنة 1222 = 1807 أن يشد عضده بأن يقيم مراكزه القرصالية في بوغاز جبل طارق ليلا تدخل المراكب الحربية الروسية وتعيث في الولايات التابعة للعثمانيين، وقد لبى السلطان مطالب اسطانبول⁽³⁵⁾ بالرغم من أن العاقل المغربي كان يواجه في هذه الظروف ضغط الدول الأوروبية لتعطيل أسطوله الحربي !

وبالرغم من موقف اللامبالاة أو المجافاة الذي اتخذه الباب العالي ونحن نعاني من أزمنا الحادة مع أمبراطورية النمسا، ذلك الموقف الذي يتجلى في (الفرمان) المرسوم الذي أصدره بتاريخ 15 ربيع الأول 1245 = 14 شتنبر 1829 إلى داي الجزائر بعدم مساندة المغرب ضد النمسا بحجة أن هذه الأخيرة في حالة سلم مع تركيا⁽³⁶⁾ فقد تناسى المغرب هذا الموقف ملتصقاً العذر لظروف العثمانيين آنذاك...

وهكذا عبر العاقل بمناسبة انتزاع فرنسا للجزائر من تركيا سنة 1830 عن مشاعر الحزن والأسى...

☆☆☆

ومع الجهات السائرة في فلك العثمانيين...

ويزاء تلك الاتصالات مع الباب العالي كانت للمغرب علاقات خاصة مع الإيالات التي كانت تخضع لإسطنبول، وستعرض لها هنا باختصار علاوة على بعض ما أشرنا إليه في غضون الورقات السابقة...

(35) الاستقصا 8 ر 113 - الروضة السلمانية، مخطوط ص 182 (ب).

(36) سجلات الديوان السلطاني تحت رقم 246 ص 41 - الأتراك في شمال إفريقيا 2، ص 37.

وهكذا فقد وجدنا أن أتراك الجزائر يقضون من تحرك العاهل المغربي نحو تحرير مليلية من هيمنة الإسبان، موقفاً غريباً عندما خذل داي الجزائر العاهل المغربي (محرم عام 1189 = مارس 1775).

لقد سلط الداوي محمد نغمته على بعض المسلمين الذين حضروا مع السلطان سيدي محمد حصار مليلية : «لقد أباحوا دماءهم وروعوا أولياءهم وطوفوهم في الأزقة...» على حد تعبير الاستفتاء الموجه للشيخ التاودي ابن سودة الذي أجاب حول الموضوع بما تحتفظ به كتب النوازل على نحو ما أجاب بعده الشيخ بناني... والحافظ العراقي... كما أسلفناه في المقدمة... (37)

ولابد أن نذكر هنا أنه بطلب من داي وهران قام المولى سليمان بمحاولة إصلاح ذات البين بين الداوي وبين طائفة دينية شنت عليه الحرب، ويتعلق الأمر بالفتنة التي شبت بين عرب تلمسان وتركها... (38)

وقد شهدت أواخر أيام السلطان مولاي سليمان حدث مدمرة قطعته من الأسطول الإنجليزي لولاية الجزائر... ونظراً لما تركه هذا الحادث من أثر خراب مدمر أتى على معالم الجزائر فقد قام العاهل بإرسال وفد برئاسة ابنه الأمير مولاي ابراهيم الذي حمل رسالة مواساة إلى باشا القطر الجزائري مصحوبة بعطاء جزيل للتخفيف من الخسارة اللاحقة...

وقد عكس أبو العلاء في مخطوطته «الابتسام»... مشاعر المغاربة إزاء ما حدث بين الأتراك والفرنسيين على أرض الجزائر... ولم يهمل «أسطورة المروحة» التي يرويها المؤرخون عند حديثهم عن احتلال الجزائر عام (1830)، كما أنه لم يهمل تطرح أهل تلمسان على العاهل المغربي يطلبون حمايته... (39)

(37) المجلد الأول من هذا التاريخ ص 138 - 139.

(38) Cour : L'établissement.. P. 266-277.

(39) مخطوطة (الابتسام) لأبي العلاء ادريس ص 19/18، تقديم د. التازي : مجلة المناهل المغربية 36 يولييه 1987.

ومع الإيالة التونسية...

وقد ظلت علاقة المغرب بتونس (حاضرة إفريقية) دوماً متممة بالمجاملة والوَد المتبادل الأمر الذي يدل عليه وجود وكيل للمغرب بها منذ هذا التاريخ... وهكذا كان حديث الذين زاروها من المغاربة، سواء من الأمراء والعلماء أو غيرهم، رطباً ومليئاً بالمعاني الطيبة.

وقد تحدثت مصادر التاريخ التونسي عن زيارة الأمير المغربي سيدي محمد بن عبد الله في طريقه - صحبة جدته الحرة خنائة - إلى الحج حيث اهتزت تونس لمقامه وتفنت في إكرامه.

وأن من أروع الصفات التي سجلها الدبلوماسية المغربية في تاريخ نضالها الشريف لصالح جيرانها في بلاد المغرب الكبير، تلك الرسالة التي تحمل تاريخ 6 ذي القعدة 1184 = 3 مارس 1770 والتي وجهها إلى لويوز الخامس عشر الوزيران: أحمد المهدي الغزال وعبد الهادي السلاوي بأمر من العاهل المغربي، ويتعلق الأمر باحتجاج شديد اللهجة على قصف فرنسا لسوسة..!

وعندما أصيبت البلاد التونسية 1218 = 1803 - 1804 بالقحط الذي أضرّ بالسكان بعث باي تونس الرئيس حمودة باشا بالأديب الطائر الصيت الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي على رأس سفارة لدى السلطان الذي أجلّ مقدم المبعوث التونسي وتقبل منه هدية أخيه حمودة باشا، وتتضمن الرسالة التي بعث بها طلب إمداد البلاد بالميرة مشفّعاً ذلك بهدايا جليلة...

ومع الإيالة الطرابلسية

ويظهر من خلال الوثائق الموجودة أنه كان هناك نشاطٌ تجاري بين السوق المغربية والسوق الطرابلسية... حيث نجد والي طرابلس الغرب يكتب سنة 1168 = 1755 رسالة للسلطان المولى عبد الله حول الموضوع.

☆☆☆

ويتحدث شارل فيرو في كتابه «الحوليات الليبية» عن اتفاقية تمت بين إيالة طرابلس وبين المملكة المغربية كان المفاوض فيها عن الجانب الطرابلسي هو أحمد الخوجة... ونحن نعلم أن هناك تصريحات مغربية تتصل بمهمة السفير أحمد الخوجة. (40)

وبعيد هذا وفي أعقاب توسط المغرب بين إيالة طرابلس وبين الولايات المتحدة الأمريكية قرر الباشا علي القره مائلي أن يبعث بوفادة هامة تشرح للعاهل المغربي ظروف ليبيا، وقد كان علي رأسها العميد الحاج عبد الرحمن آغا البديري الذي صحبته عدة شخصيات كان من بينها صهر السفير وبعض الرؤساء البحريين الطرابلسيين، وقد شاهد القصر الملكي بمدينة مراكش مأدبة غداء كبرى أقامها السلطان سيدي محمد بن عبد الله في منتصف رجب 1204 = ربيع 1790 على شرف السفير الحاج عبد الرحمن وحاشيته حيث أهداه العاهل ساعة ثمينة منبثة بالجواهر المرصعة كما أهداه سبعة من الجياد من أكرم الخيل مع سروج غالية وأسلحة متنوعة وكميات كبيرة من شحنات القمح.

(40) ذكرت في كتابي «أمير مغربي في طرابلس» مطبعة فضالة (المحمدية - المغرب) 1976 ص 77/78 تعليقا حول جامع مولاي محمد... وافترضت احتمال أن يكون القصد إلى الأمير سيدي محمد نظراً لما قرأته في إدارة الأوقاف من نعته بأنه أحد سلاطين المغرب وقد وجه إلي مشكوراً الأستاذ محمد عبد السلام الحفائري وثيقة عدلية تذكر «زاوية مولاي محمد» وهي بتاريخ أواخر رجب عام 1041 = 21 يبرابر 1632. فلعل القصد إلى جد أولاد محمد الفاسي الذين حكموا الفزان ما يزيد على ثلاثة قرون - مصطفى خوجة : تاريخ فزان، منشورات مركز جهاد الليبيين... 1979 ص 52.

عمار جيحدر : مجمل قضايا عن ابن غلبون. مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، مركز دراسة جهاد الليبيين، السنة الرابعة، يناير 1982 ص 55.

شارل فيرو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي. تعريب. د. محمد عبد الكريم الوافي ج 2، ص 564 مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا 1973.

محمد مصطفى بأزاه : الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر، مكتبة قورينا - بنغازي، ليبيا ص 48.

جلين تكير : معارك طرابلس، تعريب عمر الذيراوي أبو مجلة، مكتبة الفرجاني، طرابلس ليبيا ص 290 - يوميات الطبيب جونثان كودري ترجمة د. عبد الكريم بوشويرب - ليبيا 1982.



السفير الطرابلسي الحاج عبد الرحمن أغا

وقد كان ارتفاع عدد الجالية المغربية في بداية أيام السلطان المولى سليمان، وعلى سبيل التحديد عام 1210 = 1795، باعثاً على تعيين «وكيل» يُعنى بمصالح المغاربة هناك على نحو ما كان بالنسبة لتونس.

ومن الطريف أن نجد سفارة من السلطان المولى سليمان في طرابلس الغرب سنة 1212 = 1797 ليس لعلاج معضل سياسي ولكن من أجل اقتناء مخطوط نفيس بألف مثقال كان عبارة عن نسخة من صحيح الإمام البخاري بخط الإمام الصدفي... (41)

وقد تجلّى التضامن المغربي الليبي في أبهى مظاهره عندما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تضرب حصارها على طرابلس عام 1218 = 1803 ونشبت الحرب بين أمريكا وليبيا سنة 1218 = 1803 على ما قلناه في فصل العلاقات المغربية الأمريكية...

(41) التازي : مخطوطة نادرة من صحيح الإمام البخاري - مجلة دعوة الحق المغربية، فارس 1973 مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد 19 ج 1 مايه 1973...

وكان مما ألفت النظر في أحداث شعبان 1226 = شتنبر 1811... الحدث
السعيد الذي تجدد للمرة الثانية في تاريخ العلاقات الإنسانية بين البلدين، ذلك
مصاهرة السلطان المولى سليمان مع ليبيا بعد أن كانت تمت مصاهرة سابقة سنة
1201 - 1787 بين أخيه الأمير المولى اليزيد مع زعيم كبير من أولاد سليمان
على كريمته السيدة حفصة...

☆☆☆

ومع الإيالة المصرية

شهدت الدولة العلوية الحاكمة منذ أيام السلطان مولاي اسماعيل
1117 = 1744 علاقات جيدة مع مصر حيث وجدنا رسالة مسهبة حول موضوع
«المماليك» الذين اشتراهم العاهل المغربي ليكون منهم الجيش المغربي...⁽⁴²⁾

وقد وقفت بمعرض دار الكتب بالقاهرة على مصحف رائع كتب سنة
1182 = 1768 برسم الأمير مولاي علي بن السلطان سيدي محمد بن عبد
الله.⁽⁴³⁾

وقد كانت مصر - علاوة على ما نعرف - تتميز باحتضان عدد كبير من
الأسر المغربية المرموقة حتى لأصبح الاقتصاد المصري في وقت من الأوقات
بيد عائلة الشرايبي...⁽⁴⁴⁾

وقد قرأنا عن اتصال الأمير مولاي عبد السلام 1197 = 1783 بعلماء الأزهر
الشريف ورواق المغاربة ليس فقط لرفع الصلات الملكية ولكن لغرض كان يأخذ
باهتمام العاهل ألا وهو معرفة رأي العلماء هناك حول بنود الإصلاح الذي أدخله
السلطان محمد بن عبد الله على نظام الدراسة بجامعة القرويين من فاس.

(42) د. التازي : العلاقات بين المغرب ومصر - ندوة جمعية أبي رقرق، يولييه 1988 انظر الملاحق...
(43) د. التازي : حول مصحف الأمير مولاي علي، دعوة الحق، عدد 234، جمادى 1404 مارس 1984.
(44) د. التازي : جامع القرويين ج 2، 555 - رواق المغاربة في الأزهر، دعوة الحق، يولييه 1983،
(المصور) المصرية عدد 2 مارس 1984.

علاقة المغرب مع شرافة الحجاز... أيام الملك محمد الأول

لعل الشيء الذي ظل إلى الآن مجهولاً هو امتداد صلات جد الأسرة العلوية مولاي محمد ابن الشريف (محمد الأول) إلى شرافة الحجاز : مكة والمدينة، وهكذا نجده يبعث - منذ أيامه الأولى - برسالة إلى أولئك الأشراف في أعقاب الخلاف الذي شبّ فيما بينهم والذي كان الولاة العثمانيون يستفيدون منه بتلك الديار...

لقد ورد في مخطوطة مغربية⁽⁴⁵⁾ نص الرسالة التي بعث بها لإصلاح ذات البين بين بني عمّه، بل ولترهيبهم إن هم لم يتعظوا بنصحه وهو الأمر الذي يدل على امتداد نفوذ الشريف إلى تلك الجهات...

وقد كان مما تضمنته وهو يخاطبهم : «...الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أشين... وأقسم بالله العظيم ونسب النبي الكريم وبالزمزم والحطيم إن لم تنتهوا عند حدكم لأغمدن فيكم سيف جدكم...!».

أيام السلطان مولاي اسماعيل

ولم يكن غريباً علينا - وقد عرفنا عن الجسر الذي كان يربط دائماً المغرب بأرض الحجاز أن نجد المولى اسماعيل في هذه الظروف بالذات يعزز علاقاته - على نحو الملك محمد الأول - بأشراف الحرمين حيث نجد رسالة منه حوالي سنة 1104 إلى الشريف سعد بن زيد أمير مكة، وقد أورد نصّها كاملاً النقيب بن زيدان في كتابه : «العز والصولة»⁽⁴⁶⁾.

(45) مخطوطة بالخزانة الخاصة للأمير مولاي عبد الله رحمه الله.

(46) مولاي عبد الرحمن بن زيدان : العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية 1381 = 1961، الرباط ص 279. وهناك نسخة مخطوطة بالخزانة العامة لهذه الرسالة تحت رقم

وقد وقفنا على رسالة تهتم هي الأخرى بنصح يتوجه به السلطان مولاي اسماعيل للشخصية المذكورة سعد بن زيد بن محسن، وقفت عليها ضمن مجموع مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط. (47)

ولا بد أن نشير مرة أخرى للرحلة التاريخية التي قامت بها عام 1143 = 1731 إلى البقاع المقدسة الأميرة الجليلة خناثة التي كانت تنعت بالسلطانة.

كان في الإمكان أن لا نركز على هذا الحدث الذي يتراءى وكأنه لا يعدو قياماً بنسك من المناسك، ولكن ما كان يقصد به من التعريف، في المشرق، ببلاد يقال لها المغرب الأقصى، كان يحثنا على إبراز هذه الوفاة على أنها - إلى جانب أنها عبادة - حققت أهدافاً سياسية بعيدة المدى. (48)

وأخيراً نذكر وفاة وردت على السلطان المولى عبد الله من مكة المكرمة وصلت إلى فاس يوم 4 ذي القعدة 1168 = 12 غشت 1755 حيث خرج بنفسه لاستقبالها على ما يحكيه الأسير السويدي ماركوس بيرك (Marcos Berg)، ويبدو أن البعثة أتت بقصد رفع التعزية إلى العاهل المغربي في الكارثة التي حلت بمركب الحجاج المغاربة والتي أودت بحياة مئات منهم حيث لاقوا مصيرهم في البحر... (49)

وقد شاهدت سنة 1193 = 1779 حدثاً من أبرز الأحداث التي كانت محل تعليقات من القناصل الأجانب المقيمين بالمغرب وعلى رأسهم لوي دوشينيي القنصل الفرنسي، ويتعلق الأمر بالمصاهرة التي تمت بين سلطان المغرب وأمير الينبوع... إن الحدث يعدو أن يكون مجرد مصاهرة أسرتين، يعدوه إلى أن يكون دعماً للصلات التي تربط بين سلالة النبي ﷺ مغرباً ومشرقاً...

(47) مجموعة رسائل سعية وعلوية تحت رقم 12598 (الزيدانية).

(48) د. عبد الهادي التازي : أمير مغربي في طرابلس، مطبعة فضالة - المحمدية - المغرب 1976.

(49) Description de L'esclavage Barbaresque Dans L'empire de Fez Par Marcus Berg. Stockholm 1757. Traduit du Suédois Par Jacques Macau 1974 p. 28

وقد عهد إلى الأمير مولاي عبد السلام عام 1197 = 1783 بتسديد الصلات المخصّصة للحرمين الشريفين وقدرها ألف سبيكة من الذهب موزعة على أشرف وضعاف البلاد باستثناء الرافضة الذين يكرهون الشيخين، إن هؤلاء لا يأخذون ولو درهماً واحداً، ومن حباهم بشيء من المال فالله حسيبه على حد تعبير نص الهبة. (50)

وقد شهد مطلع سنة 1226 = 1811 سفارة تتنقل من نجد الحجاز إلى مدينة فاس لدى السلطان المولى سليمان مرسلّة من الأمير عبد الله بإيعاز من والده الإمام سعود : لقد أبطل الدعاء للسلطان العثماني في خطب الجمعة منذ 1223 = 1808 وتم تحرير معظم الجزيرة، وكانت الوفادة تحمل رسالة تشرح فيها مبادئ الدولة الجديدة التي تركز على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي أقلقت الوجود التركي بالمنطقة. ولا بد أن نلاحظ أن اختيار المغرب بالذات لهذه الوفادة كان يرتكز على أنه أي المغرب لم يخضع أبداً للهيمنة العثمانية ! وعلى أنه أي المغرب يصاهر أمراء الحرمين، ولو أنها أي الوفادة مرت بتونس أملاً في الحصول على المساندة كذلك...

وقد رأينا السلطان المولى سليمان يجمع أكابر العلماء لمدارسة الرسالة وعهد للشيخ سيدي حمدون بن الحاج بالإجابة عن رسالة الوهابي برسالة شعرية حملتها في نفس السنة إلى المشرق بعثة مغربية هامة وكانت البعثة برئاسة الأمير مولاي ابراهيم بن السلطان المولى سليمان... حيث جرت هناك مناظرة بين المغاربة والوهابيين حول الدعوة الجديدة وبخاصة حول زيارة القبور... وقد زارت البعثة المغربية الروضة الشريفة في الوقت الذي كان يتعذر فيه ذلك على الغير..!

وقد تصدّت للحديث عن الوفادة الحجازية للمغرب والجواب عنها بالوفادة السليمانية للمشرق، طائفة من المصادر المغربية نذكر منها على الخصوص (الترجمة الكبرى) لأبي القاسم الزيّاني، ومخطوطة الابتسام لأبي العلاء ادريس

(50) توجد صورة لنموذج للمبالغ التي كان السلطان سيدي محمد يبعث بها للديار المقدسة، انظر ورقة

14/13 من الحوالة الإجماعية الأولى (مخطوطة رقمها بناس 46) ورقم الفيلم بالرباط 158.

د. التازي : بيوت وآثار بالجزيرة العربية من خلال المراسلات الدبلوماسية... مؤتمر الرياض،

1977. دعوة الحق، عدد غشت - شتنبر 1977 الاتحاف 3، 229 - 230.

والاستقصا للناصري... كما تحدثت عنها كتب النوازل المغربية، وعلّق عليها
عدد من العلماء بما يفيد أنّ المغرب لم يتأثر بدعوة الوهابيين... (51)

الشيخ أحمد بن ادريس

هذا علم من الأعلام المعروفة جداً في المشرق وخاصة في مصر والسودان واليمن... ويعتبر من أهم الجسور
التي ربطت المشرق بالمغرب...
هو من مواليد المغرب (رجب 1173 = يبراير 1760) وقد ازداد بميسور⁽¹⁾ ودرس في فاس وعن علمائها
تخرج، وقد رحل إلى مكة حيث اتصل برجال العلم الذي توصّوا فيه مخائل الرجل العالم الواصل...
وفي مذكراته عن رحلته إلى مكة عام 1238 = 1823 تحدث أبو العلاء ادريس صاحب مخطوطة (الابتسام
عن دولة ابن هشام) عن اجتماعه بهذا الحافظ المحدث العابد الناسك... الذي انتقل في آخر أيامه إلى اليمن
حيث توفي هناك في حدود الخمسين ومائتين وألف بعد أن أنشأ إمارة إدرسية هناك...
وكان يفتي الناس رأياً ولا يقلد أحداً من الأئمة الأربع، فإذا سئل عن حكم، قال: قال رسول الله ﷺ،
فكلم في ذلك فقال: لا أدع حديث رسول الله لقول مالك وابن القاسم... وتلاقيت معه في جماعة من أهل فاس
في بيته بأعلى مكة... وكان رحمه الله يطول في صلاته كثيراً في قيامه وركوعه وسجوده فلا يقدر أحد على
الاعتداء به... وقد ترك ابن ادريس في السودان مدرسة وأسرة وسمعة لتبليها الأيام...

(1) يذكر بعض الكتاب المشاركة أنه من نواحي العرائش، وربما كان هنا ناشئاً عن اللبس بين ميسور في
الجنوب ومزورة في الشمال. تاريخ القرويين ج 3 ص 809 التاريخ الدبلوماسي للمغرب 3، ص 198.

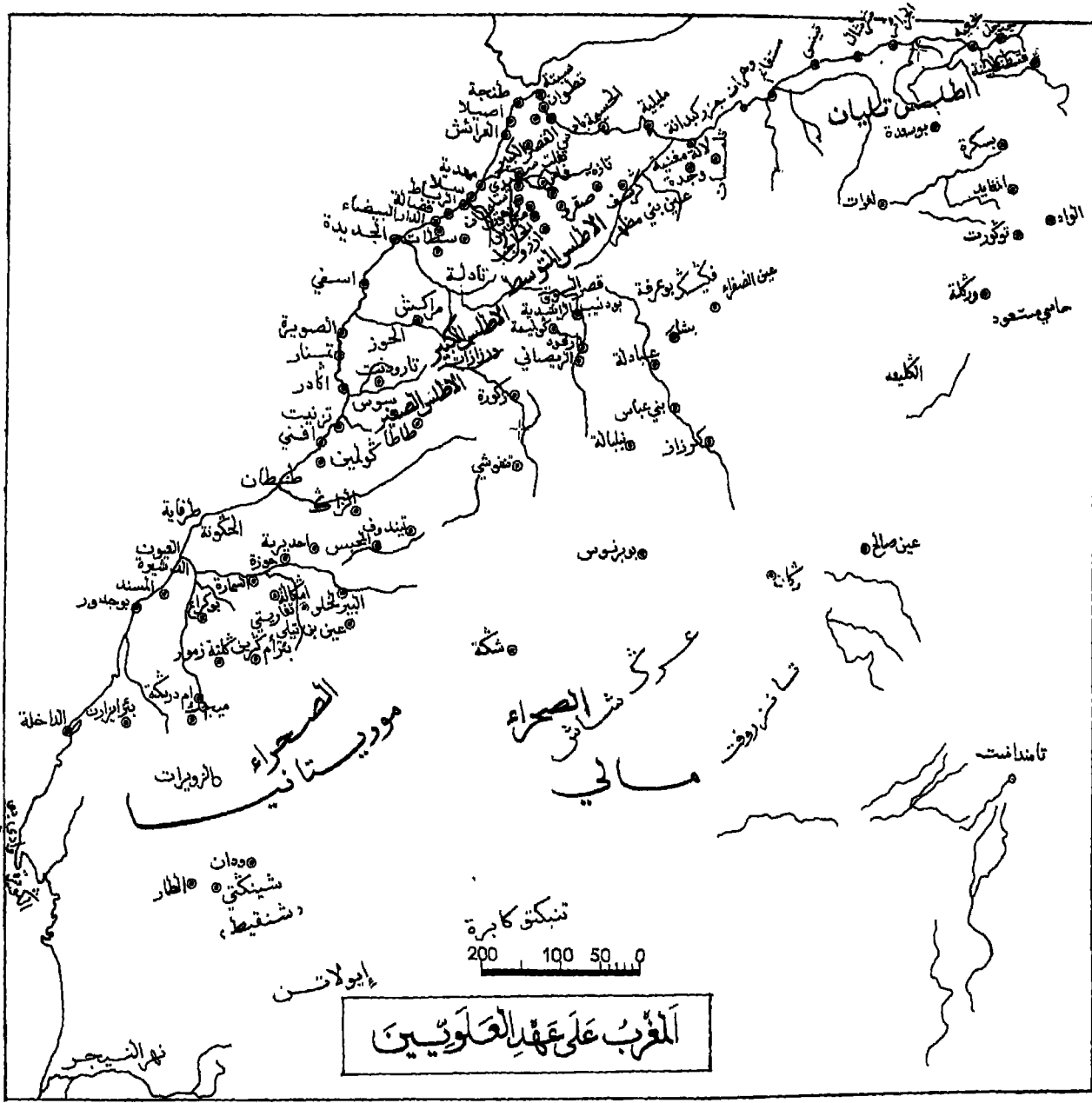
علاقات المغرب ببلاد السودان

في تقريره عن تونبوكتو يتحدث القنصل الأمريكي بالمغرب فيليكس
ماثيوس عن حركة السلطان مولاي الرشيد ملك المغرب عام 1670 = 1080 -
1081 التي شجعت تبادل المنتوجات وإنشاء شركة مغربية مكونة من تجار من
أهل فاس كوّنوا لهم معملاً بتونبوكتو ازداد توسعاً وازدهاراً... (52)

ولقد وطد السلطان مولاي اسماعيل امبراطور المغرب قواته في تونبوكتو
واستقر جنوده بالقصبة المغربية المذكورة.

(51) مخطوطة (الابتسام عن دولة ابن هشام) لأبي العلاء ادريس، تقديم د. عبد الهادي التازي، مجلة
المناهل المغربية 1987 - نوازل الوزاني 3، ص 80 المعيار الجديد 3، 21 - أبو تراب: رسالة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مجلة الدار السعودية، عدد غشت 1981.

(52) طبع هذا التقرير بطنجة عام 1881 وعشرت على نسخة منه في الأرشيف الوطني بواشنطن،
مجلة البحث العلمي عدد 31، ذي الحجة 1400 = أكتوبر 1980.



الحدود المغربية الجنوبية والشرقية بداية الدولة العلوية

ورد في نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لأبي عبد الله الأوفرائي ما نصه، صفحة 305 :
 «واستولى (مولاي اسماعيل) على تخوم السودان وبلغ فيها ما وراء النيل وانتشرت دولته في عمائر السودان،
 وبلغ في ذلك ما لم يبلغه أبو العباس أحمد الذهبي المنصور ولا أحد قبله، وامتدت مملكته من جهة الشرق إلى
 قرب بسكرة من بلاد الجريد ونواحي تلمسان».

وبمناسبة استرجاع مدينة العرائش من يد الإسبان يوم 18 محرم 1101 =
1 نونبر 1689 بعث السلطان المولى اسماعيل يبشّر واليه على تُثْبِكْتُ بهذا الفتح
وقد كانت هذه الرسالة منه في الواقع جواباً على تجديد بيعة أهل تنكبت للعاهل
المغربي، وهي رسالة طويلة عريضة تأتي عليها إن شاء الله في الملاحق... (53)

☆☆☆

وقد اتخذ المغاربة لهم زوجات في القصبية من سكان الإقليم وامتزجوا
بالوسط وطبعوه بتقاليد مغربية وكونوا لهم ذرية تكوّن جزءاً مهماً من سكان
تونبوكتو...

ولا بد أن نشير هنا مرة أخرى إلى اسم سيدة اشتهرت في البلاط المغربي
بل وفي البلاطات الأوروبية : أنجلترا وفرنسا وهولاندا على أنها سلطانة مغربية
تتمتع بنفوذ سياسي كبير... وتقصّد إلى الحرة الحاجة خنائة بنت بكار زوجة
السلطان العظيم مولاي اسماعيل التي كانت أصلاً من هذه الجهات قبل أن تثقف
على علماء المغرب وتصبح في وقتٍ من الأوقات سيدة القصر الأولى... (54)
ولا يغيب عن الذهن أن الدول الأوروبية كانت على علم تام بالوضع القائم
ومن هنا نراها تحلي العاهل المغربي السلطان مولاي اسماعيل علاوة على وصفه

(53) د. التازي : الوثائق الدبلوماسية للمغرب كمصدر لتاريخ إفريقيا، ندوة اليونيسكو المغرب،
الرباط، أبريل 1987 - مخطوط المكتبة الوطنية بباريز رقم R 66188 - مجلة البحث العلمي
37 - 1988.

التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2، 187 - 188.

(54) وقفت في نسخة مخطوطة من نشر المثاني للقادري محفوظة في الخزانة العامة بالرباط أعتقد
أنها أصلاً من خزانة الكتاني، في ترجمة الفقيه الأستاذ المقرئ ثقة الكتاب وأمينهم أبي عبد الله
محمد المكي الدكالي كان رحمه الله تسلك عليه اللوح (أي تضبطه) الذي تقرأ به القرآن السيدة
الجليلة الفاضلة خنائة بنت الشيخ الجليل سيد قومه وشيخهم بكار المغربي، أم أمير المؤمنين
مولانا عبد الله بن مولانا اسماعيل الحسني لأنها كانت تحفظ القرآن العظيم وتكتب لوحها بيدها
وتبعث له مع أمها يسلكه لها (أي يضبطه)، ولما رحلت للحج سار معها بقصد الحج فحج ورجع
مع خليفة العصر المجاهد في سبيل رب العالمين أمير المؤمنين سيدي محمد بن مولانا عبد الله
إلى أن توفي فيما بلغنا في العشرة التاسعة بعد مائة وألف بمراكش قال القادري : وكانت السيدة
خنائة ألقبه نساء مولانا اسماعيل وجواريه وأقباهم وأورعهم وأحسنهم سيرة، وبهذا تكمل
المعلومات التي قدمتها عنها في كتابي : «أمير مغربي في طرابلس» مطبعة فضالة بالمحمدية -
المغرب 1976 ص 90 - 93...

بإمبراطور المغرب تحليه بسلطان ممالك إفريقيا... وقد جاء ذلك على سبيل المثال في الاتفاقية التي أبرمها ستيوارت سفير إنجلترا لدى بلاط السلطان مولاي اسماعيل.

ويتأكد لدى أن الأمر استمر أيام السلطان مولاي عبد الله ابن اسماعيل على ما كان عليه الحال أيام والده من ولاء تلك الجهات للأشراف العلويين، وبهذا نفس ما ورد في المذكرات التي حررها ماركوس بيرك الأسير السويدي على عهد السلطان مولاي عبد الله، فإنه لم يفته أن يلاحظ أن في صدر الألقاب التي كانت تخلع على العاهل المغربي أنه سيد غينيا...

وإن مما يؤكد هذه الإفادة الهامة حول علاقات المغرب بباقي الأقاليم الإفريقية الجنوبية ما يذكره الدبلوماسي الدانماركي هوست (Höst) من أن الأمير سيدي محمد بن عبد الله - وهو ما يزال ولياً للعهد - عهد إليه والده سنة 1163 = 1750 أي قبل نحو تسع سنوات من تربعه على العرش، بحكم بعض بلاد السودان.

ويبغني أن نفتح قوسين هنا لنذكر بالقرار الذي اتخذته العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 1190 = 21 يبرابر 1776 عندما أصدر تحذيره للشيخ يوسف من ذرية القطب سيدي أحمد بناصر حتى يمنع تملك العقار لليهود الذين يوجدون على حدود بلاد كَنَاوَة...» لقد كان جدنا المنصور بالله مولانا اسماعيل قدس الله روحه كتب لسيدي أحمد بناصر قائلاً: أنتم خلفاؤنا في أمور الديانة هناك فوضنا إليكم تغيير جميع المناكر إلا منكرأ يؤدي تغييره إلى فتنة عامة فحينئذ يجب إعلامنا ليلا يتسع الخراق على الراقع...

وإذا ما واكبنا العاهل سيدي محمد، وهو سيد البلاد، سنجده أولاً يقوم في بعض رسائله لحاكم جبل طارق بتاريخ 6 شوال 1178 = 29 مارس 1765 بتبليغ إنذار إلى ملك إنجلترا بعدم تجاوز الخط 23 كراد⁽⁵⁵⁾ جنوب المغرب حيث كان يتجر الفرنسي...⁽⁵⁶⁾ ويطلب إليه «نشر هذا الخبر عند الميرانطيين وجميع

(55) يلاحظ أن مدلول كراد غير مدول دوكري... ومعنى هذا أن الحدود المغربية الجنوبية كانت تتجاوز الرأس الأبيض على ما تذكره مصلحة الخريطة...

R. Caillé : Voyage à Tombouctou, Maspero, Paris, 1982 T. II p. 144 (56)

الرياس من جنسهم ليتجنبوا مثل هذا الأمر... وقد قدمنا إليكم هذا على وجه الإندار والإعلام...» على ما ذكره في العلاقات المغربية الإنجليزية.

ومن هنا ظل نعت «ملك السودان» يلازم العاهل في عددٍ من الوثائق، الدولية كان منها الاتفاقيات التي يبرمها مع بعض الأمم، ومنها كذلك الخطابات التي يتوجه بها إلى رؤساء الدول، وقد وقفت في أرشيف الدولة بالبندقية على نص الاتفاقية المغربية «البلنسيانية» بتاريخ 25 ذي الحجة 1173 = 15 يونيو 1765، وقد جاء في ديباجتها :

صار الصلح والمهادنة مع برنجبة متاع البلنسيان وديوانهم مع سلطان الغرب انبرادور دي مراكش وفاس ومكناسة وسوس وتافاللت وتنبكت وإقليم السودان السلطان بن السلطان أمير المؤمنين...⁽⁵⁷⁾

وفي رسالته لملك الدانمارك عام 1777 = 1191 نعت نفسه بأنه ملك مراكش وسوس ودرعة وبلاد السودان..

وفي سرد هوست Host عن الأحداث عام 1788 = 1202 - 1203 ذكر أن العاهل المغربي سيدي محمد عهد لولده الأمير مولاي بعد السلام بحكم الأقاليم الجنوبية إلى منطقة الحدود مع غينيا...

وفي معظم الكتب التي تناولت تاريخ المغرب لا بد أن نجد صدى لذكر بلاد السودان وذكر القوافل المتوالية التي لم ينقطع ترددها بين الشمال والجنوب في كل المناسبات.

ولا بد أن نذكر أن هذه القوافل لم يقتصر شأنها على الأغراض التجارية ولكن يتجاوزها إلى الأغراض العلمية حيث سجلنا عدداً من رجال شنقيط ممن كانوا يترددون على مدينة فاس لأخذ العلم وتعاطيه عن شيوخ جامع القرويين من أمثال الشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محنض أحمد العلوي...

(57) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 291.

الذي رافق الركب المولوي أيام سيدي محمد بن عبد الله لأداء فريضة الحج
صحبة الأمير مولاي اليزيد. (58)

وقد نص صاحب كتاب (إنفاق الميسور في تاريخ التكرور) محمد بلو بن
عثمان بن فودي على ذكر وثائق وردت من السلطان العدل مولاي سليمان
سلطان المغرب على حد تعبيره، وكانت الأولى بتاريخ أواسط جمادى الثانية
عام خمسة وعشرين ومائتين وألف = أواسط يولييه 1810. بينما كانت الوثيقة
الثانية على سبيل التحديد بتاريخ الثامن عشر من جمادى الأخيرة من نفس
العام.... (59)

وكان ورود الرسالتين من السلطان المذكور جواباً على رسالة حملها الشيخ
عثمان بن منصور التواتي سفيراً عن أمير آهر بالسودان الغربي (نيجيريا)
محمد الباقر، وقد اهتمت الرسالة السودانية التي حملها السفير باطلاع سلطان
المغرب على سير حركة المقاومة القائمة، ضد المتقصددين للبلاد من الأجانب،
بقيادة الشيخ الإمام عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح الفلاني وكانت إحدى
الرسالتين للأمير الباقر، بينما كانت الثانية للشيخ عثمان... والرسالتان معاً
تتضمنان التشجيع على مواصلة الجهاد حفظاً للبلاد من الدخلاء، ومن المهم أن
نشير إلى ما ورد أواخر الخطاب السليمانى للأمير الباقرى :
«... ويصلك الطابع الذي بعثت عليه على الوصف الذي أشرت في كتابك
إليه».

لقد ظلت الصلات بين الأمبراطورية المغربية وبين السودان على نحو ما
كانت عليه منذ عصور : حيث نجد المساجد تردد أيام الجمع دائماً اسم العاهل
المغربي تيمناً بذكره وتعبيراً عن الولاء الذي تكنه تلك الجهات إلى سلطان
المغرب كما نجد المناطق تتصيد فرص الأعياد، وفرص تربع الملوك على كرسي
الحكم لترحل في اتجاه الشمال لتقديم التهاني والإعراب عن الأمانى...

(58) د. الغازي : الوثائق الدبلوماسية للمغرب كمصر التاريخ إفريقيا الندوة الدولية لتاريخ إفريقيا:
الرباط، أبريل 1987.

A.G.P. Martin : Quatre Siècles d'histoire Marocaine, Paris, 1923 - p. 70-88

أحمد بن الأمين الشنقيطي : الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، طبعة ثانية مكتبة الوحدة العربية
- الدار البيضاء 1378 = 1958، ص 37.

(59) علاوة على مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، وقفت في المكتبة المركزية بالرياض على النسخة
المخطوطة بكنو (نيجيريا)، وبهذه المناسبة أشكر الزميل الدكتور محمد بن حسن الزير عميد
شؤون المكتبات (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) على مساعدته...

فيه التماسد والباريه ميت كل فاسد ولم يوجد من يبدل الاخير
الشبح العسود والورجل واحد الفرد والناسفالك من زمانك
واحد فليسود عليه واين ذاك الواحد وقد صفالك هذا
العام فماد كبرت لنا وخطبت به اليها فاستدريديك عليه
وانتم احسن اولاد حتم الله لنا اولاد الخاتمة العسوس وبعثنا
عسود البحر الابعس بحاه النبي وعقرته وكل من هتونا من ليله
وسلك الطواغيت الذين كفرت بالله عن الوصية الذين اثرت في
كناك الله محسنه يسولم الشبح عتقان الدين ومفتهمه
لغاية القصة والامان ولم يجد من السعافد لنا طيلت
لوفية بحق مالك في حاتينا من العتبه التي عليها طبعت
ففسال الله ان يلهمنا ما بين محباننا ومحباكروا ان يصغر لنا
من فضله ما حثيناه ويجعل خير ايامنا وابعد ما يوم
اللقاء انه على ما يستاه فديرونا لاجابة حدير وبقار مع
اواسط حيازين الثانية عام خمسة وعشرين وماتين والعا
وهنا انتهى نص الوثيقة الأولى ونص الثانية
بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله على سيدنا محمد
المصطفى الكريم وعلى آله واصحابه الذين اتهموا الهبة
القوم ان السبيد الذين فقتنا في اقطار السورانيين عدله
واشتهروا الافاق المغربية ديانتة وفضله العلامة النبي
العديم في زمانه الشبيه ذو النورين العلم والعمل الذين هما
منتهى الامل السيد عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح الغلابي
نصح الله بعلومه القامس والداين والسلام منا عليه ما اشد
شوقنا اليه ورحمة من الله تغشاه حتى لا يخش الا الله والله

اسم ان بضمهم و اسم مختار من التناهي والتعريف بما
 عرفه الله تعالى وانما التناهي ما اوجت محبتنا اليك وتسليمنا
 اليك و انك على استنسان سلطاننا نحن عظم واسير الطوائف
 الاسلاميه مستان عظم القوي كيتانه بفضلك وانك تاصح
 الله وعنه وان محبتنا لسلطاننا محمد بن ابي طالب بن عبد المطلب
 فانه خير من ان يات من الله من الامير المبرور
 واصح من المظفر القوي له بصيرته التي تسوق والامير والنور
 والفضل من رجل الناس في ارض الله اخواجا وتراقت عليك
 في الاسلام اخواجا وصيرت بلطف نيتنا لك استنسان العيين

من مذهب الاشيقي

والاشيقي القوي من ان يستعوار حلالا مما لم ير واعتده آثار استنسان
 و يرا من اعظم من الله وانتم التعم حيا تسعدونه حديث لان
 تفضل الله بكم حلالا وانما حشر ذلك من غير التعم فالله تعالى
 حيا اريكه عن الاسلام حلالا وتسلم من غير ان يات من الله حلالا
 محفوفه و يعين العتارة المحفوفه وفي حشر الله الحريز
 بلحقه بال الله تعالى ان يستعوز من الله من يتصرفه ان الله لغفور
 رحيم الذين انما انتم من النار من انما هو النجاة وانما الرزوة
 انما هو النجاة وانما هو النجاة والله عاقبة الامور والسلام
 حيا اريكه عن الاسلام حلالا وتسلم من غير ان يات من الله حلالا
 المحفوفه و يعين العتارة المحفوفه وفي حشر الله الحريز
 بلحقه بال الله تعالى ان يستعوز من الله من يتصرفه ان الله لغفور
 رحيم الذين انما انتم من النار من انما هو النجاة وانما الرزوة
 انما هو النجاة وانما هو النجاة والله عاقبة الامور والسلام
 حيا اريكه عن الاسلام حلالا وتسلم من غير ان يات من الله حلالا
 المحفوفه و يعين العتارة المحفوفه وفي حشر الله الحريز
 بلحقه بال الله تعالى ان يستعوز من الله من يتصرفه ان الله لغفور
 رحيم الذين انما انتم من النار من انما هو النجاة وانما الرزوة
 انما هو النجاة وانما هو النجاة والله عاقبة الامور والسلام

العلاقات المغربية الفرنسية في بداية الدولة العلوية

- لويز الرابع عشر والسلطان مولاي الرشيد - شركة المزمّة...
- اتفاقية ابن حدو - لوفيفر على عهد السلطان مولاي اسماعيل...
- البعثات الدبلوماسية المتبادلة بين الطرفين.
- تسريح الأُمري والنشاط التجاري.
- خطبة الأميرة الفرنسية دوكونتي ؟
- خطاب الملك لويز الخامس عشر إلى السلطانة خنائة...
- الاتفاقية المغربية الفرنسية 1180 = 1767...
- الأميرة الضاوية بين مراكش وكورسيكا...
- مراسلات السلطان مولاي سليمان مع فرنسا.
- الأمير مولاي سلامة ونابوليون.
- موقف مولاي سليمان من احتلال نابوليون لمصر.

العلاقات بين المغرب وبين فرنسا على عهد العلويين القسم الأول

إذا كانت أيام السلطان المولى مَحْمَد بن الشريف لم تمكنه - على ما نعلم من استقبال مبعوثين من أروبا فإن أيام السلطان المولى الرشيد عرفت، إلى جانب صلاته بجيرانه، علاقات له مع بعض دول أروبا وقد كان في صدر تلك الدول المملكة الفرنسية التي دشنت أول لقاء لها بالدولة العلوية مع السلطان المولى الرشيد.

لقد كان الكاردينال مازاران (Mazarin) يفكر منذ سنة 1655 - 1656 في إنشاء شركة تجارية في جزر (المزَمة)⁽¹⁾ (Albouzème)، وهكذا عيّن القنصل لامبير (Lambert) ممثلاً له لمفاتحة الجهات المغربية في الموضوع...⁽²⁾

1) عرف الإسبان منذ القرن السادس عشر مجموعةً من الجزر الصغيرة الموجودة في الخليج الذي يصب فيه وادي نكور، ووادي غيس وكانوا يدعونها جزيرة بوزيما (Busema) أو بوسيم (Bucime) وهذا الاسم الذي تأتي منه كلمة الحسيمة (Alhuce mas) بالاسبانية والبوزيم (Al Bouzème) بالفرنسية هو تحريف للاسم العربي (المزَمة) الذي تعطيه المصادر المغربية لتلك الجزر وللخليج وكذلك لمدينة كانت على الساحل خربها مولاي الرشيد عام 1666 هذا والمزَمة غير مدينة النكور خلافاً لما يقوله ابن خلدون عنها. وإن كبرى هذه الجزر المعروفة بحجرة النكور هي التي أسس فيها الإسبان مستودعا لهم عام 1673، وإن الخزامى (El Houzama) التي زعم بعض المؤلفين أنها هي الاسم العربي لهذه الجزر اسم مجهول تماماً...

البكري ص 91، ابن خلدون ج 6 ص 440 Note 2 p. 21 S.I.H.M. France - Maroc - Deuxieme Serie T. 1

135 Note 2

2) التازي : الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي، مجلة «البحث العلمي» عدد 25، 1976.

وهكذا كتب رولاند فريجيس من المزمّة Albouzème بتاريخ 5 أبريل 1666⁽³⁾ إلى السلطان المولى الرشيد وهو ما يزال بمدينة تازة) يطلب منه الإذن بزيارة للعاهل حتى يتمكن من تقديم كتاب ملك فرنسا... إلى مولاي الرشيد :

وقد أذن المولى الرشيد لفريجيس في التحرك للمثول بين يديه في تازة وعين له ستين بغيراً لحمل أثقاله.⁽⁴⁾

ولما ورد السفير على السلطان المولى الرشيد اعتنى به وأكرم وفادته، ثم لما مثل بين يديه... أملى عليه خطاباً.

ثم قدم للمولى الرشيد كتاب ملك فرنسا المؤرخ يوم 19 نونبر 1665 = 11 جمادى الثانية 1076.⁽⁵⁾

وبعد انتهاء حفلة الاستقبال وجّه السلطان المولى الرشيد من تازة إلى السفير الفرنسي جوابه على كتاب ملك فرنسا وهو يحمل تاريخ 26 شوال 1076 = مايه 1666، وقد كان من جملة ما فيه :

وبعد فقد بلغنا كتابك وفهمنا ما فيه من طلبك الأمن لمن أراد من رعاياك التجارة في بلادنا فقد أعطينا الأمان لكل من أتى بلادنا ومن سيأتي من جهتك بقصد التجارة،⁽⁶⁾ كتبه كاتبه عن إذنه حرسه الله بمنه...

ويشير صاحب الإتحاف إلى الشنئان الذي حدث بين فريجيس وبين بعض التجار والذي أدى إلى الالتجاء إلى العاهل...⁽⁷⁾

ولم تكن تلك المراسلات الوحيدة التي تمت بين لويوز الرابع عشر والسلطان المولى الرشيد،⁽⁸⁾ وهكذا نعث على رسالة أخرى مرفوعة من قصر

(3) ابن زيدان : الإتحاف 3، ص 57 - 58 - 132 p. T 1 S. 2. France - S.I.H.M.

(4) التاريخ الدبلوماسي للمغرب المجلد الثاني ص 130 - 135 - 134 p. T 1 S. 2. France - S.I.H.M.

(5) الإتحاف 3، ص 59 - 164 p. T 1 S. 2. France - S.I.H.M.

(6) S.I.H.M. France - S. 2 T. 1 p. 114

(7) قصيد المولى الرشيد الريف فقبض على الرئيس أعراس في رمضان 1076 وعفا عنه واستبقاه معه

على نحو ما كان عند ما صفى الزاوية الدلائية في المحرم 079 ... 165 p. T 1 S. 2. France - S.I.H.M.

(8) دوکاستري، ص 2، ج 1 العلويون ص 189.

(سان جيرمان) إلى العاهل المغربي بتاريخ 8 دجنبر 1666 = 10 جمادى الثانية 1077 على ما ذكره في «الملاحق».⁽⁹⁾

هذا وقد تناولت معظم المصادر الفرنسية الحديث عن أمر شركة المزمة بتفصيل زائد...⁽¹⁰⁾

هذا وقد أشار ألفريد بيل في كتابه بالفرنسية : (نقوش عربية بفاس) إلى بعثة رولاند فريجيس لدى السلطان المولى الرشيد التي وردت عن البعثة التجارية المرسلية وعقدت معه اتفاقية باسم لويز الرابع عشر وأضاف أي ألفريد بيل إلى هذا أنه حوالي هذه الفترة من التاريخ أنشئت علاقات بين صهر السلطان المولى الرشيد وبين شركة تجارية تضم شخصيتين فرنسيتين : الأخوين : جولي جان (Joly Jean) وجان بابتيست (Jean Babtiste) من رُوَّان (Rouen) وشخصية إنجليزية بوتي كيوم (Petit Guillaume) المقيم في قانس بينما ترك أحد الأخوين الفرنسيين وكيلاً له في المزمة...⁽¹¹⁾

وأخيراً نجد رسالة أخرى من ملك فرنسا إلى المولى الرشيد وقد كتبها إليه من باريز بتاريخ 21 يبرابر 1672 يوصيه فيها بمبعوثه روي صامويل (Roy Samuel) الذي كلفه بالمفاوضة في شأن تبادل الأسرى.⁽¹²⁾

بيد أن هذا الكتاب لم يصل إلى السلطان المولى الرشيد حيث إن وفاته أدركته بمراكش يوم 11 حجة 1082 = 9 أبريل 1972 وهو الأمر الذي استدعى تحرير كتاب مماثل إلى السلطان الجديد المولى اسماعيل بن الشريف بتاريخ 13 غشت 1672 يهنئه بالجلوس على العرش ويجدد فيه اعتماد صامويل روي للتفاوض حول مشكلة تبادل الأسرى...

(9) قصد المولى الرشيد الخضر غيلان الثائر ببلاد الهبط وكان بقصر كتامة فانهزم الشائر إلى أصيلا قبل أن يقضى عليه مولاي اسماعيل بصفة نهائية، ومن المعلوم أن المقدم الخضر غيلان كان مرتبطاً باتفاقية منذ أوائل 1661 مع حاكم مدينة سبتة المركزي دي لوص أركوص de Los Arcos كما أصبح حليفاً صادقاً لأنجلترا على ما ذكرناه في فصل العلاقات المغربية الإنجليزية)...

(10) دوكاستري : مصادر لم تنشر عن تاريخ المغرب سلسلة ثانية، الفيلايون م. أ، 193.

(11) Alfred Bel : Inscriptions Arabes de Fes, (Extrait du Journal Asiatique 1917 - 1919), p. 62 (à Max Van

Berclém) هذا ويلاحظ أن إحالة ألفريد بيل على دوكاستري لا تخلو من تساهل...

(12) S.I.H.M. France, S. 2, T. 1, p. 414.



حصار مدينة سلا عن كتاب تاريخ بارباري

وقد كان في صدر ردود الفعل إزاء تشدد العاهل المغربي أن صدرت التعليمات من سان جيرماي أن لي (Saint-Germin-en-Laye) بتاريخ 23 مارس 1680 إلى القابطان دو شاطورونو (Château-Renault) ليضرب بقطع أسطوله الحصار على مدينة سلا ويطارد في نفس الوقت المجاهدين المغاربة وذلك في محاولة لفرض شروط السلام المقترحة من ملك فرنسا لويز الرابع عشر... وفي حالة قبول تلك الشروط من طرف قائد المدينة فإن على (رونو) أن يعقد باسمه اتفاقاً ثنائياً يتوقف تنفيذه على مصادقة ملك فرنسا وملك المغرب... وإمعاناً في ضمان نجاح التهديد طلب إلى قطعة من أسطول الماريشال كونت إيستريس (Estrées) الوقوف أمام سلا..!

وقد حضر مشروع للاتفاقية المرغوب في الحصول عليها بقصر سان جيرمان آن لي في تاريخ 25 مارس 1680.

☆☆☆

وهنا نجد رسالة من القائد عمر بن حدو إلى (دو شاطورونو) حرّرها بأمر من العاهل بمدينة القصر الكبير بتاريخ 4 شتنبر من السنة يخبره بأن فصول الهدنة قد قبلت من طرف العاهل ولكنها سوف لا تدخل في حيّز التطبيق إلا بعد مضي خمسين يوماً...

ويظهر أنّ هذه المماطلات لم ترق بلط فرنسا الذي أعطى يوم 28 مارس 1681 تعليمات جديدة لشاطورونو بمطاردة المجاهدين ومتابعة حصار الميناء.

بيد أن هذه الأزمة لم تلبث أن أخذت طريق الانفراج عندما كتب لويز الرابع عشر إلى السلطان المولى اسماعيل بخطاب يعتمد فيه مبعوثه الأميرال لوفيفر دولابار (Le Febvre de la Barre) الذي أخذ طريقه للمغرب بتاريخ 12 أبريل 1681 حيث عقدت هدنة بين القابطان شاطورونو والقائد عمر بن حدو في مدينة (المعمورة) بتاريخ 1 يولييه 1681.

وقد أدّت الهدنة إلى عقد اتفاقية بين الدولتين بتاريخ 13 يولييه 1681 وقّعت بالمعمورة من طرف ابن حدو ولوفيفر دولابار وهي من ستة عشر فصلاً... حررت بالإسبانية والفرنسية...

ونتيجة لهذا الاتفاق كتب المولى اسماعيل إلى لويز بتاريخ أوائل شعبان 1092 = 4 شتنبر 1681 يؤكد له إفراجه عن الأسرى الفرنسيين، ويخبره بأنه عهد إلى القائد ابن حدو بمواصلة المفاوضات مع الضابط الفرنسي المعين لهذا الغرض كما ينهي إليه أن قائده ابن حدو حمل إليه رسالة ملك فرنسا لكنه يبدي استغرابه من الأسلوب المتبع من ملك فرنسا الذي كان عليه - وهو يرسل ملكاً مثله - أن يبعث بشخصية سامية يعهد إليها بنقل الرسالة إلى العاهل المغربي، وأنه من أجل أن يقف على النوايا الحقيقية لملك فرنسا سيقوم بإرسال سفير إلى البلاط الفرنسي !

وما لث العاهل المغربي أن بعث برسالةٍ أُخرى إلى لويز بتاريخ 2 رمضان 1092 = 15 شتنبر 1681 يثير فيها مع لويز موضوعاً طريفاً ظلّ حديث المعلقين منذ ذلك التاريخ...

ويتعلق الأمر بإخبار المولى اسماعيل للسلطان لويز أن النبي ﷺ كان أرسل بخطاب إلى هرقل (Héraclus) يدعو فيه إلى الإسلام، وبعد أن يردد اسماعيل ما جاء في الرسالة النبوية، يسأل الملك لويز: هل ما إذا كانت هذه الرسالة ما تزال موجودة في أرشيف البلاط الملكي الفرنسي نظراً لما يعتقد العاهل المغربي من أن لويز من حفدة هرقل! (13)

ويصل مبعوث مغربي شبه رسمي هو الحاج محمد تميم إلى فرنسا نيابة عن القائد بن حدو حيث أبرمت اتفاقية بين الطرفين في سان جيرمان آن لي يوم 20 محرم 1093 = 29 يناير 1682 وقد وقّعها عن الجانب المغربي الحاج تميم وعن الجانب الفرنسي دوسينيلاي (de Seignelay) ودوكرواسي (de Croissy).

لقد كانت البعثة المغربية تتألف علاوة على الحاج تميم من ثلاثة أعضاء الحاج علي معينو أخى قائد مدينة سلا، ومن المراكشي ابن أخت هذا الأخير ومن الحاج عبد القادر قريب الحاج تميم...

ولقد ألقى الحاج محمد تميم خطاباً أمام لويز الرابع عشر وقدم له الهدايا التقليدية التي كان من بينها بعض السباع والنعام. وشاهد أثناء مقامه بباريز حفلة تمثيلية إيطالية، وقد رسم أنطوان تروفان (Antoine Trouvain) العضو بأكاديمية الفنون، صورة للسفير تميم وحاشيته وهو بإحدى شرفات المسرح يتتبع باهتمام فصول المسرحية وبصحبتة الضابط المترجمان جوزيف دوريمونديس J. de Raymondis الذي كان يرافق الحاج تميم منذ نزوله بميناء بريست - (Brest). (14)

(13) راجع المجلد الأول من هذا الكتاب ص 217/218، هذا ويظهر أن السلطان مولاي اسماعيل وقع بخط يده على رسالتين اثنتين في حياته الأولى هذه، والثانية كانت تتعلق بتطويق الرق في المغرب، أما الرسائل الباقية فكانت تختم بالطابع على عادة الملوك العلويين.

(14) تحتفظ مجموعة ألكونت دو كاستري بمذكرات طريفة عن سفارة الحاج محمد تميم من تاريخ 30 دجنبر 1681 إلى 25 يبرابر 1682: وصولها - مقامها - استقبالها في البلاط الفرنسي وبهذه المناسبة شكر الصديق العزيز الجنرال لوفيفر على مساعدته S.I.H.M. France, S. 2. T, 1 p 638-658



السفير المغربي محمد تميم

وفي أعقاب هذه الزيارة لأول مبعوث مغربي لدى بلاط فرنسا بعث الملك لويز إلى السلطان اسماعيل بتاريخ 12 يراير 1682 يهنئ نفسه بإنشاء علاقات السلام مع العاهل المغربي ويخبره بعزمه على إرسال سفيرٍ معتمد لدى البلاط المغربي.⁽¹⁵⁾

وجواباً على رسالة لويز بعث السلطان المولى اسماعيل من مكناس بتاريخ 15 ربيع الثاني 1093 = 23 أبريل 1682 يشكره فيها على حسن استقبال المبعوث المغربي ويثني على سياسة الحكم المتبع آنذاك في فرنسا ويعرب عن ترحيبه بالسفير الفرنسي القادم إلى بلاد المغرب...⁽¹⁶⁾ وبالإضافة إلى هذا كتب القائد علي بن عبد الله إلى لويز الرابع عشر...

سفارة البارون دوسان أمان

لقد صدرت التعليمات إلى دوسان أمان De Saint Amans من فيرساي بتاريخ 3 يونيو 1682 بأن يقصد بلاد المغرب لهدف أساسي وهو الحصول من السلطان المولى اسماعيل على تأكيد معاهدة 29 يناير 1682⁽¹⁷⁾ بينما تتحفظ التعليمات حول قضية الأسرى المغاربة الموجودين في فرنسا، وتعهد التعليمات إلى أحد الأساقفة بيتيس دولاكروا (Pétis de la Croix) بالبحث عن مخطوطات عربية توجد في فاس...

وفي نفس التاريخ الذي صدرت فيه تلك التعليمات إلى (دوسان أمان) رفع لويز رسالة إلى المولى اسماعيل يعتمد فيها المبعوث المذكور، وجواباً على رسالة لويز كتب ملك المغرب إلى لويز بتاريخ 14 ذي الحجة 1093 = 14 دجنبر 1682 يذكر فيها من جملة ما يذكر أن السفير الفرنسي قد وصل إلى

(15) المصدر السابق ص 673.

(16) Isarn (François d') baron, de Saint-Amans

S.I.H.M. France S. 2 T. 1 p. 608, T 2, 202

S.I.H.M. France S. 2. T 2, p. 434 (17)

بلاد المغرب بيد أنه لم يصحب معه الأسرى المغاربة الذين كان يتوقع العاهل الإفراج عنهم ! ومع ذلك فإن السفير الفرنسي قد استقبل كما يجب الاستقبال وإن شروط المقام الطيب قد وفرت له، وإن السلام بين البلدين سيحترم، بيد أن فترة السلام ستقتصر أو تطول حسب النوايا الحقيقية لملك فرنسا!! وأن السلطان المولى اسماعيل، تعبيراً منه عن حسن النية، يبعث بعشرين أسيراً فرنسياً هدية منه إلى فرنسا وأنه يغتنم هذه الفرصة ليقترح تبادل الأسرى رأساً برأس !!

إلا أن الأخبار عن الأسرى المغاربة ظلّت غير معروفة بل إن بعض الرؤساء البحريين المغاربة تعرضوا لاعتداءات جديدة بالرغم مما كانوا يتوفرون عليه من بطائق التعريف وفقاً لما جرى الاتفاق عليه !

وبهذا نفسر أسلوب ومضمون الرسالة التي بعث بها السلطان المولى اسماعيل إلى لويز بتاريخ 9 شعبان 1095 = 22 يولييه 1684 تلك الرسالة التي يقارن فيها بين سلوك الفلامنك (البلاد المنخفضة) وأنجلترا معه من جهة وبين سلوك فرنسا حياله من جهة أخرى، وهو إذ يعاتب ملك فرنسا على عدم تحرير الأسرى المغاربة لحدّ الآن يطلب الالتجاء إلى العدالة فيما يتعلق بالرايس محمد التاج الذي أسر بالرغم من حمله جوازاً مصادقاً عليه وتختم الرسالة الإسماعيلية خطابها إلى لويز بما مفاده : إنه إذا كان العاهل الفرنسي يرغب حقيقةً في الاحتفاظ بقواعد السلام بين البلدين فإن عليه أن يبعث شخصية كفؤة لتسوية المشاكل المعلقة.

ومن هنا نجد ملك فرنسا يبعث برسالة إلى السلطان اسماعيل بتاريخ 6 مايه 1685 يقول فيها : إن الأوامر أعطيت لإرجاع مركب الرايس التاج إذا ما أرجع زورق الرايس كروازي (Croiset)، ويضيف إلى هذا أن عدم مراعاة الفصل الخاصّ بفداء الأسرى الفرنسيين من شأنه أن يؤدي إلى استيناف العدوان...

وقد واصل تاجر فرنسي شبه مبعوث رسمي إلى الديار المغربية. ويتعلق الأمر بجان بابتيسط إيستيل (J.B.Eselle) الذي زوّده السلطان المولى اسماعيل بجواز تنقل بمركبه عبر الموانئ المغربية يحمل تاريخ 10 جمادى الثانية 1101 = 21 مارس 1690.

مولى
ابو القاسم

نسخه نامه الامير الجليلي والاعوان والاشرف ذاب الله الصلح العظمي
من طرفه تعالى في صلح المصطفى بالدم اعين السويدي المجلد في بيتك راجع العالين الشريف عليه



المرحوم الامير الجليلي والاعوان والاشرف ذاب الله الصلح العظمي
من طرفه تعالى في صلح المصطفى بالدم اعين السويدي المجلد في بيتك راجع العالين الشريف عليه
... (The rest of the handwritten text in this block is illegible due to extreme blur and cursive script.)

... (The rest of the handwritten text in this block is illegible due to extreme blur and cursive script.)

رسالة السلطان مولاي اسماعيل إلى لويز الرابع عشر
بتاريخ 9 شعبان 1095 = يولييه 1684

وقد استقبل المبعوث إستيل (اصطيلة) من طرف السلطان المولى إسماعيل⁽¹⁸⁾ حيث نجد رسالة من العاهل المغربي إلى لويز الرابع عشر من مكناس بتاريخ فاتح ربيع الأول 1103 = 22 نونبر 1691 حملت من طرف إستيل الذي سلمها إلى وزير الخارجية الفرنسي بونتشارطران (Pont Chartain) : إن العاهل المغربي يخبر ملك فرنسا بأن إستيل بالرغم من توفره على الصلاحيات الكاملة لإبرام اتفاقية ثنائية لكنه (أي مولاي إسماعيل) لا يريد أن يتفاوض إلا مع شخصية سامية وليس شخصية تجارية... «إنه ليس من شأن التجار الدخول في الكلام مع الملوك...»

سفارة سانت أولون إلى المغرب

وهكذا كتب لويز الرابع عشر إلى السلطان المولى إسماعيل من فيرساي بتاريخ 14 يناير 1693 يعتمد فرانسو بيو دوسانت أولون (F.Pidou de Saintolon) مذكراً أن التعليمات قد أعطيت له بإبرام الاتفاقية الجديدة التي تؤكد اتفاقية 1682 بإنهاء ما يتعلق بفداء الأسرى الذي ينبغي أن يحدد بمائة ريال لكل رأس... وفي نفس الوقت كتب الوزير الفرنسي بونتشارطران إلى النائب علي بن عبد الله يرحوه تسهيل مهمة المبعوث الفرنسي.

ويصل المبعوث الفرنسي إلى بلاد المغرب... ويتجه نحو مكناس العاصمة آنذاك ليستقبله السلطان المولى إسماعيل الاستقبال الأول يوم 11 يونيو 1693 ثم ليستقبله استقبال الوداع يوم 19 يونيو...

(18) كان السفير إستيل هو الذي شرح للسلطان المولى إسماعيل ظروف الأسير المغربي الذي عاد للمغرب مجذوع الأنف أصلم الأذنين الأمر الذي أغضب العاهل المغربي وكان وراء تمنعته، وقد أكد السفير للعاهل أن المغربي المذكور كان قد اغتال أحد الفرنسيين بفرنسا فاستوجب ذلك عقابه. ابن زيدان : الإتحاف، ص 68 412 S. I. H. M. France S. 2 T e p.
الثالث ص 473 217 B. 7. Archives Nationales Marine



قصر فيرساي

وبالرغم من تحدث المصادر عن أن سبب فشل السفارة يرجع لتنافس النائب علي بن عبد الله الذي كان يحرص على توقيع الاتفاقية وبين القائد محمد بن حدو الذي كان يعارض الاتفاقية،⁽¹⁹⁾ بالرغم من ذلك فإن هناك وراء ذلك صخرة عظيمة تحطمت عليها مهمة دوسانت أولون !

ويتعلق الأمر بقضية احتلال سبتة ! لقد كان العاهل المغربي يريد أن تعقد معه فرنسا حلفاً عسكرياً يهدف إلى تحرير ثغر سبتة من يد الإسبان في مقابلة إرضائه للمطالب الفرنسية ! وقد جاء في مذكرات سانت أولون أن حديث العاهل المغربي اقتصر فقط على سبتة طوال الاستقبال يعيده ويعيده، ولكأنما كان ورود السفير من أجل موضوع سبتة ! ومن دون شك فإن الجهات المغربية

(19) د. عبد الهادي التازي : محمد بن حدو، مجلة أكاديمية المملكة المغربية 1986.



صورة استقبال مولاي اسماعيل للسفير الفرنسي

استشفت عدم استعداد فرنسا للمساعدة من خلال حديث السفير، ومن هنا ظهر نحس الطالع بالنسبة لمهمة دوسانت أولون الذي ترجم عن فشله المرير بقطعة شعرية حاكمة كتبها بخطه.

وقد اقتنع الطرفان بفتح الحوار من جديد وهكذا ظهرت فكرة اعتماد مندوب عن المغرب ليتناقش مع الجانب الفرنسي حول بنود الاتفاقية، ولم يكن هذا المبعوث غير القابطان عبد الله بن عائشة الذي صدر أولاً ظهير بتاريخ أواسط ربيع الأول 1110 = 17 - 26 شتنبر 1698 يسند إليه القيادة العامة لشؤون البحر ويخوله التحدث والتفاوض مع سائر الأمم المسيحية في القضايا البحرية» التي تسوغ شرعاً وتقبل طبعاً...

ولم يلبث الحال أن تطور إلى اعتماد القائد عبد الله بن عائشة سفيراً لدى ملك فرنسا لمفاتحة الجهات الفرنسية حول المسائل المعلقة، وتحمل رسالة الاعتماد تاريخ 23 ربيع الأول 1110 = 29 شتنبر 1698

كانت سفارة ابن عائشة لدى بلاط فرنسا من 11 نونبر 1698 إلى 25 مايه 1699 من أبرز السفارات التي كانت محلّ عناية من لدن طائفة من المهتمين بأمر العلاقات المغربية الفرنسية، وكتبت حوله عشرات التقارير الدبلوماسية والتعليقات الصحفية على نحو ما قرأناه عن زميله محمد بن حدّو سفير السلطان إلى أنجلترا وزميله ابن عبد الوهاب الغساني سفير السلطان إلى اسبانيا...

لقد كتب السفير ابن عائشة إلى لويز الرابع عشر في أعقاب اعتماده يخبره بأن العاهل المغربي قد عهد إليه بمتابعة المفاوضات التي ابتدأت في سلا مع رئيس الأسطول الفرنسي من أجل عقد معاهدة سلام بين البلدين، وأن السلطان حمّله رسالة خاصة إلى لويز كما زوده بالتعليمات والإرشادات من أجل القيام بمأموريته...

وقد كانت حاشيته تتألف من ثمانية عشر شخصاً نزلوا جميعاً في باريز بفندق السفراء.



عبد الله بن عائشة عن وثائق : المكتبة الوطنية بباريز التي نجد لها الشكر

وقد عهد لويز - حسب الوثائق المحفوظة بتاريخ 16 يبرابر 1699 - إلى الماركيز طورسي (Torcy) (كولبير جان بابتيسط والكونت مورباص (Maurepas) بالتفاوض مع السفير ابن عائشة بقصد إبرام اتفاقية بين المغرب وفرنسا.

وشارك في جزء مهم من هذه المفاوضات دولاتوش (De La Touche) الذي أخبر من طرف الترجمان دولاكروا (De la Croix) بأن عبد الله بن عائشة يطلب قبل إعطاء جوابه النهائي حول الآراء الفرنسية المتعلقة بمعاهدة 1682 - أن تترجم تلك الآراء إلى اللغة العربية كتابةً لدارستها وأن سماعها غير كاف لاستيعاب مضمونها !!

بسم الله الرحمن الرحيم
عبد الله بن عبد العزيز
الملك الميراثي
قاسم بن عبد العزيز
1699

توقيع السفير ابن عائشة

وقبيل مغادرته الميناء بيوم واحد 24 مايو 1699 جدد الكتابة إلى صديقه جوردان... يطلب إليه أن يشعر المسؤولين بضرورة تمديد الهدنة إلى أن يسلم المرافق الذي يصحبه إلى مدينة سلا جواب مولاي اسماعيل على المشروع الأخير للمعاهدة...

☆☆☆

وقد رفع السفير ابن عائشة تقريره إلى العاهل المغربي بكل ما حصل، وهكذا نجد رسالة تتوجه من السلطان المولى اسماعيل إلى جوردان من مكناس بتاريخ 15 محرم 111 = 13 يولييه 1699 يشكره على معاملته الخاصة لسفيره ويعدّه بتشجيع سائر العمليات التجارية التي يباشرها في المغرب.

كما نجده يبعث إلى لويز من مكناس بتاريخ 2 صفر 1111 = 30 يولييه 1699 يخبره بأنه بعد الاستماع إلى سفيره ابن عائشة فإنه بهذه المناسبة يطلب إرسال المخطوطات العربية التي تتوفر عليها الخزائر الفرنسية...

وقد تبعت هذه الرسالة الإسماعيلية رسالة أخرى إلى لويز من مكناس بتاريخ أواخر ربيع الأول 1111 = 25 شتنبر 1699 يعتبر عليه إنكاره للحقيقة عندما أعاد السفير دون إبرام اتفاقية مشيراً بعد هذا لما جاء في رسالة سابقة لملك فرنسا تلوح لاستعمال القوة : «إن موارد المغرب وثروته هي من القوة بحيث تجعل مولاي اسماعيل لا يعبأ ولا يكثرث بأن يكون في حرب أو سلم مع فرنسا !! إن مكاتب الملوك، يقول العاهل المغربي، لا يكون فيها إلا كلام الصدق بلا كذب ولا التواء المعاني فذلك نقص في حقّ الأمراء ما يرضاه أحد، ما جاءنا شركم ولا صلحكم في شيء !!» (20)

وفيما يكاتب اسماعيل لويز بهذا الأسلوب يحتفظ السفير ابن عائشة بسلوك سبيل التدليل على الطريق التي ينبغي الفرنسيين سلوكها للحصول على رضى العاهل...

ولم تُنس هذه المواضيع الهامة ابن عائشة في أن «يستدرك» فيتحدث لزميليه عن اكتشاف قطع أثرية ترجع لعهد الرومان بالمغرب - يعتقد دوكاستري أنها من خرائب شالة رفعت إلى مكناس... (21)

☆ ☆ ☆

ويتأكد أن ابن عائشة كان يطلع العاهل على خفايا الوضع في البلاط الفرنسي الذي ألمّ به أثناء اتصالاته والذي كان يتوفر عليه أيضاً من خلال مراسلاته مع أصدقائه من أمثال جوردان الذي أعطى ابنه اسم عبد الله !!

وهكذا نجد السلطان المولى اسماعيل يوجه الدعوة بتاريخ 6 جمادى الأولى 1111 = 30 أكتوبر 1699 إلى جوردان لزيارة المغرب (22) وتعبيراً من العاهل المغربي عن رغبته في

S.I.H.M. France S. 2 T 5. p. 399-400 (20)

S.I.H.M. France S. 2 T. 5 p 419 (21)

(22) المصدر السابق ص 449.



أول ربيع وأما كتابه فمكتوب
 من كتابه الأول ولا بأس بالكتاب الثاني

25 شتنبر 1699

إلى صاحبها
 إيماناً صائباً وخبراً حقيقياً
 وحديثاً بلا غش ولا كذب
 منك عنكم بلا باطن مفرد عليها
 ومكاتب الملوك لا يكون
 ولا ما يرى من غير ذلك
 ما كان مفرد مع فقهان
 أصل البصر بلون كل
 إننا ونحسب روثته
 الفروع التي
 شهدها التفتيش
 أنه مملوك
 حياض شرم
 قترا وتقوم
 يتم امره
 من اجتناب
 ونسوة بله
 من اجتناب
 ونسوة بله

هذا الكتاب
 مكتوب
 من
 كتاب
 الأول
 ولا
 بأس
 بالكتاب
 الثاني

أواخر ربيع الأول 1111 = 25 شتنبر 1699
 من اسماعيل إلى لويز الرابع عشر
 إن مكاتب الملوك لا يكون فيها إلا كلام الصدق بلا كذب ولا التواء المعاني.

التعاون مع فرنسا والاستفادة من خبرتها طلب إلى لويزان يبعث إليه بمهندسين معماريين وهو يبرّر طلب الخبرة هذه بسابقة في التاريخ الإسلامي - نقلاً عن الواقدي صاحب المغازي - عندما طلب الوليد بن عبد الملك - وقد أراد تجديد المسجد الشريف - من ملك الروم أن يسعفه بالخبراء المختصين...
وقد عرفت هذه الفترة حدثاً رددته الوثائق الفرنسية تعززها بعض المراسلات المغربية، ويتعلق الأمر بخطبة السلطان المولى اسماعيل للأميرة الفرنسية دوكونتي، (de Conti).



الأميرة الفرنسية دوكونتي

لقد بعث ابن عائشة برسالة إلى بونتشارطران من سلا بتاريخ 21 جمادى الأولى 1111 = 14 نونبر 1699 كانت بواسطة صديقه الحميم جوردان، يطلب إليه جس النبض لدى ملك فرنسا لخطبة الأميرة دوكونتي للمولى اسماعيل...

ويلاحظ أن الرسالة المذكورة أملت من طرف ابن عائشة باللغة الإسبانية على مانيي دولاكلوزوري⁽²³⁾ (Manier de la Closerie) وكيل جوردان بسلا...⁽²⁴⁾

وتبعت هذه الرسالة رسالة ثانية في اليوم الموالي من سلا إلى الشخصية المذكورة تؤكد أنه بأمر من سيده فإنه يطلب إلى الوزير الفرنسي أن يلتبس من الملك لويز الموافقة على اقتران المولى اسماعيل بالأميرة المذكورة التي تحدث عنها إلى العاهل...⁽²⁵⁾

وكانت الرسالة الثالثة في الموضوع تحمل نفس التاريخ 22 جمادى الأولى... 15 نونبر ولكنها هذه المرة إلى صديقه جوردان الذي ترجاه في مدد يد المساعدة لتحقيق الغرض مذكراً أنه أثنى كثيراً للسلطان المولى اسماعيل على الملك لويز، وأن ذلك كان باعث التفكير في خطبة الأميرة، وهو يؤكد أنه كتب إلى الوزير بونتشارطران ولكنه لا يستغنى عن مساعدة جوردان، وأنه في حالة إشعار بقبول من ملك فرنسا، فإنه سيقوم بصفة رسمية بما تقتضيه الأصول من الرحلة إلى البلاط الفرنسي لتقديم المطلب الملكي... وتأتي رسالة رابعة من ابن عائشة ليؤكد انتظاره للجواب عن أمر الخطبة...!!

لقد نقل عن ابن عائشة أنه - وهو يتحدث للمولى اسماعيل عن مهمته - انتهى به الكلام حول بنت الأمبراطور فذكر من أوصافها وحسن أدبها فقال لي :

(23) يلاحظ أن هذه الشخصية رغب السلطان من فرنسا في أن تحتفظ به كنقصل عنها بسلا يعززه في هذا الرأي وزيره ابن عائشة، بينما كانت لفرنسا وجهة نظر معاكسة، وكان هذا أيضاً من أسباب التوتر إلى أن تعين القنصل الجديد بيريليبي Charles Penz : autour d'une lettre inédite de Moulay Ismail à Louis XIV Hsp 1946 p. 160(Périllié) 5

S.I.H.M. France S. 2 T. 5 p. 475-479... (24)

P. Lefebvre et M.L. Archane : une idylle manquée à la cour du Roi Soleil, la Presse médicale 14 - Janvier 1984 p. 6/8

د. عبد الهادي التازي : الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للملكة المغربية. الرباط 1404 = 1984 ص 16 تعليق 1.

S.I.H.M. T. 5, P. 208-399-458 (25)

اكتب لصاحبكم الوزير يخطبها لنا على سنة الله ورسوله وتبقى على دينها وسيرتها... كما نقل عن ابن عائشة - وقد تحدث للسلطان عن لويز ومجاملته وعظمته - أن مولاي اسماعيل قال له : «مثل هذا الرجل ينبغي أن يعرف ويصاحب...!».

نحن نعلم أن العلاقات المغربية الفرنسية كانت تمر بمرحلة دقيقة في هذه الفترة وكانت تنذر بالقطيعة بين السلطان مولاي اسماعيل وبين الملك لويز الرابع عشر، فهل يكون حديث ابن عائشة حول خطبة الأميرة كونتي أيضا من باب «المناورات السياسية؟».

مهما يكن فإن هذا الحدث لو تم لكان له أثر دون شك على صلة العالم المسيحي بالعالم الإسلامي.(26)

☆☆☆

وهكذا فقد كنا نشعر منذ فشل مهمة ابن عائشة في باريز... بأن أحداً لا يرضى عن سلوك الطرف الآخر..!

ونرى من المناسب هنا أن نشير إلى رسالة اسماعيلية عثرنا عليها ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامة وهي، ولو أنها لا تحمل تاريخاً، إلا أنها على ما يتأكد «مشروع» لخطابٍ موجه إلى لويز الرابع عشر جواباً على رسالته للسلطان مولاي اسماعيل بتاريخ 4 مايه 1699.(27)

وأثناء فترة غضب المولى اسماعيل هذه على سياسة الملك لويز الرابع عشر بسبب خطته لقصف الثغور المغربية نجد رسالة أخرى مشابهة من العاهل المغربي إلى لويس عظيم فرنسا في مخطوطة الدر المنتخب لأبي العباس ابن الحاج في أحداث سنة 1114 = 1702 - 1703 يجرده العاهل مما كان نعته به في بعض رسائله من أنه أي لويز «من سلالة عظيم الروم الذي كتب له جدنا وسيدنا فلا نرضى أن نتكلم إلا معك...»(28)

26 مخطوط الخزانة العامة رقم ك / 1264.

27 مخطوطة الدر المنتخب، المجلد السابع، المحفوظة بالخزانة الحسنية تحت رقم 1875 ابتداء من صفحة 10 - الكتاني : التراتيب الإدارية 1، 164.

28 Pierre Grillon : La correspondances du chienier Paris 1970, p. 574.

وقد ظهرت بوادر انفراج جديدة في العلاقات المغربية الفرنسية في أعقاب تعيين القنصل الفرنسي الجديد جان بيريليبي (Jean Périllié) الذي وصل إلى مدينة سلا أواخر سنة 1703 حيث نجد رسالة من السلطان المولى اسماعيل إلى لويز الرابع عشر بتاريخ 10 رمضان 1115 = 17 يناير 1704 يخبر فيها العاهل الفرنسي أنه استقبل سفيره بيريليبي ووعده بإعطاء سائر التسهيلات الضرورية ليقوم بمهمته الجديدة...

وقد أخذت المفاوضات المغربية طريقها... وهكذا نجد رسالة من السلطان المولى اسماعيل إلى لويز من مكناس بتاريخ أواسط جمادى الثانية 1123 = 14 - 15 يولييه 1711 يخبر فيها ملك فرنسا بأنه توصل برسالته التي يعرب فيها عن رغبته في إنشاء اتفاقية سلام بين البلدين وافتداء الأسرى الفرنسيين...

☆ ☆ ☆

وبالرغم من أن البلاد تعرّضت في أعقاب وفاة السلطان المولى اسماعيل 28 رجب 1139 إلى رجات داخلية عنيفة فقد استمرت المراسلات مع البلاط الفرنسي

وقد آل الحكم إلى السلطان المولى عبد الله سنة 7 رمضان 1141 = 1729 الذي واجه عدداً من المشاكل الداخلية.

وقد قرأنا، في صدر ما قرأنا عن أيامه، نصّ رسالة استنجد بعث بها بعض الأسرى المغاربة الذين يوجدون في فرنسا... وكانت الرسالة تحمل تاريخ 28 شعبان 1145 = 13 يبرير 1733، وكلها توصل إلى السلطان مولاي عبد الله الذي نعرف عن مدى تأثيره لمثل هذه الحالات المحزنة...

ومن هنا نجد رسالة وزيره محمد السلاوي إلى وزير الملك لويز الخامس عشر إلى تاريخ 27 جمادى الأولى 1146 = 5 نونبر 1733، وفيها يخبره بورود مبعوث من فرنسا لإبرام اتفاقية سلام بين البلدين تستهدف الإفراج عن الأسرى من الطرفين...

ويعتبر السلطان سيدي محمد بن عبد الله أو (محمد الثالث) أبرز شخصية دولية في العصر العلوي الأول بما أوتيته من قوة شخصية وبعد نظر، وقد عرف عهده بأنه العهد الدبلوماسي للمملكة المغربية.

الاتفاقية المغربية الفرنسية

1767 = 1180

وقد ورد على المغرب سفيراً هو الكونت دو برونيون (Comte de Breugnon) وتم إبرام اتفاقية سلام بين السلطان سيدي محمد بن عبد الله وبين لويز الخامس عشر بتاريخ 29 ذي الحجة 1180 = 28 مايه 1767، وقد أثبت نصّها الكامل النقيب ابن زيدان في كتابه الإتحاف.

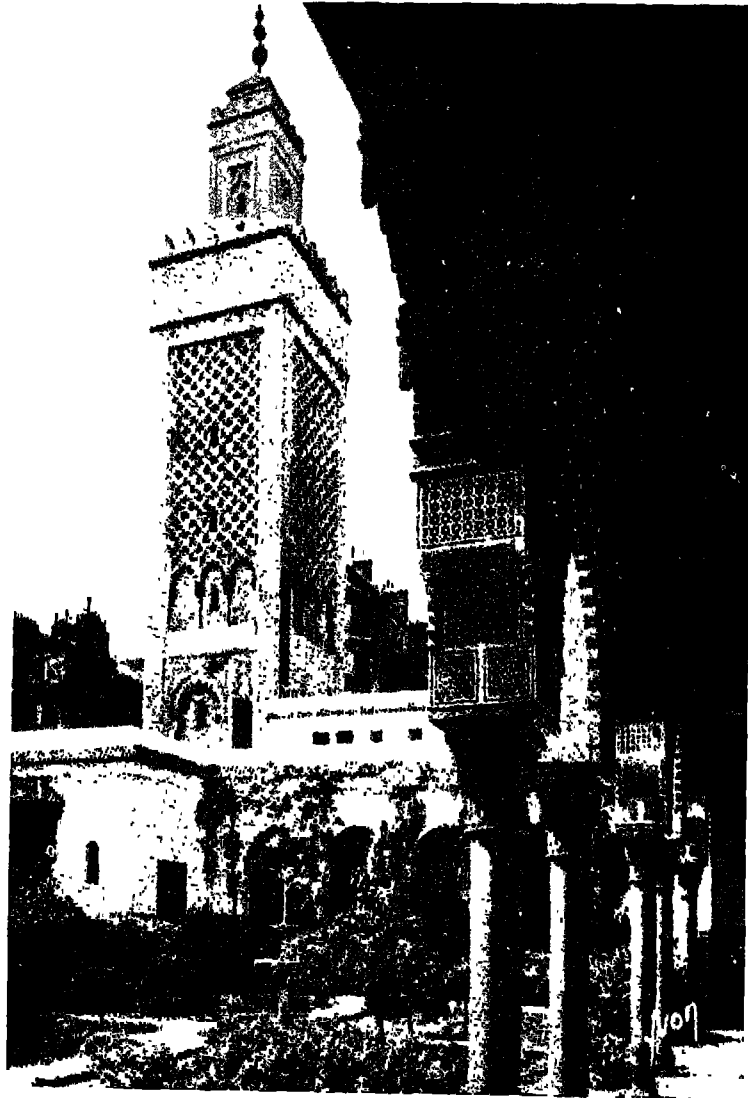
ومن المهم أن نشير هنا إلى أهمية الفصل التاسع الذي يضمن حياد فرنسا في حالة وقوع حرب بين المغرب والولايات العثمانية الحليفة لفرنسا...

إن بعض المؤرخين الفرنسيين وفي صدرهم كور (Cour) يعتقد أن هذا نصر مبين للملك محمد الثالث، وأن هذا الهدف كان يسعى إليه من قديم السلطان مولاي اسماعيل...

وبمناسبة وفاة لويز الخامس عشر بعث العاهل برسالة إلى لويز السادس عشر وكانت بتاريخ 10 جمادى الثانية 1188 = 18 غشت 1774 جواباً عن رسالة لويز بتاريخ 12 مايه 1774 وفيها يخبره بوصول الرسالة التي ينعي فيها الملك لويز الخامس عشر الفرنسي السابق، وهو لأجل ذلك يتقدّم بالتعازي إلى الملك الجديد ويجدد معه العهد. وقد حمل الرسالة إلى فيرساي عبد الله شكالانط...

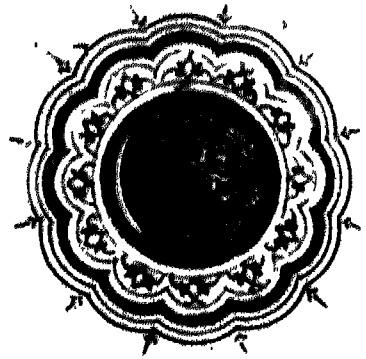
مسجد محمد الثالث بباريز...

إن على الذين يتتبعون اليوم تاريخَ مسجد باريز أن يعودوا بذاكرتهم إلى أيام العاهل المغربي محمد الثالث الذي شرط في اتفاقيته مع الملك لويس الخامس عشر المبرمة بتاريخ 29 ذي الحجة 1180 = 28 مايه 1767 اتخاذ المساجد بفرنسا!... فلقد ورد في الفصل الحادي عشر منها «...وكذلك رعيّة سيدنا نصره الله إذا دخلوا بلاد الفرنسيين لا يمنعهم أحد من اتخاذ مسجد لصلاتهم وقراءتهم بأي مدينة كانوا...».



LIBRARY
P. 1
1891-1912

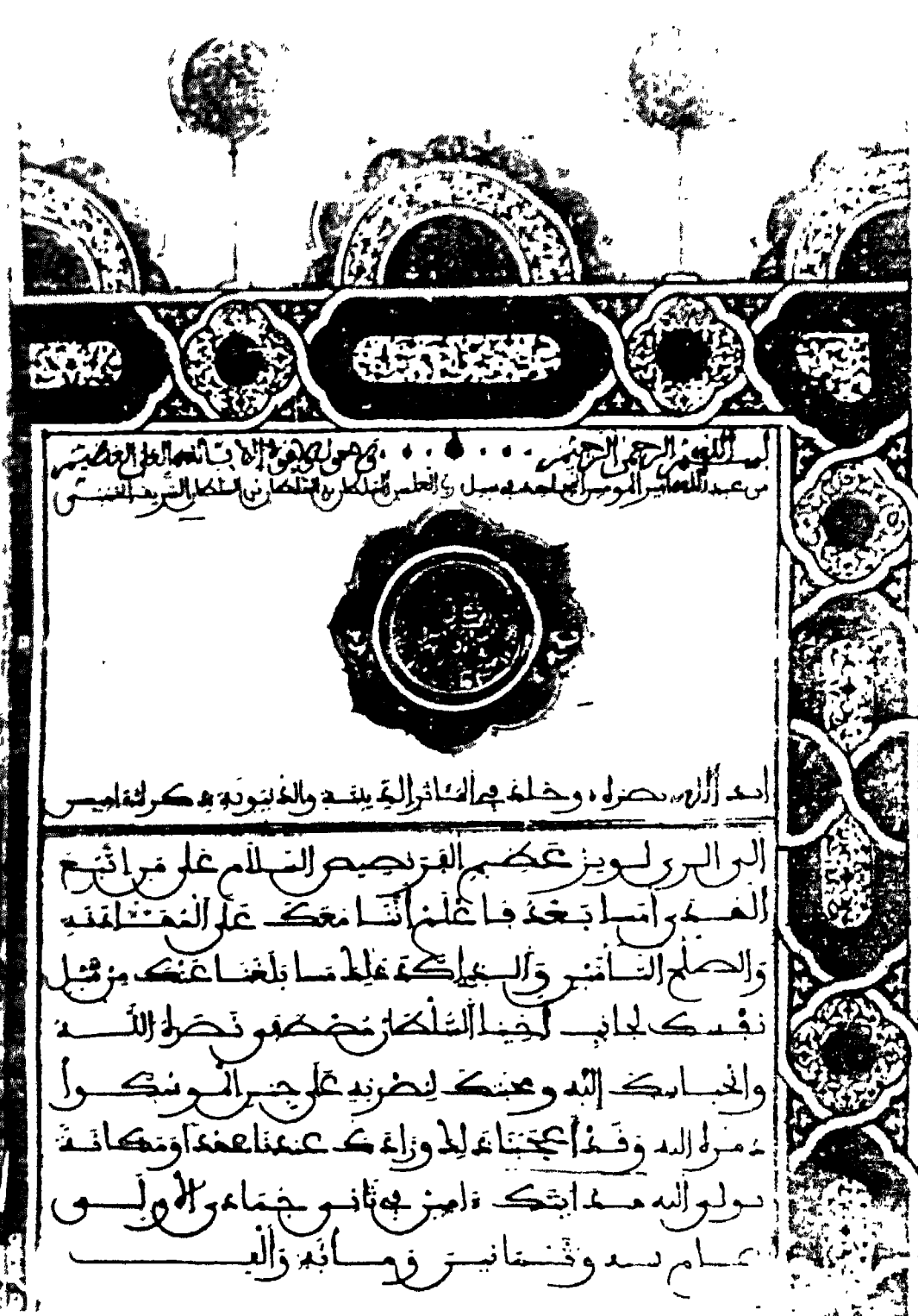
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَا تَسْأَلُونَهُ عَنِ النَّبَاةِ أَنْحَسُوا فَعَلَا
مِنْ شَرِّ مَا هُم بِأَعْلَمُونَ وَأَنْتُمْ عَنْهَا غَائِبُونَ وَإِنَّمَا تَسْأَلُونَ عَنْهَا عِندَ رَبِّكَ



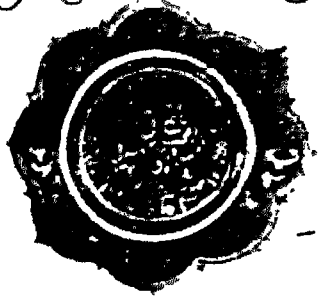
إِلَى كَاهِنَةٍ أَوْ نَذِيرٍ فَلا تُخَبِّرْ بَصَرًا أَتَدْرِكُ أَمْ تَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَأَنْتَ كَافِرٌ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ وَأَقْرَبُونَ
أَسْمَاءَ الْحُكْمِ وَيَحْتَبِئْنَ بِهَا الْأَعْيُنُ وَأَنْعَامٌ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا
إِنَّمَا هُمْ إِتِّفَاقٌ بَيْنَهُمْ وَفَعَلْتُمْ بِهِمْ كَيْدًا لَكُم مِّنْ عَذَابٍ
بِئْسَ مَا كَفَرْتُمْ وَلَقَدْ جَاءتْكُمْ آيَاتُنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَقْرَبُونَ
فَمَنْ خَلَّ فَخْرًا مِّنْ عِبَادَتِ اللَّهِ يَأْتِيهِ اللَّهُ فِتْنَةً مِّنْ عِبَادِ
تَعْمَلُونَ الْفِعْلَاءِ أَتَقْتَلُونَ أَنفُسَكُمْ أَيُّكُمْ أَرْجُو أَن تَكُونَ
بِأَنَّ دُونَهُمْ حَسْبٌ مِنَ الْعَقْلِ بِاللَّهِ فَتَقْتُلُوا قُلُوبَكُمْ وَأَنْتُمْ
مِنَ الْمُتَجَسِّمِينَ فَهَرَبْتُمْ إِلَيْهَا وَإِنَّكُمْ لَأَعْيُنٌ عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ
إِنَّ هُمْ إِذْ هُمْ وَاجِبُونَ فُتُوْرًا وَمَانَةً وَإِنَّا

فاتح محرم 1181 = 30 مايه 1767

من محمد الثالث إلى لوييز الخامس عشر حول مقدم السفير كونطد برونيون لفساء الأسرى وطلب الصلح...



بسم الله الرحمن الرحيم في حق الامير الميمون الملك الناصر
 من عبد الله امير المؤمنين محمد بن عبد الله بن الملك الناصر بن الملك الناصر



امير المؤمنين نصرته وخلفه في الشاكر اليه بيقته والذاتية به كرتة امير

البري لويز عمكم الفخر يصير السلام على من اتبع
 الف خير من امتا بعد ما علمنا اننا معك على الفتنة
 والصلح الناصر والسيد كفة على ما بلغنا عنك من قبل
 نفدك لجانب اخينا الشاكر من خصم نصرته الله
 والخيابك الله ومعك ليضرب على خير التوسكو
 امره الله وقد اجتنبنا لادواتك عننا عندها وتمكافة
 بولول الله معك ايمز به ثابو ختامه في الاول
 عام سد وثمانين ومائة واليه

رسالة بتاريخ 2 جمادى الأولى 1186 = 7 غشت 1772
 من الملك محمد الثالث إلى الملك لويز الخامس : إننا معك على المهادنة والصلح التامين والذي
 أكد ذلك ما بلغنا عنك من ميل نفسك لجانب أخينا السلطان مصطفى وانحياشك إليه ومحبتك
 لنصرته.



الطاهر فنيش كما تخيله رسّام...

سفارة الطّاهر فنيش بباريز

وفي أثناء سنة 1191 = 1777 حدث أن غرقت سفينة فرنسية «لالويز» في شواطئ الصحراء المغربية وبالضبط في : رأس بوجدور فهبّ رجال السلطة إلى إنقاذ من كان فيها من البحارة، وبهذه المناسبة بعث السلطان سيدي محمد بن عبد الله سفارةً تصحب العشرين شخصاً ممن رمت بهم السفينة، وكانت برئاسة القائد الطاهر فنيش، وقد أخبر «أمير المؤمنين» «عظيم الفرانصيص» بما قام به المغرب من إسعاف وذلك رعيًا للمهادنة والصلح، وبما أن القنصل الفرنسي بالرباط لوي شينيبي كان يعاكس توجه السفارة فقد شكته الرسالة...

لقد كانت مهمة السفير فنيش تتناول أيضا - وهذا مهم - مفاتحة الجهات الفرنسية بل وسائر البعثات الأجنبية المعتمدة في العاصمة... في شأن عقد اتفاق حول تحرير الأسرى وضابط افتدائهم : «كل أسير بإيالتنا من النصارى أيّاً كان ففداؤه مسلم رأساً برأس وإن لم يكن عندهم مسلمون فمائة ريال فداؤه لاغير... وكذلك إذا كان

المسلمون أسارى عند النصارى... وسواء في ذلك الغني والفقير والقوي والضعيف... ولا يتعدى الأسير في بلاد المسلمين ولا في بلاد النصارى عاما واحدا... والشيخ الهرم الذي بلغ السبعين والمرأة كيفما كانت، لا أسر فيهما... يسرحان في الحين من غير فداء...

☆ ☆ ☆

وقد ازدادت حدة التوتر بين القصر وبين القنصل دوشيني (de Chénier) الذي غضب من شكاية العاهل به إلى لويز السادس عشر، وهنا أخذ القنصل المذكور في الدس بين البلدين - على ما قيل - لدرجة أنه عمل على تفشيل سفارة بعث بها السلطان سيدي محمد إلى لويز سنة 1195 = 1781 حيث نرى البحرية الفرنسية في مرسيليا تتلقى الأوامر من ملك فرنسا بأنها غير مستعدة لاستقبال السفارة المغربية، وقد رجع السفير المغربي الرئيس على بيريس Pères وهو يحمل رسالة كاتب الدولة في البحرية المتضمنة لهذا الجواب...

وقد بعث العاهل المغربي برسالة صارخة إلى ملك فرنسا حول دوشيني مؤكداً أنه غير صالح لأن يكون واسطة بين الدول الأمر الذي أدى إلى نقل القنصل المذكور...

☆ ☆ ☆

الأميرة الضاوية بين المغرب وكورسيكا

لقد وجدت أسرة فرانسيسيني (Franceschini) الكورسكية نفسها في عداد الأسرى الذين يتعهدون الحقوق الملكية بمراكش !

ولقد خطر ببال رئيسها جاك أن يكتب رسالة إلى العاهل سيدي محمد بن عبد الله يشكو فيها حاله... وهنا بعث الملك يستوضح واقتنع بتخلية طريق جاك...

وعندما تقدم هذا للوداع صحبة زوجته وبنته وولده... أعرب السلطان في نهاية المقابلة عن اقتراحه في إبقاء الطفلة مارث لديه، ولم يسع الوالد أمام هذا التكريم إلا أن يقنع زوجته بقبول العرض الملكي... وودعوا المغرب بعد أن أثقلهم السلطان بالتحف والهدايا...

وقد كان من المفروض أن يقف تاريخ الأسرة عند هذا الحد لولا الحدث الذي وقع سنة 1201 = 1787 ! فقد وردت على جزيرة كورسيكا سفينة ترفرف على صاريها الراية المغربية، إنها تحمل بعثة مغربية وجهها السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الجزيرة للاطمئنان على أسرة مارث !!

وقد تملك الوالدة سرورٍ عظيم وهي تتوصل من البعثة برسالة من بنتها مارث التي أصبحت أميرة تحمل اسم «الضاوية»، وبعد شهور كانت الأم في بلاط مراكش بعد استئذان ملك فرنسا لويس السادس عشر، حيث جرى المشهد المثير⁽²⁹⁾

☆ ☆ ☆

ويتوفى السلطان سيدي محمد بن عبد الله فيجلس ابنه المولى اليزيد على العرش ويكتب إلى لويز السادس عشر بتاريخ 12 رمضان 1204 = 26 مايو 1790 يخبره بوفاة والده واعتلائه منصب الحكم وان القنصل الفرنسي دوروشي (Dûrocher) ورد عليه بمكناس وتلاقى معه وأن الأمير اليزيد ينتظر مقدم سفير فرنسي يقول له : «ما في خاطره»...

ويختفي المولى اليزيد ليتولى الحكم يوم 17 رجب 1206 = 12 مارس 1792 أخوه السلطان المولى سليمان الذي كتب رسالة بتاريخ 22 ربيع الأول 1213 = 3 شتنبر 1798 إلى المجلس التنفيذي الفرنسي (Le Directoire) في شأن الاعتداء الذي تكرر من طرف القراصلة الفرنسيين على بعض المراكب المغربية. وفي الرسالة يعتمد سفيره الفقيه الحاج عبد الرحمن ابن زاكور وبمعيته الحاج محمد بن صالح من تجار آسفي⁽³⁰⁾ ومن ضحايا القراصلة الفرنسيين !

EULOGIE BOISSONADE DAVIA : Revue Lectures Pour Tous Paris, N° 192 – Janvier 1974. (29)

تعريب عبد الهادي التازي : مجلة اللقاء المغربي في حلقتين عدد أبريل / مارس 1970 - المجلد الأول من التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 203/202. حبيب جاماتي : تحت سماء المغرب 1964 ص 121.

(30) يحمل الفرنسي المعتدي اسم لوباريت (Le Baret) هذا ونتساءل هل ما إذا كانت هناك علاقة بين ابن صالح هنا وبين الشيخ أبي محمد صالح (ت 131) ؟

Manon Hosotte – Reynaud : Quatre Documents inédits Touchant les Relation entre la France et la Maroc 1794-1810 Hesp. Tamauda 1960 p. 549.

بسم الله الرحمن الرحيم
 واهل بيته الطيبين الطاهرين
 من غير الله ليس المرضي من الله واهل بيته الطيبين الطاهرين
 من غير الله ليس المرضي من الله واهل بيته الطيبين الطاهرين



الى انكسر ديوانه اجلة السحابة السيمى الذي المجهول القاسم بالرواية التي شتبا وية
 انما تعرف وانه غير ناهي عنك ما كان عليه سلفنا مع ذلك من الرعي الحياض والاصول التي
 من افاضين وما انفس الله فعل من الامور التي سلكنا منها ان نلج في الحماة في العبر العزم
 والرفق في الصبح فلا مة وعاباكم تاملنا طرعا باذنا ان نغض من الكبر في شفاظكم على ما
 اقمته الشلف وبني عليه اخلت بظار واتبع انون لوعكبه البع ويا ذروا افواكم من هم هوذا
 منكم من حال الكحل في ناز لتبع فونصو ليع التي عزمك بصحة وكرالكت جاب مع بلع
 كلاته اعدو لنا حال باصحاء المال استرو مع ينظم من ما به على الفرص واهل مناسم
 بلع بلع من غير اهلنا الاكت اليك لتامر واهل جلاب دست مع طبعهم واهل الجاه الدعوى
 حلة من الالف اليك النفية لغير اجماع غير السليم من كور ونايت ولا غير اهل من
 اهل من غير اجماع ورضاع واهل اسعد من عالم الخاف واهل من هم نوبك ونفسي
 اعفان من هم من غير كرم هو من اهل من ريدت مع ولهم مع اهل من اهل من ريدت
 من اهل من ريدت من اهل من ريدت من اهل من ريدت من اهل من ريدت من اهل من ريدت
 من اهل من ريدت من اهل من ريدت من اهل من ريدت من اهل من ريدت من اهل من ريدت

22 ربيع الأول 1213 (3 شتنبر 1798)
 رسالة من السلطان المولى سليمان إلى المجلس التنفيذي الفرنسي في شأن الاعتداء الذي
 تكرر من طرف القراصلة الفرنسيين على بعض المراكب المغربية... وفي الرسالة يعتمد
 سفيره الفقيه ابن زاكور وبمبعته الجاج ابن صالح من تجار أسفي (Hesp TAMI 1960 P. 549).

وبالرغم من أننا لا نعرف شيئاً عن مقام المبعوثين إلى فرنسا لكن المحقق أن السفارة نجحت، وأن الأمر صدر إلى المعتدين - بعد الوصول إلى اتفاق ثنائي بين البلدين - برفع اليد عن البضائع المغربية بل إن هذه البادرة من مولاي سليمان جعلت فرنسا تعوض مغاربة آخرين تعرضوا لمثل تلك الاعتداءات...

مولاي سلامة و نابوليون !

تحدث التاريخ المغربي قليلاً عن الأمير مولاي سلامة الذي كان في جملة الأمراء الإخوة الذين تنافسوا على الحكم في أعقاب وفاة والدهم : السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وقد عثرنا على بعض الوثائق التي تتصل بعلاقاته مع ملوك أوروبا، وكان من هذه سفارته برئاسة القائد العباس إلى «الري ولد كارلوس» التي تتحدث عنها رسالته بتاريخ 17 رجب 1206 = 11 مارس 1792 وسفارته إلى الدونا مارية ملكة البرتغال... وفي حديثه عن تاريخ حمودة باشا عام 1226 = 1811 ذكر ابن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان (ج 3 ص 51) قدوم السلطان السابق للمغرب مولاي سلامة الذي أفاد عنه : أنه بويغ بعد وفاة أخيه مولاي اليزيد ثم خلعه أهل فاس وقدموا للسلطنة أخاه مولاي سليمان فخرج إثر خلعه وأقام مدة بمصر حيث اجتمع فيها بنابوليون الأول...
لقد كان مما سجله الأمير المغربي عن المقارنات بين الجيشين : أن أثقال أمير الجيش المصري توازي أثقال الجيش الفرنسي كله ! والحال أن بيت نابليون يحتوي على فراش منامه وموضع جلوسه وأمامه مائدة عليها دواة وقرطاس لجلوس من يأتيه لاغير !!

وسنسجل للتاريخ أنه نتيجة لتدخل القائم بالأعمال الفرنسي وجه السلطان مولاي سليمان يوم 15 ربيع النبوي 1222 = (23 مايه 1807) إلى نابليون الأول يخبره بأن القنصل أورنانو (Ornano) أنهى إليه ما حدث من الوقائع والحروب مع أعدائه من أجناس النصارى إلى أن أظفره - الله على خصومه، وعليه فإننا - يقول العاهل المغربي - وجهنا إليكم بقصد التهئة سفيرنا الحاج ادريس الرامي مع بعض الهدايا للذكرى لأن أسباب الهدية تكون - فيما ينشأ عنها من المحبة والتواصل على حدّ تعبير الرسالة السليمانية.

وقد خطب الحاج ادريس بين يدي نابليون يوم الاستقبال : الأحد 6 شتنبر 1807 في قصر كلود...



بسم الله الرحمن الرحيم وهو محمد بننا ونعم الوكيل ولا حول الا قوة الله
 محمد بننا ونعم الوكيل وهو محمد بننا ونعم الوكيل ولا حول الا قوة الله
 على الله ما لم يكن له من قبله ولا قوة الا بالله العلي العظيم



الى السلطنة الشريفة العظمى العزى العظمى لا تيرى انك تبارك اول النبلاء والامان صرور او كماله اما بعد سرورنا
 كنيان ارباب الفلكس وقد بايا الفلكس ولما انتمى اليها ما صرر لكم من الوقائع والحروب مع عدوكم اجناسنا
 الى اعقبكم الكفر وعمر ما لي فعلت فيكم من طوبى لا جناح عليه وجناحكم فسرنا وحقنا الامر الساج
 ادر من الزمان معينا لكم بان تكلم لعل انتم فيكم بعد وهم وليهم فيكم ايضا الكرم عن زمانه الكفاية الله
 في ركبكم وانما هيكم على الحكمة الفورية والسوية الصالحة تخرج في ذلك الترفيضا ومردنا الى الرصد
 الله تراه من لا يقع في ذلك تغيير في الله السلامه انتم عنونا لا تترك ومنه اننا لا نترك كما مررنا
 لكم صحتهم الكرم فينا لثمة المردية تزعمت انتم فيكم مع العيلة بنسبكم كمنه لاهلنا
 ان اسباب المردية ما ينشأ منها من العبة والتواصل وكسر معكم ان شاء الله على الصبر والوفاء والامانة
 رغبه الكرم من خرد امرا كثر ومتصف ربيع النبوي على 222

(23. Mai 1807.)

استقبل 6 شتنبر 1807

15 ربيع النبوي 1222 - 23 مايه 1807

من السلطان مولاي سليمان إلى الملك نابليون الأول امبراطور فرنسا: قنصلكم أرنان (Arnano)...
 انهي إلينا ماصدر لكم من الوقائع والحروب مع عدوكم من اجناس النصارى إلى أن أعقبكم الظفر
 بهم... وعليه وجهنا خديمتنا وسفيرنا الحاج ادريس الرامي مهنتاً. ونحن معكم على الصحبة، مع
 هدية ذكرى فقط لأن أسباب الهدية فيما ينشأ عنها من المحبة والتواصل.

العلاقات المغربية الإسبانية في صدر الدولة العلوية

- مشكلة الثغور المغربية المحتلة... تحرير العرائش.
- السفارات المتبادلة بين المغرب واسبانيا...
- تصميم المغاربة على استرجاع سبتة...
- الملك محمد الثالث يواصل العمل من أجل تحرير الثغور.
- الاتفاقيات المغربية الإسبانية.
- الملف المفتوح دائماً : الثغور المحتلة...
- حضور السفير ابن عثمان في الملف المغربي الإسباني.
- السلطان مولاي سليمان واسبانيا أيام نابوليون.
- محاولة مولاي سليمان استرجاع سبتة...
- الشركة الإسبانية المغربية بفضالة.

العلاقات المغربية الإسبانية على عهد العلويين... القسم الأول

مهما كان شعور الدولة العلوية بالثمار التي يمكن أن تقطفها من حفاظها على سياسة حسن الجوار بينها وبين الذين يوجدون على مرمى حجرية منها، فإن هذا الشعور كان يتلاشى في أكثر الأحيان أمام رؤية الجيران وهم يجثمون على قطع صميمة من ترابها الوطني ! وبالرغم من أن المغرب كان يلجأ في بعض الظروف لاستعمال القوة من أجل استرجاع ثغوره فإنه كان في كثير من المناسبات يميل، لسبب أو آخر، لاستخدام الوسائل الدبلوماسية المتمثلة في تبادل السفارات ومواصلة الحوار...

هناك ما تزال المعمورة والعرائش وأصيلا وسبتة ومليلية والجزر المتوسطية تحت سيطرة الإسبان...

وهكذا نجد المولى اسماعيل يفتح المعمورة يوم 11 ربيع الثاني 1092 = 30 أبريل 1681 حيث أخذت من الآن اسم «المهدية»...

وبعد أن يحرر طنجة من يد الإنجليز 1095 = 1684 يتجه نحو العرائش ليزيح عن المغاربة عاراً ظلوا بسببه يحتذون النعال السود حتى لا ينسوا !!⁽¹⁾

وبمقدار ما تعاضم الإسبان عن قبول عرض السلطان مولاي اسماعيل بالجلاء، بمقدار ما زاد تصميم العاهل على استخلاص المدينة معتمداً في ذلك على قوة إيمانه وعظمة جيشه، وقد تحدث اليفراني في النزهة عن المعاناة التي تحملها المجاهدون المغاربة من أجل إزاحة هذا الكابوس عنهم، وقد وصف

(1) Tomas Garcia Figuera, Carlos Rodriguez Joulla Saint-cyr, Larache, Madrid, p. 411-412.

حفرتهم الخندق من تحت الجدار الموالي للمرسى وشحنه بالمتفجرات وإشعالهم النار وتفرجهم على انهيار الأسوار حيث اقتحموا المدينة ليلتحموا مع المحتلين في معركة تاريخية رائعة... وقد لاذ الجند الإسباني بالحصن الذي كان يقذف شواظاً من نار غير أن الاعتصام به لم يفد! فقد تسلق المغاربة عليهم الأسوار بالرغم مما كان ينالهم من جحيم، وخامر الجزع والفرع قلوب المحتلين فرفعوا راية الاستسلام يوم 27 شوال 1100 = 24 غشت 1689 وسيق زهاء ألفي أسير نحو العاصمة مكناس، وغنم سائر ما في الحصن من معدات.



أحد المدافع التي تركها الإسبان في العرائش

لقد كان نصراً لا يقل عن نصر أحمد المنصور السعدي في وقعة وادي
المخازن...

ولقد عمت الفرحة سائر جهات المغرب، ومن هنا استبدل الناس لباس
النعال السود بالنعال الصفراء الزاهية الألوان، ونظراً لأهمية الحدث فقد طير
الخبر به إلى أقاصي البلاد وبخاصة تُنْبُكْتُ على ما قلنا⁽²⁾ وكذا مع ركب الحاج
المغربي الذي راح في سنة 1101 = 1689⁽³⁾ ليشارك المشرق بلاد المغرب في
مباهجه وأفراحه وذلك حسبما تفيدنا به مخطوطة (نسمة الآس في حجة سيدنا
أبي العباس) التي تتحدث عن الأنفاط المغربية التي نسفت الحصن...⁽⁴⁾

وتعبيراً عن الفرحة الكبرى من طرف رجال الفكر والشعر فقد تبارى
الأدباء في نظم غرر القصائد.

وفيه من اغتنم هذه الفرصة ليستحث السلطان المولى إسماعيل على التقدم
نحو سبتة ونحو وهران كذلك لافتكاكهما من يد المستعمرين الإسبان...!

سفارات متبادلة...

لقد استدعى أسر العشرات بل المئات من عيون الضباط الإسبان، تحرك
الدبلوماسية الإسبانية لدى العاهل المغربي من أجل تحرير ما يمكن تحريره !
وهكذا بعث دون كارلوس الثاني بالفرايلي خوان Fraile Jnan الذي كان يحمل
رسالة إلى السلطان المولى إسماعيل الأمر الذي أجاب عنه العاهل حالاً مكلفاً
(الفرايلي) المذكور بنقل الخطاب...

(2) الاستقصا 7، 73. يراجع فصل العلاقات المغربية مع بلاد السودان، وانظر المجلد الثاني من هذا
التاريخ ص 187.

S.I.H.M. FRANCE S. 2 T 3. p 276

(3) المخطوط بالخزانة الحسنية تحت رقم 8787، 2343، وبالخزانة العامة في المجموع رقم 418 /ك.

(4) عبد الهادي التازي : أمير مغربي في ليبيا ص 37.

وقد تبع هذا الإتصال اتصالاً آخر حيث بعث كارلوس بسفارة ثانية برئاسة دون مانويل فييرادي ليكو⁽⁵⁾ (D. Manuel viera de Lugo) وعضوية الترجمان عبد المسيح (D. Abel Messé) حيث وصلوا للمغرب في شتنبر 1690 وكانت تهدف أيضاً لاستخلاص كبار الشخصيات العسكرية... وهكذا أجاب السلطان المولى اسماعيل بالبعثة الدبلوماسية التي أرسلها برئاسة الوزير حمو⁽⁶⁾ بن عبد الوهاب الغساني وعضوية عبد السلام بن أحمد جسوس، والتي حملت رسالة تاريخية من السلطان اسماعيل إلى الملك دون كارلوس تحمل تاريخ 16 ذي الحجة 1101 = 21 شتنبر 1690.

ونرى العاهل المغربي في هذه الرسالة التي يتحدث فيها من مركز القوة يقول للدون كارلوس بعد أن يشير للسفارات المتبادلة وبعد أن يعتمد الوزير الغساني وزميله لدى ملك اسبانيا : إن المائة من الأسرى الذين كنا أعطينا الوعد بتسريحهم قاموا بأعمال استفزازية الأمر الذي أثار احتجاج رجال الدين وعلماء الشريعة الذين يرون أن هؤلاء الأسرى أخذوا بالسيف ولذلك فلا وجه لإطلاق سراحهم بدون عوض..!

وحينما يتعرض المولى اسماعيل لدعوى اسبانيا أنها كانت في العرائش اعتماداً على تنازل مكتوب يقول أيضاً : إن وجودكم السابق في العرائش كان مبنياً على غير أساس وأن تنازل محمد الشيخ كان نتيجة ضغط ولذلك فهو تنازل غير مشروع!!⁽⁷⁾

وقد كانت هذه فرصة ليعيد السلطان المولى اسماعيل إلى ذاكرة كارلوس أن رجال الدين في المغرب ما انفكوا يتذكرون غدر قشتالة بأهل غرناطة الذين يتجاوز عددهم الأربعين ألفاً بعدما وقعوا على ستين شرطاً لم يُوفّ لهم ولو بواحد منها..!!

S.I.I.M. FRANCE T 3. p 355

(5)

Larache. p 312

(6) حَبَوٌ كثيراً ما تعني في الاصطلاح العامي المغربي اختصار اسم محمد أو أحمد على نحو ما نسمعه في عَسَوَ عن عبد السلام ورَحَوَ عن عبد الرحمن وعَبَوَ عن عبد الله والحوس عن الحسين وبلقاس عن أبي القاسم... الخ

(7) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 222 - محاضرة بعنوان : عظمة الميثاق، رمضان 1406.

إن ملك المغرب يشترط لافتداء المائة ضابط : أن يسلم للمغرب في مقابلة خمسين منهم خمسة آلاف مخطوط : مائة عن كل واحد، وكان المولى اسماعيل يقصد بالدرجة الأولى إلى تخليص مكتبة السلطان المولى زيدان التي استولى عليها القراصلة الإسبان في عهد فيليب الثالث سنة 1612 وأصبحت في دير الإسكوريال على ما نعرف.

أما الخمسون أسيراً الآخرون فهو يطلب مبادلتهم بأسرى مسلمين ولكن ليس على أساس رأس برأس بل عشرة مسلمين بأسير إسباني !

ويلح السلطان مولاي اسماعيل على وصف (مسلمين)، وليس وصف (مغاربة) لأنه يعتبر المسلمين أينما كانوا أمة واحدة : «من إيالتنا وغيرها، كيضمنا كانوا ومن أي بلاد كانوا...».

وتختم الرسالة الإسماعيلية بوضع كارلوس أمام اختياراته : إذا نحن أبصرنا منكم المسارعة لأغراضنا والجد في ابتغاء مرضاتنا فلا ترون إلا ما يعجبكم (8)

ومن الطريف أن نجد الوزير حمّو يدون بعض يوميات سفارته في كتابه الذي يحمل اسم «رحلة الوزير في افتكاك الأسير» (9) وقد رفعها إلى السلطان المولى اسماعيل فور عودته وهي تتضمن علاوة على ما يمس مهمته، أخبار أوروبا القلقة في ذلك العصر... (10)

(8) Mariano Arribas Palau : De Nuevo Sobre La Em Bajada De AlGassāni Al-Qantara – Madrid, 1985 P. 199.

(9) يوجد عدد من مخطوطات هذه الرحلة سواء بالأندلس أو المغرب، وقد نشرها الأستاذ ألفريد البستاني ضمن منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو إلا أنه أي البستاني تعمد تلخيص ثلاث صفحات تتعلق بمناظرة الغساني مع الرهبان في مدريد صفحة 94 الأمر الذي لا تسمح به الأمانة التاريخية... وكانت هذه السفارة محل اهتمام من مجموعة دوكاستري فرنسا - المغرب سلسلة ثانية، مجلد ثالث 355/349.

Figueras : Larache, Sain-CYR 1973 p 321.

Mariano Arribas Palau : Ambaj ADA... -Al-Qantara, T.6, 1985 p 199-289.

(10) ردد الغساني أخبار الجرائد التي تتحدث عن تجمعات الترك وحملاهم أيام السلطان سليمان ضد الأمبراطور الألماني الذي كان يسمى جاهدأ لتأليب بولونيا والدول المتاخمة لتركيا لإضعاف شوكتها...

وقد وجد في استقباله منذ إشرافه على مانزاناريس (Manzanares) مبعوثين من لدن الملك كارلوس الثاني وعلى رأسهم «النصراني الحلبي» الترجمان الوارد من قبل طاغية اسبانيا سفيرا». (11)

ولقد ألقى عليه سؤال حول عادات المغرب في مثل هذه المقابلات لإطلاع العاهل الإسباني على ذلك لكونه لم يتقدم له - كما يقول الفسائي - أن تلاقى مع أحد من أهل ملتنا أعزها الله ! وكان أن أخبرهم الفسائي بأننا نقول : السلام على من أتبع الهدى ! ويذكر الدبلوماسي المغربي أن ملك اسبانيا تعجب من صيغة هذا السلام لأنه لم يعتدها ولكنه لم يسعه إلا قبولها !! (12)

لقد رحّب بنا الملك ولم يقصر في الترحيب والإكرام وسأل عن سيدنا المنصور بالله سؤالاً كثيراً، وحين ذكره أزال شمريه (قبعته) من على رأسه إجلالاً وتكريماً (13) فقلنا له : بخير بحمد الله تعالى... وناولناه الكتاب السلطاني بعد تقبيله ووضعه على الرأس فتناوله بيده وقبله وجعله على الطبلّة بعد أن رفع أيضاً ما على رأسه... (14)

وفي أثناء اشتغالهم بالبحث عن الأسرى وتجميعهم من سائر جهات اسبانيا كان على ملك اسبانيا لكي يحصل على (الألف) أن يصدر أمره لسائر الحكام لتجميع هذا العدد الضخم، (15) ومن الغريب أن نعثر على وثيقة تدل على أن

(11) ماروني من حلب الشام كان يرافق السفير المغربي في اسبانيا...

(12) لا بدّ أن أشير هنا لردود الفعل التي كانت تخلقها هذه التحية سواء في البلاطات الأوربية... بل وكذلك لدى الرؤساء الأميركيين أيام الملك محمد الثالث !!

(13) مجلة القنطرة 1985 (Alqantara) Alghssani, AMB, Marlano Arribas Palau

(14) كأن الكاتب يصحح ما نسبته الرسالة الإجماعية لكارلوس من أنه حفيد الذين غدروا بمسلمي غرناطة... وقد كان كارلوس هذا فعلاً آخر ملك من الأسرة النمساوية...

(15) لقد راجت حول (المخطوطات المطلوبة) عدة مناقشات بين مختلف المجالس الإسبانية المعنية وقد اعترضت الكنيسة بصفة جدّ قوية على المطلب المغربي باستعادة المخطوطات، وهكذا ادعى كارلوس أن بعضها تلف مع الزمن، وبعضها تعرض لحريق الأسكوريال سنة 1671 بل إن الأوامر صدرت إلى المشرفين على دير الأسكوريال بأن لا يجعلوا مرور السفير على مكان تكون له صلة بالمخطوطات الأمر الذي تكشف عنه المصادر الإسبانية المعاصرة!!

بعض الأسرى استوردوا من أماكن نائية عن الجزيرة، ومن المعلوم أن فيهم عدداً كبيراً من الجزائريين وطائفة مهمة من المسلمين الأتراك الذين استفادوا من المناسبة.

وفي أثناء تقديم السفير لبعض المشاهد التي رآها بمدريد يعرض لعادة التزلج على المياه Skinautique ولعادة عيد الثيران كما يسميه... كما يعرض أثناء حديثه عن القصور لقصر البارودو (EL BARDO) الذي زاره باقتراح ملح من العاهل الإسباني الذي أثار السفير المغربي بهذه الالتفاتة التي لم يحظ بها سفير فرنسا ولا سفير ألمانيا! (16) كما تحدث عن نظام البريد ووظيفة الرقاص... (17) وعن الصحافة (الكاسيطة) في مدريد...! وعن نظام السفراء (الأنباشادورين) المقيمين الذي يعرفه الغساني لأول مرة، معطياً تفصيلاً عن الدول التي وجدها ممثلة بالعاصمة والتي سحبت سفيرها (فرنسا) أو فصلته لمخالفته مذهب بلاده (انجلترا) وقد قدم حديثاً مفيداً عن الخلاف الناشب آنذاك بين الكاثوليك والبروتستانت...

ويعود الوزير الغساني ليتحدث عن رغبته في العودة إلى وطنه والاستئذان بالسفر سيما وشهر رمضان على الأبواب... وهنا تنظم له مراسم حفلات التوديع التي جرت هذه المرة في قصر أرانخويس (Aranjuez).

لقد استقبله ملك إسبانيا على العادة واقفاً وبمحضر أسرته وكبار رجال دولته، فسلمنا عليه يقول الغساني سلامنا المعتاد : السلام على من أتبع الهدى، ووجدنا بيده رسالة كتبها إلى السلطان المولى إسماعيل قائلاً لنا : نوبوا عنا في السلام اللائق بالمقام الشريف ونحن نرجو الخير في الأسرى الذين عنده وكل ما يعرض لمقامه العالي عندنا نقضيه إجلالاً لمنصبه...

(16) من الطريف أن نجد الغساني وقد أخذ بنظام «أخوة المحبة»، يتمنى فقط أن لو نطق أعضاؤها بلفظ الشهادة، على نحو ما نقل عن أحد رجال الدين عن الصين عند ما زارها : لقد قال عنها : إنها أمة مسلمة ينقصها قول : لا إله إلا الله !!
(17) يجمعه الغساني : رقاقيص : والتقصيد كما هو معلوم إلى موزعي البريد.

وهكذا ودعوا مدريد في اليوم الأول من رمضان عام 1102 - 29 ماي 1691 في اتجاه الديار المغربية، وقد إغتتم الغساني هذه الفرصة ليتحدث أيضاً عن المعالم التي شاهدها أثناء العودة وأعطى معلومات جدّ ثمينة عن مسجد طليطلة، ولكن بتر الرحلة من الآخر حال دون إطلاعنا على ما كان وعد به من إعطاء تفاصيل عن مسجد إشبيلية...

لقد نجحت السفارة على الأقل في الشروط التي فرضها المولى إسماعيل لتحرير المائة أسير من عيون الضباط والجنود، وهكذا بذلت المساعي لإنجاح عملية تجميع الأسرى المغاربة على صعيد المملكة الإسبانية كلها : بما فيها جزيرة ميورقة، وكاتالونيا وبلنسية ومرسية، وكانت نقطة التجمع في أليكانت (Alicante)⁽¹⁸⁾ وقرطاجنة (Cartagena) قبل أن ينتقلوا إلى (قادس)... وقد وصل الجميع إلى ساحل سبتة يوم 8 شتنبر على ظهر مركبتين من جنوة تحمّلان الأسرى المسلمين صحبة السفير حمّو.. وقد حضر القس دون مانييل فييرا لوكو (M. Viera de Lugo) الذي صحب بدوره المائة أسير إسباني والذي نراه يحرق رسالة من معسكر قبالة المدينة إلى الوزير محمد بن حدّ و (السفير المغربي بأنجلترا) بتاريخ شتنبر 1691 إثر عودة السفير المغربي ابن حمّو جواباً على رسالة ابن حدّ بتاريخ 7 من الشهر الجاري، وهو يقول : إن الألف أسير التي أحضرها لا تشمل الرضع من الأطفال الذي قدّموا كهدية من ملك إسبانيا إلى العاهل المغربي كما يقول : إن ملك إسبانيا أرجع الأسرى المغاربة مع سائر ما يملكون ! وكان القصد بهذا تمهيد الطريق للتفاوض في أمر المئات الباقية من الأسرى الإسبان الذين رفضت السلطات المغربية أن تجزيهم على سنن الإتفاقية الأولى!!⁽¹⁹⁾

(18) تتعرض المصادر الإسبانية لتفاصيل مسهبة عن هذه المظاهرة الكبرى وعن المراسيم التي اتبعت في عملية التبادل التي جرت يوم 13 شتنبر 1691 مما لا يخلو من طرافة... هذا وإن الوثائق المتعلقة بتجميع الأسرى محفوظة في أرشيف تاج أراغون...

S.I.H.M. FRANCE S. 2 T 3. p 395 (19)

استرجاع أصيلة...

والمفاوضات حول تحرير الأسرى جارية، والهدايا الإسبانية في طريقها إلى مكناس، يقوم المولى اسماعيل بمحاصرة أصيلا لتحريرها من قبضة الإسبان الذين تغلبوا عليها عند انهيار دولة السعديين...

وهكذا صدرت الأوامر بضرب الحصار الذي نال من معنوية الحامية الإسبانية التي تعلم الشيء الكثير عن مصير حامية العرائش بالأمس القريب !! ولم يسع الحامية إلا أن تطلب الأمان... الأمر الذي استجاب إليه قادة الجيش المغربي...

بيد أن الرعب كان قد طغى من جهة على سائر من بالمدينة، ومن جهة أخرى فإن إسبانيا وهي ما تزال تئن من جراحها في العرائش، وهي أيضاً تستعد لتجميع كل قواها بسببته، أعطت الأوامر بإفراغ أصيلا ! وهكذا تهالك المحتلون في جنح الظلام على المراكب الموجودة بالمرسى ولاذوا بالفرار إلى الشط الآخر وكان ذلك سنة 1102 = 1691، وهي السنة التي شاهدت فيه المدينة بناء المساجد والمدارس...

حصار سبتة...

وقد تجلّى للإسبان أن السلطان المولى اسماعيل مصمم العزم على استرجاع الثغور التي ما تزال ترزح تحت نيرهم فقذفوا بكل قواهم ومعداتهم إلى سبتة ومليبية وجزيرة بادس، بل وشددوا من تحصيناتهم لوهران التي بلغتهم الأصداء عن حسرة المولى اسماعيل من عجز أتراك الجزائر عن تحريرها..!

واتجه العاهل المغربي بدوره نحو سبتة فأمر بحفر الخنادق وإقامة المتارس وإجلاب الجيش إليها من كل صوب وهنا يبتدئ الصراع الطويل المرير سواء في الميدان العسكري أو على الصعيد الدبلوماسي.(20)

لقد حاول كارلوس أن يحصل من السلطان المولى اسماعيل على عقد هدنة تجعله يتنفس قليلاً من متاعب التطويق الطويل المحكم الذي أخذ بمخائق المدينة لكن العاهل رفض على ما نقرأه في رسالته لكارلوس بتاريخ 17 ذي القعدة 1111 = 6 مايه 1700.(21)

وقد جدّ حادث في هذه الأثناء علق عليه المولى اسماعيل - في البداية - أملاً كبيراً من أجل التمكن من استرجاع سبتة، فقد احتلت بريطانيا جبل طارق يوم 2 ربيع الثاني عام 1116 = 4 غشت 1704 أثناء صراع الأمبراطور النمساوي ومعه حلفاؤه إنجلترا وهولاندا وإيطاليا والبرتغال، ضد ملك اسبانيا فيليب الخامس وضد جده لويز الرابع عشر ملك فرنسا...(22)

فلماذا لا يتوجه اسماعيل لمصانعة إنجلترا وطلب مساعدتها وهو يعلم عن قوتها البحرية ؟

وهكذا نجد الوثائق تتحدث عن وجود سفارة مغربية برئاسة أحمد بن أحمد قارديناس في لندرة حملت رسالة هامة إلى الديوان الإنجليزي وذلك في بداية عام 1118 = 1706...

(20) حول حصار سبتة راجع أيضاً دوكاستري : فرنسا - المغرب سلس 2 مجلد 4 ص 429/361.

S.I.I.M. SERI 2 T 4. p 361

د. التازي : الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي مجلة «البحث العلمي» العدد 24 محرم سنة 1395 = يناير 1975.

(21) د. لطفي عبد البديع : وثيقة مراكشية بالاسبانية، مجلة معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية، المجلد الثالث، الجزء الثاني، ربيع الثاني 1377 = نونبر 1957 صفحة 323، 332.

(22) لا بد أن نشير إلى اتفاقية أوترريشت (Otrecht) التي وضعت حداً لحروب توارث الحكم والتي وقعت عام 1713 اسبانيا وإنجلترا وفرنسا وهولاندا والتي تقضي بتملك إنجلترا لجبل طارق تملكا شرعياً Hassan II : le defi, p 88-87

«ومما يعبر عن العزم الصارم للمولى اسماعيل على استعادة المدينة قوله للبرلمان البريطاني إنه لا تحدوه الرغبة في طمع مادي يستفيده من المدينة بل إنه يفضل أن يحطمها تحطيماً دون أن تبقى في يد المحتل على نحو ما قرأناه عن العاهل المريني أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق.⁽²³⁾»

ولقد أدى الموقف السلبي من أنجلترا إلى تجميد المملكة المغربية للاتفاقية التي عقدت بين الملكة آن وبين القائد علي بن عبد الله الريفي بل وإلى سحبها حسبما تفيده رسالة من الوزير عبد الله بن عائشة والقائد محمد معنينو حاكم سلا إلى كل من ابن لويز الرابع عشر (Le duphin) والوزير الفرنسي بونتشارتران (Pontcharain).

ولكن هل إن الجيوش المغربية كلها كانت متركزة على أبواب سبتة ؟

لقد هبَّ السلطان المولى اسماعيل لإزعاج المحتلين لبادس عام 1680 = 1098 و عام 1687 = 1135 و عام 1723 الأمر الذي دفع ببعض القادة الإسبان لتخطيط الفرار من الجزيرة لولا أنهم تنفسوا الصعداء بوفاة المولى اسماعيل !!

وبعد أن كان العاهل أشرف بنفسه منذ أيامه الأولى على محاصرة مليلية قصدت طائفة أخرى من الجند المدينة 1105 = 1694 ثم عام 1127 = 1715 حيث ما انفكت جائمة على صدور المغيرين إلى أن جاءت الأخبار بوفاة السلطان المولى اسماعيل سنة 1139 = 1727 !

وهل نسي العهد العلوي الأول أرخبيل نكور (المزمّة).

إن الإسبان ما لبثوا أن دفعوا بقوتهم في بداية دولة السلطان المولى اسماعيل عام 1082 = 1673 للاستقرار في الجزر الثلاثة بيد أن المقاومة المغربية

(23) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مجلد 7 ص 125.

المستمرة منذ أن استتب الحكم لاسماعيل حرمت الإسبان فعلاً من الاستفادة من هذه النقطة الهامة التي توجد شمال المغرب...

☆ ☆ ☆

وبالرغم من بعض الاضطراب الذي عرفته البلاد بعد وفاة السلطان المولى اسماعيل فإن قضية تحرير الثغور كانت تأتي في رأس مشاغل الحكومة والشعب، وبهذا نفس وجود السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل يلتزم بحصار تلك المواقع منذ أيامه الأولى سنة 1141 = 1732 - إذ لم يكن هناك مواطن مغربي واحد يستسيخ أبدأ رؤية هذه الثغور في يد غير مغربية..! (24)

ومن المفيد أن نشير هنا للخلافات التي نشبت بين أبناء السلطان مولاي اسماعيل والتي لم تكن بعيدة عن فشل المجاهدين في إحكام الحصار على المدينة. (25)

وقد رأينا ابن السلطان مولاي عبد الله وولي عهده يقرر - وبتفويض من والده - أن يفتح بعض الدول الأوربية في الحصول على المزيد من السلاح لمتابعة خطة جده السلطان المولى اسماعيل في مقارعة الوجود الإسباني بالثغور المغربية...

ومن هنا كان ميل الأمير لعقد اتفاقية مع الدانمارك سنة 1751، هذه الاتفاقية التي أثارت حفيظة اسبانيا فهددت بقطع علاقاتها مع الدانماركيين.. (26) نظراً لما كانت عليه الحالة من توتر بين المغرب واسبانيا بسبب الثغور من جهة، وبسبب تعثر المفاوضات المتعلقة بتبادل ما تبقى من الأسرى من جهة أخرى. (27)

(24) المجلة التاريخية أبريل 1981.

(25) Chantal de la Verone : Sources Francaises de L'Histoire du Maroc, Revue D'Histoire Maghrebine N° 21-22

Avril 1981 Tunis p 122.

(26) H. de Castries : le Danemark et le Maroc 1750-1767 Hesp. 1926 p. 327-49.

(27) يحكي الأسير السويدي (ماركوس بيرك) في مذكراته التي نشرها في سطوكولم سنة 1757 والتي ترجمت إلى الفرنسية 1974 أنه عندما اقتيد إلى فاس للمثول أمام السلطان المولى عبد الله وجد هناك عدداً كبيراً من الأسرى الإسبان...

ويصبح الأمير سيدي محمد سيد البلاد بعد وفاة أبيه فتعرف الثغور المغتصبة تطوراتٍ جديدة.

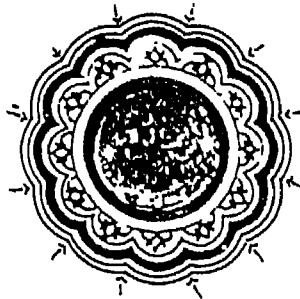
وهكذا أصبح العاهل الجديد يخطط لمحاصرة سائر المواقع سواء منها التي توجد على البحر المتوسط أو على المحيط الأطلسي...

ومن هنا قصد العاهل شمال المغرب وزار نواحي سبتة ليقف بنفسه على ما يمكن عمله من أجل استرجاع المدينة، وكان ذلك خلال سنة 1172 = 1758 - 1759، وبالرغم من تقديره للقوات الإسبانية الكثيفة المحتشدة بضواحي المدينة وبالرغم من مناعة الموقع الذي يتحكم في مصيره البحر على ما هو معروف فقد أمر بإخراج الطاروق (المدفعية)⁽²⁸⁾ وكان هذا بمثابة إشعارٍ بموقف السلطان إزاء التسلط على أراضيه..!

وفي هذه الأثناء كانت هناك قضية أخرى تشغل بال العاهل المغربي : تلك هي مشكلة الأسرى التي أفلقت دول أوروبا ! فقد تجمع في المغرب عدد مهم من هؤلاء ممن كانوا يقعون في قبضة رؤساء البحرية المغربية... كما أن هناك عدداً آخر من المسلمين ممن كانوا وقعوا في يد القراصلة الأروبيين...⁽²⁹⁾ على أن هناك أمراً ثانياً كان الملك يتوق إليه ذلك هو استرجاع المخطوطات العربية التي بقيت تحت أيدي الإسبان بعد إجلاء المسلمين عن تلك الديار، وهكذا قرر السلطان سيدي محمد إرسال سفارة إلى إسبانيا لمقابلة الملك كارلوس الثالث للاتفاق على توفير ظروفٍ أحسن للأسرى المسلمين الذين كانوا كاتبوا العاهل متوسلين متظلمين...

(28) د. التازي : الثغور المغربية المحتلة، مجلة البحث العلمي، يناير - يونيو 1976، ص 19.
(29) نُشر الأستاذ ماريانوس أريباس بالاو بحثاً بالاسبانية في مجلة «كناشات خزانة تطوان» عدد يونيو - دجنبر 1980، ع. 22/21 ص 315 328 بعنوان تحرير ثلاثة تطوانيين سنة 1767 كانوا أسرى بجزيرة يابسة وقد قدم لهذا الموضوع بالحديث عن سفارة أحمد الغزال... وهؤلاء الأسرى هم : سعيد الشريف وأحمد البخاري وقاسم الريفي، وقد نقلوا إلى قرطاجنة ومنها اتجهوا صوب تطوان حيث رحلوا إلى مكناس لتقديم الشكر لسيد البلاد الذي هنأهم بسلامتهم...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَا حَزَنٌ وَلَا فُتُورٌ إِلَّا مَا اللَّهُ الْبَاقِلُ أَنْعَمَ



الرَّحْمَنُ كَانَ لِحَاغِيَةِ الْخَبِيرِ سَلَامٌ عَلَى سَائِرِ أَتَمِّعِ الْعَهْدِي أَمَا بَعْدُ فَإِنِ اسْتَأْذَنَّا مِنْكَ بِعَقْدِ
أَيْدِيكَ سَلَامٌ عَلَى سَائِرِ لَعْمٍ فَسَرَّحْنَا وَبَعَثْنَا بِمَنْ لَمْ نَزِدْكَ مِنْهُ مِنْ نِعْمَةٍ فَتَشْرِبُ مِنْهُمُ الْبَلَاءُ فَتَقْرَأُ مَا مِنْهُ
خُذَا سَلَامًا وَأَيْدِيًا وَتَحْتِ سَمْعِي وَسَمْعِي وَتَحْتِ أَيْدِي النَّارِ وَرَبِّعْتَهُ حَرَجَ بِأَنْفِ عَيْتِهِ وَيُؤَلِّمُكَ بِسُورَةٍ
وَيُؤَلِّمُكَ بِسُورَةٍ مِنْ سُوْرَةِ الْقَالِ وَيُؤَلِّمُكَ بِسُورَةٍ مِنْ سُوْرَةِ الْقَالِ وَيُؤَلِّمُكَ بِسُورَةٍ مِنْ سُوْرَةِ الْقَالِ
أَنْفِ عَيْتِهِ مِنْ حَيْثُ اسْتَأْذَنَّا مِنْكَ بِعَقْدِ أَيْدِيكَ وَسَمْعِي وَتَحْتِ أَيْدِي النَّارِ وَرَبِّعْتَهُ حَرَجَ بِأَنْفِ عَيْتِهِ
عَنْهُمْ وَلَعَلَّكُمْ أَسْمَعْتُمْ لِمَا تَكْفُرُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ وُجُوهَهُ
بِهِ فَإِنَّا نَخَافُ مِنْهُ وَيَوْمَ لَا نَسْتَعِينُ وَلَا نَجِدُ لِمَنْ يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ أَهْلَ السُّبْحِ وَالَّذِينَ يَحْكُمُونَ
وَالَّذِينَ يَحْكُمُونَ أَسِيرٌ بِخِشْيَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ فَخَرَّعَهُمْ لِمَا يَشَاءُ فِي الْحَرْبِ وَاللَّيْلِ فِي الْمَغَارِ وَنُجُومِ الْوَسْطِيِّ
لَمْ يَلْجَأْ تَوَكُّلُهُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَإِنَّا مِنْ بَلَاءِ الْكُفَّارِ أَوْ أَيْدِي النَّارِ وَرَبِّعْتَهُ حَرَجَ بِأَنْفِ عَيْتِهِ
وَأَكِيدُهُ فِي شَرْعِي وَهِيَ أَنْفِ عَيْتِهِ وَرَبِّعْتَهُ حَرَجَ بِأَنْفِ عَيْتِهِ وَرَبِّعْتَهُ حَرَجَ بِأَنْفِ عَيْتِهِ
فَعَلَهُ تَأْيِيدُهُ عَلَيْهِ مَشْفَعَةٌ وَقَدْ يَفْخَرُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَسْمَاءِ هَذِهِ الْمَشْفَعَاتِ بِمَا كُنَّا لِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْسُورِ عَلَيْهِ
شَرَعْنَا بِعَيْتِهِ فَتَعْبُدُونَ أَنْتُمْ أَنْفِ عَيْتِهِ وَتَقْرَأُونَ مَا يَنْبَغِي مِنْ أَيْدِي النَّارِ وَرَبِّعْتَهُ حَرَجَ بِأَنْفِ عَيْتِهِ
سُكْرًا بِسُورَةٍ مِنْ سُوْرَةِ الْقَالِ وَيُؤَلِّمُكَ بِسُورَةٍ مِنْ سُوْرَةِ الْقَالِ وَيُؤَلِّمُكَ بِسُورَةٍ مِنْ سُوْرَةِ الْقَالِ
الَّذِينَ يَحْكُمُونَ أَسِيرٌ بِخِشْيَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ فَخَرَّعَهُمْ لِمَا يَشَاءُ فِي الْحَرْبِ وَاللَّيْلِ فِي الْمَغَارِ وَنُجُومِ الْوَسْطِيِّ
وَالَّذِينَ يَحْكُمُونَ أَسِيرٌ بِخِشْيَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ فَخَرَّعَهُمْ لِمَا يَشَاءُ فِي الْحَرْبِ وَاللَّيْلِ فِي الْمَغَارِ وَنُجُومِ الْوَسْطِيِّ
فَعَلَهُ تَأْيِيدُهُ عَلَيْهِ مَشْفَعَةٌ وَقَدْ يَفْخَرُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَسْمَاءِ هَذِهِ الْمَشْفَعَاتِ بِمَا كُنَّا لِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْسُورِ عَلَيْهِ

فَكُنَّا نَسْتَعِينُ إِلَّا مَا اللَّهُ الْبَاقِلُ أَنْعَمَ

اخْتَدَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ
وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ
وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ
وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ
وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ وَعَلَّمَهُ الْوَسْطِيِّ وَالْحَرَجَ قَامَسَ

صورة لأول رسالة من ملك المغرب إلى ملك اسبانيا بتاريخ 22 شوال 1178 = 14 أبريل 1765 - عن مجلة القنطرة II.

ولقد وقع نبأ اعتزام السلطان على إرسال السفارة المغربية موقعاً عظيماً لدى كارلوس الذي كان يصيخ بأسماعه لتحركات العاهل الذي رشح بالفعل الكاتب أحمد بن المهدي الغزال ليقوم بدون الوسيط...⁽³⁰⁾

وبعد هذا ينتقل الغزال عبر اسبانيا⁽³¹⁾ إلى أن يترك مدريد في 10 ربيع الأول 1180 = 16 غشت 1766 ليتوجه إلى لاگرانجا (La Granja) شمال العاصمة حيث قابل الملك هناك في مصيفه واتفق معه على أهم بنود المعاهدة قبل أن يعود إلى الوطن في 28 جمادى الأولى 1180 هـ مصحوباً بالسفير الإسباني الدبلوماسي المحنك جورج خوان (J. Juan) حيث ثمت مقابلة العاهل المغربي في اليوم الثاني من الوصول، وألقى خوان خطاباً أجاب العاهل عنه بالترحيب والشكر على تحرير الأسرى وإرجاع بعض المخطوطات الإسلامية مذكراً بأن هذه المبادرة فيها كفاية عن كل الهدايا مختتما حديثه بهذه الكلمة الدالة : «وإن كان لعظيمكم غرض في شيء وهو جائز في ديننا فإننا نقضيه». وأخذ جوان في المحادثات مع السفير الغزال فكانت الاتفاقية وكانت رسالة السلطان محمد الثالث إلى كارلوس بتاريخ أول محرم 1181 = 28 مايه 1767 على ما نتناوله في «ملاحق» الكتاب...

فهل نسي العاهل المغربي ملف الثغور المحتلة ؟

إننا نجد الجواب الواضح في القرار الذي اتخذه ملك المغرب بمحاصرة مدينة مليبية والمواقع المجاورة...

لقد ذكر المؤرخ الفرنسي (كايي) أن العاهل المغربي - وقد أعجزه حصار تلك المعاقل عمد إلى إخفاء فشله فيما ادعاه من أنه لم يكن على علم مما كان

(30) يوجد قبر أحمد الغزال (ت 1191) في ليكسوس (العرائش) انظر كتاب : مدينة ليكسوس الأثرية، لأحمد المكناسي، تطوان 1961، وتذكر مخطوطة الروضة السليمانية للزياني وكتاب الاستقصا كذلك (8، 23 - 24) أن الغزال إنما كان ملحقاً في البداية بالبعثة وأنه لم يلبث أن سمى على رأسها...

(31) سجل الغزال رحلته هذه في كتاب (نتيجة الاجتهاد) وذلك امتثالاً لأمر العاهل له بتقييد ما يلقاه في رحلته... الإتحاف 3، 309.

حرره كاتبه الغزال من أن الهدنة تشمل البحر والبرّ على ما تقوله المصادر المغربية...

والحقيقة أن الأمر يتجاوز هذا وذاك... ويدل على ذلك أن السلطان سيدي محمد قرر الكتابة رسمياً إلى ملك اسبانيا وكأنه يفسخ ما كان أبرمه سفيره مع خوان...!!

لقد ورد في كتاب هوست الدانماركي حول تاريخ الأمبراطور محمد بن عبد الله نص الرسالة التي بعث بها ملك المغرب إلى ملك اسبانيا بتاريخ 15 رجب 1188 = 19 شتنبر 1774 والتي ورد فيها على الخصوص ما يلي :

«إن رعايانا، وباتفاق مع أترك الجزائر، لا يقبلون بوجه ولا حال أن يروا الإسبان على السواحل المغربية من سبتة إلى وهران... وهم يريدون استرجاع أراضيهم، ومن الصعب علينا أن نقف ضد رغبات رعايانا، ولهذا فقد أخذنا بعين الاعتبار رجاءهم وسنقاتل ضد المعسكرات الإسبانية حتى يحكم الله بيننا...»⁽³²⁾

وقد بعث العاهل المغربي علاوة على هذا برسالة إلى كارلوس الثالث بتاريخ 17 رمضان 1188 = 21 نونبر 774 = يعلن فيها أنه قرر الالتجاء إلى السلاح للدفاع عن البلاد وأنه سيقوم بالجهاد ليس من أجل الحصول على مكاسب دنيوية ولكن أداء لما يفرضه الواجب !

وفي أعقاب هذا النداء أعد العاهل جيشاً جديداً من المتطوعة بقصد محاصرة مليلية، وفي هذه المرة حضر معه الأميران : مولاي علي ومولاي المأمون إضافة إلى الأمير العالم مولاي عبد السلام وقد عهد إلى ابنيه الأميرين المذكورين بحصار جزر نكور (المزمة) وجزيرتي بادس...

وقد بدأت الأعمال الحربية يوم 5 شوال 1188 = 9 دجنبر 1774 واستمرت ثلاثة أشهر على ما يذكره المؤرخ الرباطي الضعيف وتؤيده كتب الفتاوي

G. Host : L'Histoire de L'empereur du Maroc.

(32)

Mohamed ben Abdellah, 791 traduc, Par U. K. Dambaard et J.J. Guignard p. 72-74 1986.

والنوازل حيث «ضايق حاميتها وهدم دورها» على حدّ تعبير مولاي عبد السلام...

لكن العاهل أصدر أمره يوم 16 محرم 1189 = 19 مارس 1775 بالإقلاع عن تطويق المدن الثلاث المذكورة مليلية - النكور - بادس ولحق به ولداه تاركين بدورهما نكور وبادس...

فكيف حصل فكّ الحصار بغتة ؟

إن هناك ظروفاً أخرى جدّ خطيرة كانت وراء اقتناع السلطان سيدي محمد ابن عبد الله بقبول فكّ الحصار المضروب على الثغور الشمالية وبخاصة مليلية، تلك أنه علاوة على نجاح إسبانيا في منع وصول المواد الحربية التي كان المغرب اقتناها من إنجلترا، نجد داي الجزائر محمد عصان باشا ومعه أترك الجزائر يخذلون السلطان محمد بن عبد الله بعد أن كانوا اتفقوا معه بالأمس على مساندته في تصفية الإحتلال الإسباني من سبتة إلى وهران !

وهكذا سلطوا نقيمتهم على المسلمين الذين حضروا مع السلطان سيدي محمد في هذا الحصار. «لقد أباحوا دماءهم وروعوا أولياءهم وطوفوهم..» على حدّ تعبير نص الإستفتاء السلطاني للشيخ التاودي ابن سودة والشيخ بنّاني والحافظ العراقي...⁽³³⁾

ومن المفيد أن أذكر هنا أن الدبلوماسي الدانماركي هوست أشار في كتابه عن الملك محمد بن عبد الله إلى استفتاء العلماء حول هذه الفضيحة في الرسالة التي تحمل تاريخ خامس محرم 1189 = 8-3-1775⁽³⁴⁾.

لقد عرفت العلاقات، بعد التشنجات الماضية - ظروفاً أقرب إلى التفاهم والتغاضي منها إلى المتابعة والتعقب، وهكذا نتوفر على عدد من الوثائق والمراسلات تعكس جوّ التفاهم الذي أخذ يسود الصلات بين البلدين...

(33) مجلة البحث العلمي العدد 25، يناير - يونيو 1976.

التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 137 - 139.

(34) Mariano Arribas Palau : Cartas Arabes de Mawlay Muhammad B. Abdallah Hesp 1961 p 327

فنحن أمام رسالة عقد فريد من نوعه أبرم بين المغرب واسبانيا بتاريخ 7 شعبان 1191 = 10 شتنبر 1777 وهو يحتوي على خمسة فصول، نص الفصل الرابع فيها على تحريم الأسر بالنسبة للشيخ الذي تجاوز سبعين سنة والمرأة مطلقا كيفما كانت كبيرة وصغيرة... كما نص الفصل الخامس على أن المراكب التي تحمل القوت إلى قوم جائعين لا يتعرض لها أحد من المسلمين ولا من النصرارى لأن ذلك يهدد حياة طائفة من المخلوقات والنبى ﷺ يقول : في كل ذي كبد حراء أجر...

وبعد هذا تأتي السفارة الهامة التي بعث بها سيدي محمد بن عبد الله إلى ملك اسبانيا كارلوس والتي كان على رأسها الكاتب السيد محمد بن عثمان وقد ابتدأت من شوال 1193 = اكتوبر 1779 وانتهت في شهر المحرم 1194 = يناير 1780.

لقد كتب السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 20 شوال 1193 = 31 اكتوبر 1779 إلى كارلوس حول أن توجيه هذا السفير كان لغرض تفقد أحوال الأسرى المسلمين «وإن لم يكونوا من إيالتنا لأن كلمة الإسلام تجمعنا» على حد قول الرسالة التي تُضيف : «وقد وجهنا لك معه عشرة آلاف مثقال صدقة عليهم سواء كانوا في إيالتك أو في غيرها مثل رومة وجنوة وليفورنه ومرسيليه، وبعثنا لك بستة من النصرارى المالطيين تذكرة ومحبة...

وقد طلب العاهل إلى محمد بن عثمان أن يقوم بتقييد أيامه في اسبانيا، فكان كتابه الجميل القيم «الأكسير في فكاك الأسير» الذي قدم فيه معلومات ضافية عن مشاهداته في اسبانيا...⁽³⁵⁾

وقد أسفرت المفاوضات عن عقد الاتفاقية المغربية الإسبانية بتاريخ 26 جمادى الأولى 1194 = 30 مايه 1780.

وفي إطار تحسين العلاقات المغربية الإسبانية نجد العاهل المغربي يساند سياسة الباب العالي الذي عقد الصلح مع اسبانيا وطلب إلى داي الجزائر محمد

(35) نشرت رحلة ابن عثمان بتحقيق وتعليق الأستاذ محمد الفاسي ضمن منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي عام 1965، p 233، Caille, Accords...

عصمان أن يسالم اسبانيا، حيث وجدنا أن المغرب يقوم بمساعيه الحميدة ثم وجدناه يقوم بضغطة على أتراك الجزائر حتى يطيعوا رؤساءهم... وكان هذا بتاريخ 4 ذي القعدة 1199 = 8 شتنبر 1785⁽³⁶⁾ على ما أسلفناه في العلاقات المغربية العثمانية...

وقد راحت بعثة إلى مدريد في عام 1201 = 1787 بهدف ضرب نماذج للعملة المغربية حيث نجد ملك المغرب يطلب منها ضرب السكة بمديره مقترحاً أن يرسموا له طوابع أربعة أشكال من السكة...⁽³⁷⁾

ومن الطريف أن نقف على رسالة تحمل تاريخ 5 صفر 1202 = 16 نونبر 1787 من السلطان سيدي محمد بن عبد الله ينصح إلى كارلوس أن يلزم الحياد في الحرب التي تدور رحاها بين أنجلترا وفرنسا! «لقد طرق سمعنا أن الإنجليز والافرانصيص جعلوا الكرة بينهما⁽³⁸⁾ وأنت نريدك أن لاتدخل معهم في تلك الكرة ولا تتكلم معهم في شأنها (الكيرة) لأنك لا مصلحة لك في الدخول معهم فيها ولا الكلام في شأنها!!».

☆☆☆

وبمجرد وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 24 رجب 1204 = 9 أبريل 1790 بويح ابنه المولى اليزيد ولما وصل المولى اليزيد إلى طنجة يوم 25 أبريل اقتبل في اليوم الموالي المندوبين الأروبيين فعبّر لهم عن رغبته في متابعة سياسة والده إزاء الدول، وفي اليوم 28 أبريل قابل السلطان أنطونيو كوثاليت سالمون (A.C. Salmón) مقابلة أخرى عبّر فيها مولاي اليزيد عن نيته في

(36) د. التازي : فكرة المغرب العربي من خلال الوثائق الدبلوماسية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد 301 - 14 تشرين الأول 1983 د. يحيى بوعزيز (جامعة وهران) مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا مجلة (الثقافة) الجزائرية، العدد 89 محرم 1406 = أكتوبر 1985.

(37) عبد الهادي التازي : دور السكة بالمغرب، مجلة أكاديمية المملكة المغربية 1987 ابن زيدان : الإتحاف 3، 1031، ص 336/335/334.

مجلة المغرب الجديد، تطوان عدد 14 ربيع الثاني 15 جمادى الأولى 1355.

(38) هذا مما يدخل في إطار قيام المغرب بالمساعي الحميدة بين الدول وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في المجلد الأول ص 163.

الاحتفاظ بالعلاقات الطيبة مع إسبانيا، وأبلغه أنه سيقوم بكتابة خطاب إلى كارلوس الرابع يخبره فيها بوفاة والده واعتلائه عرش المغرب ويطلب منه إيفاء سفير للتصديق على الأوفاق المتفق في شأنها مع والده...

وقد حدث هذه الأيام أن تجدد الصدام بين المغاربة المجاورين لمليبية وبين الإسبان الأمر الذي حمل أنطونيو كونشاليث سالمون نائب القنصل على التشكي للعاهل غير أنه لم يمر زمن قليل حتى علم في طنجة أن مولاي اليزيد قد شرع في جمع الأعتدة الحربية في تطوان لمداهمة سبتة !

وقد ازدادت العلاقات توتراً منذ هذا الوقت حيث نجد اليزيد يمضي في جمع العتاد الحربي في تطوان تمهيداً للغارة على سبتة.

وفي نفس الوقت قامت بارجة من الأسطول الإسباني ظملاً وعدواناً، بقرصلة مركبين مغربيين من القوارب الشراعية ذات المجاذيف وساقتهما إلى إسبانيا ! وكان المركبان في طريقهما إلى ناحية الجزائر وتونس لقضاء بعض الأغراض بعد أن أُخبرت القنصلية الإسبانية بطنجة كما هي العادة....

ولعل من المهم أن نعرف أن السلطان المولى يزيد - وهو يعرف عن تحصينات سبتة التي أمست برمتها قلعة عسكرية - عمد إلى محاولة حلف مع بريطانيا فأرسل سفيراً من قبله ذا رتبة عسكرية عالية إلى جبل طارق للحصول على شراء بعض الأسلحة...

وقد ورد مبعوث بريطانيا فعلاً على السلطان المولى اليزيد ذات يوم من أيام ربيع الأول 1905 نونبر عام 1790، كان ذلك المبعوث هو القنصل (ماترا مانزا) (Matra Manza) الذي أنهى إلى علم اليزيد أن بريطانيا تأسف إذ تُخبره بأنه ليس في استطاعتها أن تستمر في تقديم العون المطلوب نظراً لتحسن علاقاتها بجارتها...!!

وهنا عزم المولى يزيد على قبول الاقتراح الذي عرضه عليه الملك كارلوس بإيفاء سفير إلى مدريد وعين لهذا المنصب السفير محمد بن عثمان وذلك حسب رسالة الاعتماد التي كانت تحمل تاريخ 4 ربيع الثاني 1205 = 11 دجنبر 1790 :

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

من عند الله تعلم المستعمل انه في جماعة مولانا الهيا من حيث نسيب الله محمد النور واليزيد الحفص امير قارطاجنا
وما جوفها من النور والبلدان وامير مراكن والرباط وكوار وما بين من النور والبلدان وامير قارطاجنا
وقام وقازي وغيرهم الله تعلم بحسن خلقه واقدمه يسوف يفقه هذه آيته وجعله من خواص اوليائه وعلمه



المرعي حيا نيك والهند الروكازوا الزابج الثلج علم من ارفع النور اما بغيبه باضلع
اننا كتبنا لما شد ونا الفيد محمد بر عتار يعفد معط الصلح والمهادنة وها كتبنا ما علم نكتنا
وبكنا بعد الشريه يصلح لباشر ونا الله في توجهه لنا نحيث ياتي في الامار هو وميريرت معسه
ويرجع لكم في الامار ولا يري منا الا الخيم بخول الله لاجل ما تحقق عندنا من محبتنا في ما بيننا كتبنا
كانت مع واليدنا زهد الله وقد تير لنا في قديب الفلك في الكرام قسيلا امور اكانت غريبة
علينا من جملة محبتنا بيننا هم الافامة الفتوحات لباشر لم توجهها لغير فلوا خيرنا ايضا
اننا كتبنا ولا تريد معنا الا الصلح والمهادنة وعندنا الكرام وعندنا الحرب عن امل نسيته ورحمتنا عنهما
وكتبنا لباشر ونا الفيد محمد بر عتار يحيي معكم الصلح والمهادنة والصلح بحسن مرجع الخيم

علم 1206

وقد توجه ابن عثمان بالفعل إلى مدريد حيث استقبل من لدن العاهل الإسباني يوم 27 يناير 1791 إلا أنه لم يتمكن طوال سبعة شهور من الوصول إلى نتيجة عملية فقد كان عليه أن يتقيد بالتعليمات الدقيقة التي زوده بها المولى يزيد والمتلخصة في استرجاع سبتة..!

وصدر الأمر من كارلوس الرابع بتاريخ 19 غشت⁽³⁹⁾ بإعلان الحرب على المولى اليزيد !!

وهكذا فعلى الساعة الثامنة والنصف ليلاً فتحت النار على القوات المغربية التي ظلت تحاصر المدينة بضراوة اضطرت معها القوات الإسبانية إلى التراجع عن مساحة شاسعة من الأراضي التي كانت تحتلها على ما نلاحظه في المراسلات الرسمية...

ولكن المولى اليزيد سرعان ما اضطر لالتحاق بمراكش بسبب تزايد معارضة الأمير مولاي هشام أخيه للأب وهكذا جمّد ملف سبتة بعض الوقت..!

لقد بايعت قبائل الرحامنة وعبدة والحوز الأمير مولاي هشام الذي كان معززاً بمساندة أخيه الأمير المولى عبد السلام المعروف بعلمه وسمعته، وكان أيضاً معتمداً على شخصية بارزة، تلك شخصية القائد ادريس باشا سلا الذي استطاع أن يسقط أسفي في يد أنصار المولى هشام... وقد أتاحت فرصة حصول أنصار هشام على ميناء أسفي، للملك كارلوس الرابع أن يلبي في أوائل دجنبر 1791 = أوائل ربيع الثاني 1206 طلب القائد ادريس بإرسال المساعدة منذ بعض الوقت...⁽⁴⁰⁾

وقد بعث العاهل المولى هشام أيضاً في نفس التاريخ برسالة إلى كارلوس يطلب قرضاً من إسبانيا...

(39) علم ابن عثمان وهو في طريق عودته بحالة الحرب فعاد إلى مدريد بصفة شخصية ومع ذلك ظل يحاول رتق الرقع إلى أن بلغته الأخبار ب وفاة اليزيد حيث نجده يبعث لإسبانيا بعد وصول أخبار بيعة مولاي سلامة بأنه قد أصبح مجرداً من كل تمثيل رسمي بإسبانيا...

(40) ماريانو أريباس بالاو : رسائل عربية حول المغرب في عهد مولاي اليزيد مجلة تطوان 3، 4، ص 141، 1958، طوماس غرسيا فيغيراس، (تموما) 1953 ص 25، 46.

وبعد يومين من هذا الخطاب بعث السلطان المولى هشام برسالة ثانية تحمل تاريخ 29 جمادى الثانية 1206 = 23 يراير 1792 يطلب المولى هشام من كارلوس الرابع، بعد أن يشير إلى خطابه السابق يذكر علاقات الود التي كانت تربط كارلوس بوالده سيدي محمد بن عبد الله، وقد صدر الخطاب بهذه العبارة: من عبد ربه تعالى هشام بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل كان الله له وكيلاً ونصيراً ثم الخاتم الملكي.

الحمد لله وحده
 من عبد ربه تعالى هشام بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل كان الله له وكيلاً ونصيراً ثم الخاتم الملكي

الرئيس المظفر الصمصوم الملقب بالملك المظفر الرابع المصلح علمير الرابع
 الهنري امير الجزائر اعلم اني قد فتيت لك بكتابي الذي سمعته
 وعينه من جده الفقيه سنة ستين ومائتين والالف وعاشية
 في تجميع الاخبار الواردة عننا بالظفر وملازمة وملازمة ولان
 في هذا الكتاب اربعة توجيهاً فينا العقلية بل ان شق
 في ذلك الحرف من اربع والباروه والسفر والتمسك كروية من
 لتبني الجديرة على يد هذا المذاهب من الخلق والهاشي من احوالها
 لانه كل ابره من متنها سهلة وطبيسة وحيث تحللتها كثر
 من غيرها والسبب من ذلك وجهه لتفني السبب وعل هذا فيكون
 ان جعل اربعة الف سنة والتمسك ووجه التامع والتمني من جملة التامع
 علم 206

رسالة السلطان مولاي هشام إلى كارلوس الرابع

وقبل أن يبعث السلطان المولى هشام إلى اسبانيا بسفيره الحاج محمد الدليمي في 10 شوال = 1 يونيوه 1206 = 1792 للتفاوض حول أسس التعاون الاقتصادي بين البلدين نجد الأمير سلامة شقيق السلطان الراحل اليزيد يدعو لنفسه في منطقة الشمال التي كان ينوب فيها عن أخيه اليزيد ويعمل في الوقت ذاته على الاعتراف به من طرف الدول الأوروبية !

وحتى يتمكن من نيل ما طمح إليه أحدث تغييراً في السياسة الخارجية التي كان يנהجها اليزيد حيث نجده يصلح اسبانيا ويقوم بكتابة رسالة للوالي العسكري لمدينة سبتة حملها القائد العباس : «وقد أنعمنا عليكم بالفريشاك توسقونه من غير صاكة تلزمكم عليه من يوم كتابنا هذا إلى أن يرد الجواب من عند الري كارلوص... وكانت الرسالة تحمل تاريخ 17 رجب 1206 = 11 مارس 1792.

وفي نفس التاريخ كتب القائد الطاهر فنيش عامل طنجة إلى نفس الوالي يقول : إن الأمير المولى سلامة عهد إليه بأن يكون واسطةً بينه وبين اسبانيا، وأن سيدنا معهم على الصلح والمهادنة على ما كنتم عليه مع أبيه قدس الله روحه، وإذا أردتم أن تبعثوا مراكبكم للسوق لأي مرسنة من مراسي سيدنا الثلاث : تطوان وطنجة والعرائش... وإن كان لكم كلام على البر إعملوا غلام الإمارة يأتي إليكم المسلمون أهل العسة وادفعوا لهم ما يكون عندكم من البراوات... كذلك إن أتاكم كتاب من عندنا وعملنا الإمارة... وإن أردتم أن تكون عند الحد الذي كنتم⁽⁴¹⁾ عليه مع أبيه في قرب المدينة أعلمونا نوجه لكم من أصحابنا من يقف مع الشيخ محمد قنجاج...

وإذا ما عرفنا أن أهل مدينة فاس تمسكوا ببيعة أمير ثالث : المولى سليمان عرفنا إذاً السر في الموقف الذي اتخذته اسبانيا إزاء سفراء الأمراء المتنافسين...

(41) يظهر من هذا أن معارك اليزيد أرغمت القوات الإسبانية على التراجع إلى خطوط لم تكن عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، هذا ومعنى «الإمارة» هنا العلامة والإشارة وكلمة السر...

وقد انسحب المولى سلامة فعلاً من الميدان منذ الأيام الأولى حيث ساعده أخوه المولى سليمان على التوجه إلى الشرق على ما أسلفنا...

ولم يلبث السلطان المولى هشام أن ألهمه الله إلى التنازل لأخيه السلطان المولى سليمان الذي أكبر في أخيه هذا الشعور الوطني وأمسى من خالصائه ومستشاريه...

ومن المعروف أن السلطان المولى سليمان دشن سياسته الخارجية بتعيين الدبلوماسي المعروف محمد ابن عثمان وزيراً مكلفاً بالاتصال بالسفراء الأجانب الذين كانوا يقيمون بطنجة كما يتضح ذلك من رسالة للسلطان المولى سليمان موجهة لسفراء الدول بطنجة بتاريخ 16 ربيع الأول 1207 = 22 أكتوبر 1792، يعلمهم فيها بتعيينه في المنصب المذكور إلى جانب ولايته على تطوان، مقدماً فيها ابن عثمان أحسن تقديم عرفته رسائل الاعتماد.

وقد سارع ابن عثمان بعد حلوله بتطوان واضطلاعه بمهام وزارة الشؤون الخارجية بالكتابة إلى صديقه الكوند أراندة (El Conde de Aranda) وزير ملك اسبانيا كارلوس الرابع لإخباره بالوظيفة الجديدة ولاستئناف المحادثات معه حول المصالح المشتركة بين الدولتين... (42)

وقد كان تعيين ابن عثمان فرصةً لطرح قضية العلاقات المغربية الإسبانية وبخاصة مسألة الحدود، وكما حصل أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله فقد تقدم كارلوس الرابع ملك اسبانيا والهند بمشروع اتفاقية إسبانية مغربية، وقد انتهت المفاوضات إلى اتفاقية مكناسة الزيتون الموقعة يوم 22 رمضان 1213 = 1 مارس 1799 من طرف الكاتب محمد بن عثمان عن الجانب المغربي وخوان سلمون عن الجانب الإسباني.

وقد احتوت على ثمانية وثلاثين فصلاً على ما نجده في مختلف المصادر.

Mariano Arribas Palau : Muhammad Ibn Utmân Hesp Tamouda 1961 p 133-127 (42)

لقد سار السلطان المولى سليمان على نهج والده في مصانعة اسبانيا ومجاملتها وهكذا نجده بعد وفاة وزيره في الخارجية السيد محمد بن عثمان (محرم 1214 = يولييه 1799) بالوباء، يأمر الوزير الجديد المكلف بأمور الأجناس السيد محمد بن عبد السلام بن علي السلاوي بالسير في نفس الخطة وهي الحقيقة التي تعبر عنها رسائل السلاوي إلى الوزير الإسباني دون بدر كيلوس، كان منها ما أُرُخ يوم 28 ربيع الثاني 1216 = 7 شتنبر 1801...

ولقد صادفت أيام المولى سليمان اكتساح نابليون لطائفية من الأراضي الاسبانية وإرسال البعثات السياسية من طرف نابليون لطلب مساعدة العاهل المغربي...



علي باي العباسي

وذكر المؤرخ البريطاني نيفيل باربر أن جوزيف بونابارت عرض على المولى سليمان إرجاع سبتة ومليلية للمغرب إذا ما اعترف السلطان به ملكاً على إسبانيا وقطع مساعدته لبريطانيا في جبل طارق... ولكن العاهل الذي كان يقدر الموقف تقديراً صحيحاً ودقيقاً سيما وقد توصل من استانبول برسالة عن وضع مصر بعد دخول نابليون إليها رفض أن يسير في ركب نابليون !

وخلال الحرب الإسبانية الفرنسية مكنت إسبانيا بريطانيا من سبتة عام 1225 = 1810 لكي تضمن الدفاع عنها، وقد رأت الحكومة المغربية أن الفرصة حانت أكثر من أي وقت مضى لاسترجاع المدينة، وهكذا ضاعفت من مساعدتها للحامية البريطانية وللأسطول البريطاني في عرض البحر كما أنها زودت الجيش البريطاني المقيم في إسبانيا بما يحتاج إليه مجددة طلبها باستعادة المغرب لمدينة سبتة على ما نقرأه في الرسالة الصارخة التي بعث بها الوزير السلاوي في منتصف ربيع الثاني 1225 = 20 مايه 1810 للقنصل البريطاني...

بيد أن نداءنا لم يلق جواباً الأمر الذي أقلق السلطان المولى سليمان فعبر بكلمته التي تعيد إلى الذاكرة قوله الشاعر الهولاندي : «لا ثقة في أعدائنا ولا راحة في أصدقائنا!»

وقد حدث هذه الأثناء أن استولت بعض السفن الإسبانية على مركب يحمل راية المغرب وكان يركبه بعض الرعايا الفرنسيين، ولما كان هذا عملاً يتنافى مع الاتفاقيات الدولية الجاري بها العمل، فقد كتب وزير الخارجية المغربية محمد بن عبد السلام السلاوي بتاريخ 18 ربيع الثاني 1225 = 23 مايه 1810 يطالب برد المختطفين وأمتعتهم. أليس أن الراية تحمي البضاعة والإنسان..؟! (43)

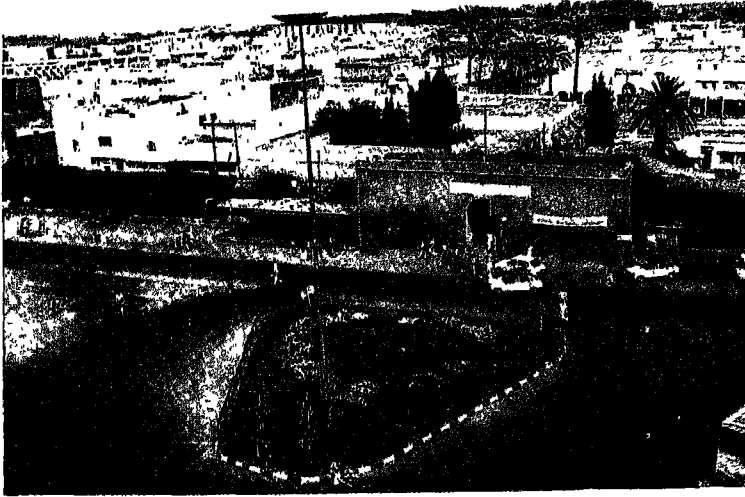
ولعله من قبيل التأكيد للفكرة القائلة : إن السلطان المولى سليمان رفض وعد نابليون بإعادة سبتة ومليلية - أن نذكر هنا الرسالة الرقيقة التي وجهها السلطان المولى سليمان «سلطان فاس ومراكش ومكناس وسوس وتافاللت ودرعة وتوات وباقي الأقاليم المغربية» إلى فيرناندو السابع أفخم سلاطين الروم وأعظم

(43) الاستقصا 4 ر 116 - 117، Pierre Grillon : Louis Chénier : 1970 T. 1 P. 222

ملوك اسبانيا والهند وجزرها ويهنئه في الرسالة باسترجاع العرش ويقول على الخصوص :

أما بعد فقد بلغنا أن الله تعالى ردّ عليكم مملكتكم وأهلك عدوكم وقواكم عليهم... بعد أن كنتم في وثاقهم وأسرههم وأراحكم من تعب ذلك الغدار... «وهكذا - يقول مولاي سليمان - جرت عادة الله في المعجب بنفسه المتهاون بغيره... فهنيئاً لكم بالرجوع لأوطانكم والعود لكرسي مملكتكم وسلطانكم... أبقاكم الله في رعيّتكم آمنين وقطع دابر الذين ظلموا...

حررت هذه من مراكش في 11 من ربيع الثاني 1229 = 10 أبريل 1814 وما يزال يحتفظ بصورتها الأصلية قسم الوثائق التاريخية الوطنية بمديرية... وقبل أن نودع أيام المولى سليمان نشير إلى ماردده صاحب الاستقصا في شأن اتفاقِ أذن العاهل بمقتضاه لإسبانيا بإنشاء شركة أخرى بفضالة (المحمدية حالياً) موجوداً في عهد الناصري⁽⁴⁴⁾ وهكذا تضاف هذه الشركة لنظيرتها في البيضاء وقد سلف ذكرها...



نصبة فضالة (المحمدية)

(44) وفي أعقاب تنصيب السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام استجاب العاهل الجديد لمطلب اسباني بإقرار الاتفاقية التي أقرها عمه السلطان المولى سليمان عام 1213 = 1799 موافقاً في الوقت نفسه على اعتماد نائب اسبانيا الجديد في الظهير الذي أرخ يوم 26 جمادى الثانية 1240 = 15 يبرابر.

العلاقات المغربية البرتغالية في صدر الدولة العلوية

- استقبال السفارة البرتغالية في مراكش.
- قصر البديع من خلال تقرير السفير البرتغالي.
- السلطان مولاي عبد الله يواصل العمل لتحرير الشغور.
- الملك محمد الثالث بطل تحرير مدينة الجديدة...
- تدشين عهد جديد مع مملكة البرتغال.
- الاتفاقية المغربية البرتغالية والسفارات المتبادلة.
- بعثة برتغالية بالمغرب لسك النقود.
- المغرب يقوم بمساعيه الحميدة بين البرتغال والجزائر.
- السلطان مولاي سليمان يربط صلته بالسلطانة مارية ملكة البرتغال .
- السلطان مولاي عبد الرحمن يواصل العلاقات مع البرتغال.

العلاقات المغربية البرتغالية على عهد الدولة العلوية القسم الأول

لقد تحدّثت المصادر التاريخية⁽¹⁾ عن سفارة برتغالية بالبلاط المغربي وبالذات في (قصر البديع) بمدينة مراكش وذلك أواخر جمادى الثانية 1088 = 1677.⁽²⁾

فلقد أبلغ السلطان المولى اسماعيل حاكم الجديدة على ذلك العهد كريستوف دي ألماضا (Ch. Almada) أنه يرغب في محادثة حول أمور تتعلق بمدينة الجديدة وبخاصة مرساها مؤكداً أنه سيستقبل بكلّ ترحاب المبعوث الذي ترسله البرتغال إلى بلاطه، وبما أن الدعوة أصبحت ملحة فإن كريستوف - وقد خاف أن يكون وراء الدعوة شيء يبيته العاهل للبرتغال بادر إلى الاستجابة...

وهكذا وضع قائد أزمور يوم 20 غشت 1677 تحت تصرف حاكم الجديدة سائر التسهيلات التي أمر بها العاهل المغربي، وكان السفير المعتمد لدى قصر البديع هو أنطونيو دوسيلفا (Antonio de Silva) مصحوباً بحاكم المدينة ألماضا (Almada) وبعدي من الموظفين والمساعدين.

ولقد ترك لنا حكاية لسفره إلى مراكش في رسالة طويلة بعث بها إلى فيرنانديز (Fernandez). وقد جاء في هذه الوثيقة وصفاً للقاء «الحار» الذي تم على الحدود من طرف قائد أزمور الذي كان هو المكلف بالقافلة...

(1) ورد في مخطوطة «المنزح اللطيف...» للمؤرخ النقيب ابن زيدان المحفوظة بالخزانة العامة «قم المخطوطات» ورد في صفحة 209 - 210 نقلاً عن مذكرات الأسير الفرنسي جيرمان مويث أن دولة البرتغال أرسلت سفيراً لتهنئة مولاي اسماعيل ومعه هدية فيها فرس عليه مرسج مزركش بالذهب... وقد لقي العاهل المغربي السفير البرتغالي وكان من مطالبه تلمين وصول البريد إلى الجديدة وأزمور... وقد أهداه السلطان صغار الأسود حسب طلب السفير لأنها لا توجد في بلادهم.

(2) مجلة (فرانس ماروك) (France-Maroc). التازي: قصر البديع مجلة البحث العلمي عدد 28 رجب 1398 يولييه 1978.

وقد كان مما لاحظته السفير البرتغالي مما له دلالة عميقة أنه رأى الخيمة الخضراء الملكية التي تخص العاهل المغربي والتي ذكر له أنها هي نفس الخيمة التي كان يقيم بها سلطان البرتغال (دون سباستيان) قبل أن يلقي مصرعه في المغرب ! وأنها صارت بعد السعديين إلى السلطان المولى اسماعيل الذي اتخذ منها تذكراً يعيد إليه معارك البطولة.

وقد كان اليوم الموالي موعداً لاستقبال السفير من طرف العاهل حيث وردت - كما هي التقاليد المغربية - كوكبة من الجند والخيالة على رأسهم طائفة من القواد ليصبحوا موكب السفير إلى القسبة...

ولم يفت صاحب الرسالة أن يلاحظ والوقت في عز الصيف - أن عشرات من حاملي قراب الماء على ظهورهم... يقومون برش الأرض التي يمر بها موكب السفير تلطيفا للجو... (3)



حاملو قراب الماء

(3) المصدر السابق.

«...وقد فتحت مصاريع الباب المؤدية إلى المجلس الملكي فدخلتها مصحوباً بترجمان ووجدت نفسي في هذا المجلس داخل ردهة كبرى تحيط بها حديقة جميلة رائعة، وقد طرزت القاعة بالزليج الدقيق الصنع المختلف الألوان وفرشت جنباتها بفاخر أنواع الزرابي والمخدات...

هنا وجدت الأمبراطور واقفاً فاستقبلني بدون تكلف وظللنا واقفين حيث رحب بي سفيراً لبلادي وتحدثنا عما يتعلق بمدينة الجديدة ؟ كما أثار معي موضوع الأمير الذي أقصاه المولى اسماعيل عن القصر... (4)

وقد التقى السفير بالعاهل مرةً أخيرة حيث ورد عليه من أجل توديعه وصحبه الجيش إلى المصارة (5) التي هي عبارة عن رياضٍ للقصر يمتد نحو الميل ونصف... (6)

ويلتفت السلطان المولى اسماعيل إلى مصير الجديدة، فماذا عن مخططه. وماذا عن موقف البرتغال ؟ كثيراً من المؤرخين المغاربة يعتقدون أن مشكلة الجديدة لم توضع إلا أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل لكن الواقع الذي تسنده الوثائق التاريخية أن المولى اسماعيل، بالرغم مما كان يديه في البداية من تغاض مقصود... كان ينظر بعين المقت للوجود المتبقى للبرتغال بهذا الثغر، وهكذا نجد السلطان مولاي اسماعيل حسب رسالة مرفوعة من القنصل الفرنسي بيريليبي (Périllié) إلى وزيره سينيلاي (Seignelay) كانت مؤرخة بسلا في سادس نونبر 1689 - يرفض أن يستقبل سفارة برتغالية في مكناس وردت لاستخلاص الأسرى البرتغاليين..! فلقد طال مقامها بالعاصمة ولكن السفارة في الأخير أشعرت بأن أي شيء لن يكون... وأن على البعثة أن ترسل إلى ملك البرتغال لترفع إليه بأن ملك المغرب قرر أن يفرض ضريبة سنوية ثقيلة على البرتغال... (7)

(4) كان يقصد دون شك إلى ابن محرز الذي كان يموله الأتراك من الجزائر...
(5) كان السلطان عبد المومن هو الذي أنشأ المصارة أو المسرة التي توجد في أكدال وقد زرعها بالزيتون وأنواع البرتقال وغيرهما، دوكاستري ج 1 ص 113 تعليق 1 د. التازي : قصر البديع...

(6) راجع المصدر السابق.

(7) S.I.H.M. FRANCE S. 2 T. 3 P. 276

وهكذا فبعد رفضه استقبال السفارة البرتغالية على ما أسلفنا وبعد أن فرض إتاوة مرهقة على ملك البرتغال نراه يتعدى هذه الخطوة لمطالبة ملك البرتغال بالجلء التام عن المدينة في أواخر هذه السنة 1689 = 1101 هـ وذلك حسب ما كشفت عنه مذكرة جان بابتيست إستيل (J.B Estelle) التي كتبها من سلا بتاريخ 23 يبرابر 1691 = 24 جمادى الأولى 1102.

وقد بلغ التوتر بين البرتغال والمغرب أوجّه مطلع سنة 1691 = ربيع الثاني 1102 عندما وردت سفارة برتغالية برئاسة جوزيف ألفاراس على مكناس لتحاول مفاتحة المولى اسماعيل من جديد في شأن تحرير الأسرى البرتغاليين متجاهلةً مطالبه السابقة في شأن تحرير مدينة الجديدة أولاً !!

وهكذا نشهد اللقاء الساخن الذي تمّ بين العاهل المغربي والسفير البرتغالي حسبما تصفه مذكرات إيستيل السابق الذكر...

لقد أُخرج السفير عندما ذكّره العاهل في الأمر الذي يهّمه : تحرير الجديدة ! وأسمعه علاوةً على ذلك تأنيباً وتهديداً جعلاه يرتبك في الجواب...

«لقد كتبت منذ سنتين إلى ملكك... من أجل أن يعيد إليّ مدينتي الجديدة ولكن كتابي ظلّ بدون جواب».(8)

ولعل من المهم أن نستعرض هنا ملخصاً للرسائل التي كان يرفعها دوليسكول (De L'Escolle) القنصل الفرنسي في ليشبوننة إلى بلاده حول مدينة الجديدة ويعود تاريخها أي التقارير إلى ما بين 4 يبرابر 1690 إلى 27 ماي 1692، وهي تكشف عن الاهتمام الزائد الذي كانت البرتغال توليه لمصير مدينة الجديدة... (9)

وهنا نجد رسالةً من السلطان المولى اسماعيل إلى بيدرو الثاني (Pedro II) بتاريخ فاتح شتنبر 1696⁽¹⁰⁾ يذكره بأنه سيقبل مبدأً التفاوض من أجل افتداء

(8) S.I.H.M. FRANCE S. 2 T. 3 P. 349-357

(9) المصدر السابق.

(10) توجد ترجمة لرسالة المولى اسماعيل إلى ملك البرتغال باللغة الهولندية في أرشيف لاهاي (ريجكس أرشيف (Ryjsarchivi) رقم 7022، 1690 - 1687.



من أقدم الرسوم التي عثرنا عليها لضريح سيدي بلينوط



من أقدم الرسوم لمدينة ليشبونة

الأسرى شريطة أن يبعث له العاهل البرتغالي بمفاوض يكون عضواً في المجلس الملكي البرتغالي ولا يكفي أن يكون أسقفاً أو قساً...

وبالرغم من أن وفاة المولى اسماعيل كانت بالنسبة للمحتلين حدثاً مكنهم من العيش في بعض الهدوء النسبي فإن الدولة المغربية مع ذلك لم تنس مواقعها المحتلة...

وتعبيراً عن عدم الرضى على التوسع البرتغالي بالمغرب نرى أن السلطان المولى عبد الله يتجاهل تحرير الأسرى البرتغاليين الموجودين تحت قبضته، وهكذا نجده في جوابه لولي عهده الأمير سيدي محمد الذي كتب إليه في شأن الإفراج عن أولئك المحتجزين يقول له : «إن والده المولى اسماعيل لم يترك له وصية بهذا المعنى» !! وذلك حسب ما رواه أسير سويدي كان يعيش في بلاط السلطان المولى عبد الله...

ومن ثمت نجد الأمير سيدي محمد - وهو ما يزال ولي عهد لوالده مولاي عبد الله بن اسماعيل - يقدم على طرد البرتغال من (أنفا) الدار البيضاء حالياً...

لقد كانت أنفا احتلت من طرف البرتغال وأعطوها اسم (كازابرانكا) (بالراء) ولم يكن غير الأمير سيدي محمد ابن عبد الله مرغماً للبرتغاليين على الجلاء عام 1755 - بتفويض من والده السلطان المولى عبد الله - وفي أيام هذا الملك ازدهرت المدينة وهو الذي أعطها اسم الدار البيضاء (Dar el Beida) فنطق بها الإسبان (كازابلانكا) بالأم !!

تحرير مدينة الجديدة سنة 1182 = 1768

وما أن ترُبَّع سيدي محمد بن عبد الله كرسي الحكم بالمغرب حتى أخذ يخطط لتحرير مدينة (الجديدة) من البرتغال...

لقد كان في البداية اتجه إلى مقارعة الاحتلال الإسباني لسبتة ومليلية ولكنه لم يلبث أن شعر بالخطر الذي قد يطوقه وهو يغفل شأن (الجديدة)، وهكذا «هادن» البلاط الإسباني وأقبل على تصفية الوجود البرتغالي ببلاده...

ومن هنا أحكم الحصار على المدينة بنحو من خمسة وسبعين ألف رجل، ووصلوا لضواحي الثغر أواخر رجب 1182 = أول دجنبر 1768 وكان المغاربة مزودين بمدفعية هامة تمكنت خلال شهر وعشرة أيام من قذف أكثر من ألفي قنبلة مما جعل المحتلين البرتغاليين يغادرون المدينة يوم السبت ثالث ذي القعدة 1182 = 11 مارس 1769 بعد اشتباكات بالأسلحة الأبيض وبالمناجل كذلك !!

وبالرغم من هذا النصر المبين الذي حققه المغرب... فقد وجدنا من بين المؤرخين الأجانب ومن لف لفهم من يعزو سبب هذا النصر إلى أن سياسة البرتغال هي التي اقتضت إفراغ المدينة نظراً لوجودها متطرفة وإرهاقها للخزينة إلى آخر ما قالوا ! وكأن أيام الحصار الطويلة، وكأن جحيم القنابل، وكأن مقاتلة المجاهدين، كل ذلك لم يكن شيئاً!!⁽¹¹⁾

لقد بعث كبير البرتغال إلى ملك المغرب يطلب منه أن يكف عن القتال ثلاثة أيام ليدفع له البلد، فأجابه العاهل إلى ذلك، بل وقام بتحرير عدد من الأسرى الذين سلمهم لإيمانويل دي-بون.⁽¹²⁾

أخذوا في إحراق الأثاث والفراش ! بل إنهم عمدوا إلى بث عدد من المتفجرات في حارات المدينة.⁽¹³⁾

☆ ☆ ☆

(10) دوكاستري، فرنسا - المغرب س 2 ج 3 ص 488 .Staten Général 7022 Lias, Portugal .

(11) فرنسا - المغرب سلسلة 2، مجلد 4، ص 427 .S.I.H.M. S. 2 T. 4 P. 427 .

(12) تراجع مخطوطة (الحلل البهيجة في فتح البريجة) بالخزانة العامة تحت رقم د. 1328 ففيها بعض المعلومات الدقيقة عن نصوص الرسائل المتبادلة بين الملك محمد الثالث وبين حاكم المدينة وحديث عن الكور والبنب الوارد... كما يراجع البحث الجاد الذي كتبه رامون لوريديو Ramon Lourido : La Plaza portuguesa de Mazagan (Al-Yadida) Y Su Reconquista en 1769 (Cuadernos de la Biblioteca Espanola De Tetuan Juin - Diciembre 1978 Nums 17/18/ p : 99.

R ; Lourido-Diaz : Le Commerce entre le Portugal et le Maroc pendant la deuxième motre du 18 siècle revue d'histoire maghrebine janvier 1976 Tunis p. 27.

(13) هوست : تاريخ محمد بن عبد الله ص 39

وبعد الجلاء عن المدينة عمد البرتغال إلى تحسين علاقاته بالمغرب الذي رحب بالمبادرة.⁽¹⁴⁾

ولم تلبث هذه الخطوات أن أدت إلى مقدم سفارة برتغالية تحمل هدايا متنوعة فيها عدد من الساعات الجدارية،⁽¹⁵⁾ وقد تم إبرام اتفاقية بتاريخ 12 رمضان 1187 = 17 نونبر 1773 بعد مفاوضات كان يشرف عليها من الجانب المغربي الأمير مولاي عبد السلام.

وقد وقفتُ على صورة هذه الاتفاقية في الخزانة الحسنية بالرباط كما وجدت نظيراً لها في الأرشيف الوطني بلشبونة...

لقد كانت كل بنودها (وعدها إثنان وعشرون بنداً) تشهد بدرجة وبحجم الصلات التي أصبحت تربط المغرب بالبرتغال...

سنقرأ من خلال ثنايا الاتفاقية بل ومن سطورها ذاتها أن المغرب كان يوقر الحرية الدينية لسائر أعضاء الجالية البرتغالية بالمغرب...

أكثر من هذا فإن المغرب يناصر البرتغال ضد الذين ينالون من سيادته، في مقابلة مناصرة البرتغال للمغرب ضد الذين يهددون أراضيه.⁽¹⁶⁾

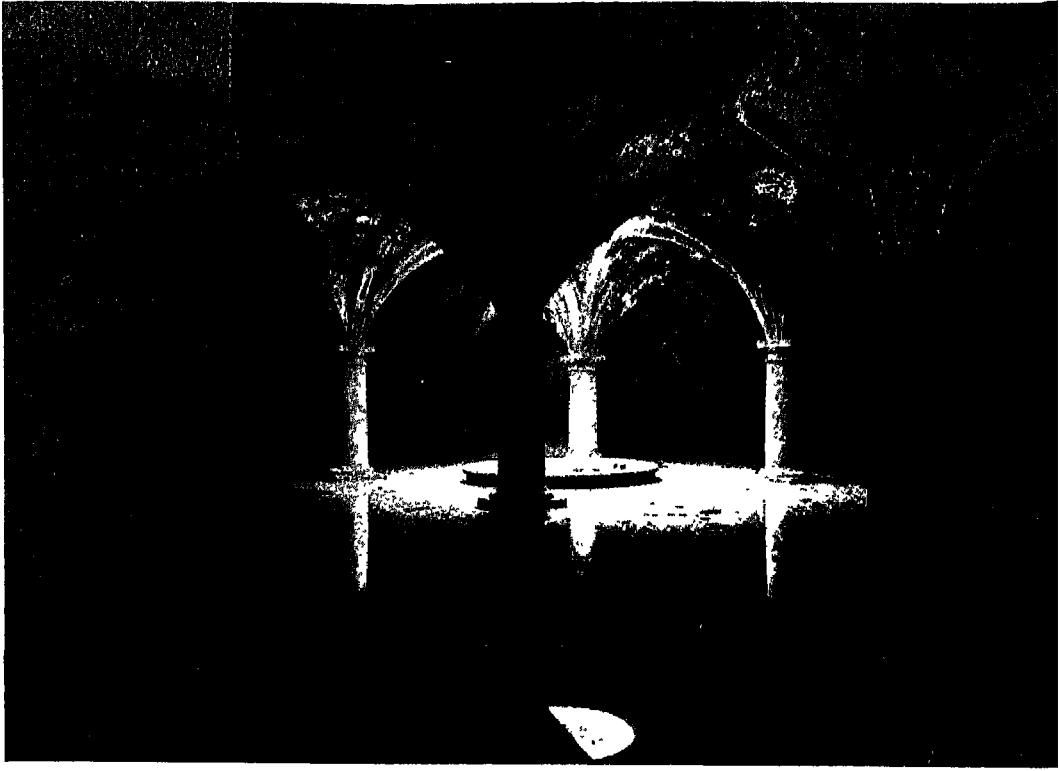
وبعد إبرام هذه الاتفاقية بين المغرب والبرتغال أضحت من المعهود إقامة القنصلية البرتغاليين بالمملكة المغربية.

ويتأكد أن العلاقات - وقد انتهت مظاهر الاحتلال - أخذت في تحسن مستمر الأمر الذي يدل عليه هذا النشاط التجاري الملحوظ بين البلدين...

(14) Ramon Lourido : la Plaza Portuqueda de Mazagan...

(15) ابن زيدان : الإتحاف 3، ص 290/168.

(16) هوست : تاريخ محمد بن عبد الله ص 67 - كايي : الأوفاق 58.



من آثار البرتغال في مدينة الجديدة



الشرط الثالث والعشرون

ح نفض لهذا الصلح من قبل سيدنا نصره الله او من قبل جنس
يز باسارى المسلمين الذين يكونون بيد البرتغيز من اباله سيدنا
به بعد انقضى المذخور لا يكونون في حتم الاسارى بل يضمنل عنهم
بسارى ولا يظلمون بعمل الى ان يسرحون وكذلك ما استاسره
انصره الله من جنس البرتغيز فانهم يعاملون بهذا الوضوء
إكالمسجونين ولا يكلفون بعمل الى ان يفتح تسريحهم من قبل
نا نصره الله تم تم تم

في الثاني عشر من رمضان

1187

والذي رددت أصداءه تقارير القنصل الفرنسي لوي شينيبي في رسالته من سلا بتاريخ 30 شتنبر 1772، عندما تحدث عن أسباب مشروع سيدي محمد بن عبد الله لإنشاء مرسى مدينة فضالة التي كانت بالدرجة الأولى تهتم بتصدير الكميات الكبيرة من القمح إلى البرتغال وإسبان.

هذا إلى ما يدل عليه تبادل الرسائل بين الطرفين على نحو ما نرى في الرسالة التي بعثها السلطان محمد بن عبد الله إلى ملك البرتغال دون جوزيف الأول يخبره فيها أنه يبعث له بسفيره القائد عمر بن الداودي الذي كانت ترافقه حاشية من تسعة وثلاثين شخصاً... وقد حمله الملك... (17) تفكيراً عبارة عن ستة من عتاق الخيل وكانت الرسالة بتاريخ 20 جمادى الأولى 1188 = آخر يولييه 1774، (18).

وقد تلت سفارة القائد عمر بن الداودي سفارة أخرى في نونبر 1777 = رمضان شوال 1190 كان على رأسها عبد المجيد الأزرق باشا إقليم تازة وسفير سابق لبلاط مدريد على ما تذكره المصادر الأوروبية.

لقد وردت السفارة لتقديم التعازي في وفاة جوزيف الأول ولتهنئة الملكة الجديدة دونا مارية (Dona Maria) وكان من الهدايا السباع والأنمار والأنعام الخ.

ظل السفير الأزرق محل تكريم إلى يبرابر 1778 محرم 1192 حيث قام بزيارة عدة منشآت كان منها دار السكة، وأظهر إعجابه بتقنية سك النقود الأوروبية وطلب من الملكة أن يصحب معه عند عودته عدداً من التقنيين المجهزين حيث رافقه ستة من البرتغاليين المتخصصين تصحبهم أربعة صنادق كبيرة تحتوي على الآلات الضرورية التي قدمت هدية إلى السلطان. (19)

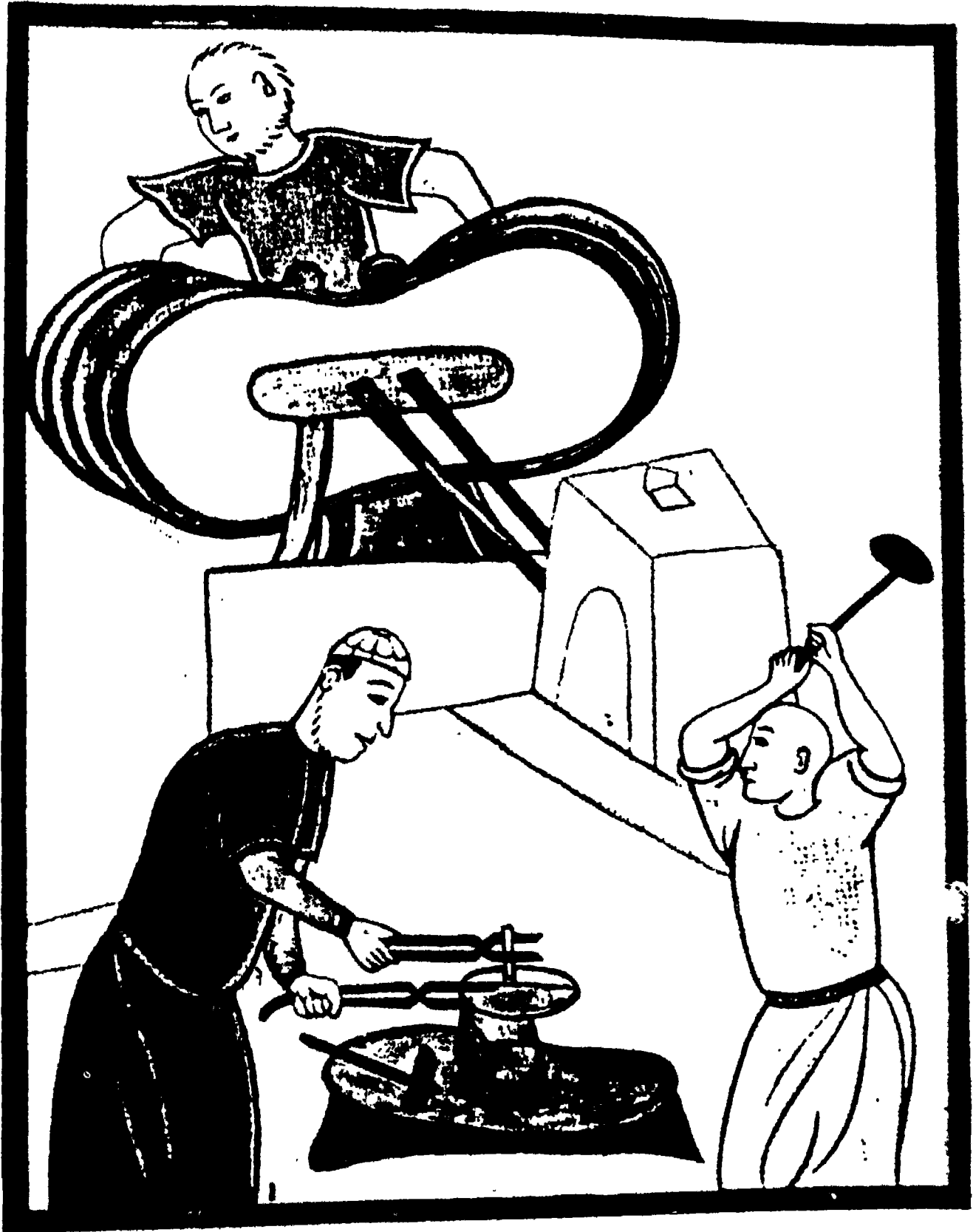
(17) الإتحاف 3 ر 290 - 291 p. 35-201 Caille :

(18) Lourido : Le Commerce... Revue d'histoire Maghrébine Jan 1976 Tunis

(19) وصل السفير المغربي إلى لشبونة يوم 8 أكتوبر 1774.



صورة من رسالة بعث بها السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى ملك البرتغال جوزيف الأول يعتمد فيها سفيره القائد عمر بن الداودي الذي حمل معه هدية قيمة للملك المذكور. وهي بتاريخ 20 جمادى الأولى 1188 = 30 يولييه 1774.



رسم عن منشورات بنك المغرب : ضرب السكة

وقد أقامت البعثة البرتغالية في المغرب ثمانية عشر شهراً كانت فيه محل تكريم وعناية.

وقد احتفظت المصادر المغربية بنص الرسالة التي بعث بها العاهل المذكور إلى حاكم الجزيرة الخضراء (مانضورزا (Mandorza) بتاريخ 7 جمادى الأولى 1193 = 23 مايو 1778 يخبره فيها بالهدايا التي أرسلها العاهل المغربي إلى حاكم البرتغال.

وحوالي النصف الثاني من سنة 1779 أوفد السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى ليشبونة أحد التجار الأغنياء للمقام بالبرتغال : الطيب بوهلال، وكان يحمل رسائل خاصة إلى مارية ملكة البرتغال تتعلق بإنشاء دار تجارية يستفيد منها البالدان، وكان الرئيس البحري الذي نقل بوهلال هو علي بريس الذي كان مزوداً بمال وافر لقضاء بعض الأغراض السلطانية.

وتفيد الوثائق البرتغالية أن مبعوثاً مغربياً آخر يحمل اسم الحاج محمد عناية نزل في ليشبونة أوائل أكتوبر 1780 حيث كان يحظى بكل أنواع التكريم... لقد كان المبعوث المذكور مصحوباً بالحاج محمد التيال والحاج عبد الرحمن بريطل، وربما كان الهدف - على ما يقال تنشيط التبادل التجاري...

وفي إطار المجاملات والمكايسات بين البلاطين وجدنا الملكة دونامارية تبعث بسفارة تعزية إلى السلطان سيدي محمد بمناسبة وفاة ابنه وولي عهده الأمير مولاي علي عام 1783 = 1197 مغتمةً هذه الفرصة - وهذا لطيف - للإشادة بخلال ومزايا الأمير مولاي عبد السلام الذي كان أشرف على المفاوضات المغربية البرتغالية التي أفضت إلى الاتفاقية السالفة الذكر !!

وقد اتجهت بعثة مغربية إلى البرتغال عام 1785 يتقدمها الرئيس عباس مورينو الذي كان مصحوباً بخديم العاهل المغربي مانييل دي بونتيش (M. de Pontes) الأمر الذي تكشف عنه رسالة من دونا مارية إلى سيدي محمد بتاريخ 8 يولييه 1985.

وفي أعقاب توتر في العلاقات بين داي الجزائر وبين ملكة البرتغال لجأت هذه إلى طلب مساعدة ملك المغرب سيدي محمد بن عبد الله الذي تربطه علاقة بالطرفين معاً....

ومن الطريف أن نجد في ضمن الهدايا التي قدمها عام 1786 = العاهل المغربي للملكة البرتغالية ساعة جدارية على شكل قفص بها عصفور كناري يدق الساعات وكان أهداها له الرئيس جورج واشنطن على ما عرفنا في فصل العلاقات المغربية الأمريكية.

وقد وجدنا رسالة من الأمير مولاي عبد السلام خليفة والده على سوس بتاريخ 11 جمادى الثانية 1201 = 13 مارس 1787 إلى ممثل البرتغال بطنجة مانييل دي بونتيش (M. de Pontes) يخبره بأن أباه خوله مهمة الصويرة وأنه وصاه خيراً بالبرتغال وإعطائهم الامتياز كما يخبره بأنه توصل بالهدايا المرسله... وأن نائبه بالصويرة هو القايد حيدة بن الحاج الهواري...⁽²⁰⁾ ونجد أخيراً رسالة تحمل طابعاً لأحد الأمراء المغاربة إلى نفس الشخصية المذكورة بتاريخ 21 رجب 1202 = 27 أبريل 1788 يقول فيها : إن البلاط المغربي سمع بأن مانييل دي بونتيش وصل إلى الصويرة يحمل معه الواجبات المترتبة على البرتغال إضافة إلى الهدية التي أرسلتها الملكة دونا مارية (Dona Maria) ملكة البرتغال.

إن المراسلات بين العاهلة البرتغالية وبين العاهل المغربي ظلت إلى آخر أيام هذا الأخير...⁽²¹⁾

☆ ☆ ☆

وبوفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله شعر الكل بفراغ، وخاصة بعد ذلك العمر الحافل بالاتصالات والانتصارات، ولكننا مع ذلك نلاحظ أن البرتغال أوعزت لقنصلها بطنجة بتقديم التهاني للعاهل الجديد المولى يزيد وأعدت هدية له بالمناسبة.⁽²²⁾

L'ourido-Diaz, Le Commerce entre le Portugal et le Maroc Revue d'histoire Marghrebine, Janvier 1976, (20)

Tunis

د. عبد الهادي التازي : دور السكة بالمغرب، مجلة الأكاديمية 1987.

(21) يلاحظ أن المراسلات بين كاسترو وبين عمر بن الداودي ظلت مستمرة.

Lourido, Le Commerce... Revue, p. 45 (22)

لكن الظروف التي كان يعيشها المولى اليزيد لم تسمح بطول الحياة وقد كان الأمير مولاي سلامة في جملة من رشح بطنجة للملك بعده حيث وجدناه يبادر بالكتابة إلى «رينة البرطقيز مارية... يخبرها، بعد أداء السلام، بأن أخاه المولى اليزيد قد صار إلى عفو الله ورحمته «ونحن أورثنا الله ملكه فها نحن أعلمناكم وعزيناكم فيه» كما تقول الرسالة التي أرخت يوم 29 رجب 1206 = 23 مارس 1792.

كما كتب نفس التاريخ لسائر القناصل المعتمدين بطنجة يطلب إليهم أن يقدموا لحضرتة على ما أسلفنا...

ومن المهم أن نشير هنا، اعتماداً على ما نشره الأستاذ أريباس بالاو، للرسالة التي بعث بها السلطان مولاي سليمان إلى الملكة دونا مارية سلطانة البرتغال والغرب والبرازيل وباقي البلاد وتوابعها «...لقد عبرت هذه الرسالة عن أواصر المحبة الفائقة التي تجمع بين البلدين والتي لا تريدها الأيام إلا رسوخاً...

والرسالة تحمل تاريخ 8 صفر 1207 = 25 شتنبر 1792 وهي أول رسالة تتحدث عن علاقاتنا أيضاً مع البرازيل ولو أنها كانت ما تزال تابعة للبرتغال.

وقد وجدنا في نفس المصدر رسالة باللغة العربية من القنصل البرتغالي جورج بيدرو كولاصو (G. P. Collaço) إلى محمد بن عثمان وزير خارجية المغرب ووالي السلطان مولاي سليمان على تطوان وتحمل تاريخ ربيع الثاني 1207 يهنئه على منصبه ويستبشر بالعلاقات في المستقبل...

كما نجد من جهة أخرى رسالة من محمد بن عثمان إلى القنصل البرتغالي المذكور يخبره بوصول رسالته ويطمئنه على مستقبل العلاقات المغربية البرتغالية ويغتنم هذه الفرصة ليثني على محرر رسالة القنصل المذكور الذي أبان عن تمكنه من اللغة الغربية ! والرسالة بتاريخ 15 ربيع الثاني عام 1207.

ومن المهم أن نجد رسالة بتاريخ 25 ذي الحجة 1207 تتعلق بموضوع طريف ويتعلق الأمر بثلاثة مراكب كانت تحمل بعض أفراد العائلة المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

وإنه قول ولا في الدنيا والآخرة



من عند الله تعالى عليه والعرفان في أمورنا
 أن أفعالنا وأعمالنا في الدنيا والآخرة
 علم من أفعاله الهدى في كل ما نريد أن نعلم
 وهو له إله وحده لا شريك له ولا شريك له
 خداه لا يفتخر به الخلق والخلق لا يفتخر به
 مجاهد من صديقات من فلاة أظلمت في الليل
 مولاي أيم يديك وفيه والسياسة في الدنيا والآخرة
 التي ملكنا لها ولكن الآن في كل ما نريد أن نعلم
 له هذا الكتاب ليتعلم به كل من يريد أن يتعلم
 الدين والسياسة في الدنيا والآخرة
 بحاكم فإلهها لها وعرف أفعالها في الدنيا والآخرة
 لنفسهم لا يفتخر بها ولا يفتخر بها في الدنيا والآخرة
 والآن من الصبح والشمس في الدنيا والآخرة
 معترجة لسعادته في الدنيا والآخرة
 الشاه والشاه في الدنيا والآخرة

207

الملكية أدت بهم العاصفة إلى جزيرة مديرة بالبرتغال حيث نرى أن هذه الدولة هيأت لأعضاء الأسرة الملكية أسباب الراحة حتى عادوا إلى المغرب في أمن وأمان...

وفي رسالة من الأمير مولاي عبد السلام إلى القنصل البرتغالي المذكور بتاريخ 11 محرم 1208 وجدناه يشكر القنصل على ما أبلغه من أخبار عن أفراد العائلة الملكية التي وجدت نفسها في البرتغال... والرسالة تفيض شكراً وعواطف على التفاتة الكريمة. ولا بد أن نعرف بهذه المناسبة أن الخليفة السلطاني بأكادير هو بالصدفة ابن الأمير مولاي عبد السلام...

ونجد بعد هذا ظهيراً من السلطان مولاي سليمان إلى وزيره محمد بن عثمان وإلى الخديمين القائد أحمد الدليمي والقائد عبد الله برقاش وإلى القائد حماد الصريدي في التوصية بكل القواد البحريين الذين يردون من البرتغال والاهتمام بها، وهذه الرسالة تحمل تاريخ 18 محرم 1208.

ونسجل هنا وثيقة تحمل تاريخ 11 محرم 1208 = 19 غشت 1793 عبارة عن رسالة للسلطان... إلى السلطانة مارية تؤكد أواصر المحبة والود الذي يوجد بين البلدين وقد كتبت بالعربية وإلى جانبها ترجمة بالبرتغالية.

ولم يكن غريباً علينا أن نجد خطاباً لاحقاً يحمل تاريخ 18 محرم 1208 = من وزير السلطان مولاي سليمان إلى القنصل البرتغالي كولاص (Collaço) في شأن مركب برتغالي حرث بين سبتة وتطوان، إن الوزير المغربي يعرب عن أسفه العميق لما حدث وقد فتح بحثاً سريعاً حول الموضوع... وإن العاهل المغربي لمهتم بنفسه بالأمر... فلتطيبوا نفساً...

☆☆☆

وتتيمماً للموضوع نذكر أننا وجدنا السلطان المولى هشام الذي كان ظهر في الجنوب المغربي يبعث بسفارة بدوره إلى الملكة مارية برئاسة شخصية محترمة تمنعها الرسالة الملكية بصاحبنا الفقيه الشريف مولاي عبد الله بن

الحاج عهد إليها بحمل رسالة للملكة تخبرها بتمكّن مولاي هشام من استرجاع مراكش وعزمه على أن يستمر في علاقاته مع البرتغال على النحو الذي كان عليه والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وكانت الرسائل تحمل تاريخ 1 شعبان 1210 = 10 يراير 1796 وهي محفوظة بأرشيف مدريد التي توجه إليها السفير المغربي بعد انتهاء مهمته في البرتغال...ا.

☆☆☆

وقد عثر في الخزانة الوطنية بريو دو جانيرو على خطاب دبلوماسي رقيق يحمل تاريخ 11 محرم 1213 = 25 يونيو 1798، من وزير خارجية المغرب محمد بن عثمان إلى نظيره في البرتغال دون رودريغو يخبره بالاستقبال الممتاز الذي خصصه السلطان مولاي سليمان لسفير الملكة مارية الذي ورد لطلب إقرار الاتفاقية المغربية البرتغالية السالفة.(23)

☆☆☆

لقد عرفت العلاقات المغربية البرتغالية ظروفًا ممتازة استمرت طوال حياة السلطان المولى سليمان الأمر الذي نجد صدهاء في الجواب الذي بعثه الملك الذي تربع على كرسي الحكم بعد المولى سليمان، وهو السلطان المولى عبد الرحمن الذي كتب بتاريخ 17 ربيع الأول 1238 = 2 دجنبر 1822 مجيباً عن رسالة التعزية في العاهل الراحل والتهنئة أيضاً بالمنصب الملكي، وهي التعزية التي بعث بها القنصل البرتغالي العام جورج كولاڤو سالف الذكر...

(23) أقدر بهذه المناسبة اهتمام سعادة الزميل الأستاذ محمد العربي المساري سفير المغرب في البرازيل وأشكره على مساعدته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الى محبتنا عظم وصفتنا بالخير زادنا في البليغ دونه رديكواروزي ملاكة اليه كلفان
اسا بعربانه ازايين على الشرايع تلكا لاهوالك تثنى كما فينير كجرايين وكل مكرمة
تفهم عليتها يسوي اعلامك برصدك سطورك اليك في صحتنا التي التحقير
للوفاة على فكم سواي اجملا بتعليق اسم باشك ولبواجه مورا ان الصلح
فايها التفتت في الرولة (تثنية) سلطنة اليه كلفان وولدت في ايام الجبر انما مع
تفويدهم في رتبة الرعية من قبل دولتك الرولة على اخلاص المحبة وصلاح الكوفة كما
انه بلغنا كسحور في اليك مع ما التفتت وناه من تزكك ردينا في بلنا سا
فبوجده خالصة ومركب يحسن اعتبارا وحياما ملكا ثم ان ما اثر تربية عليت
به الوفوف مع الشكر والذكور في تفتت ردينا مع ملاقاتك مع كونا الصلح واداء
ثم وكما الصلح الفريه وان يراه في الشكر انه امره ثم الحافده وان يوضع عليه
فلك بيننا الصلح فيكم الله وكما بعد في امة لا يفتت، وكلفنا لباشكوزي ملاقات
باحتيال عظيم شانه ما يعمل اعظم بشكوزي من اعداد ولزوفوج به مورا اكله واليه
وفضلك جميع اغراضه ومكالماتك علمته اياتك ولو ان الوقت لا يجمعك خاله
من غلا الاقريب به كسنا السنة فكانه لا اكن واكن مع ذلكا غيرنا خاخره وفردك لبيتك
ايك الله وكهرا اعتبارا الرولة ودرن في امة لا يفتت معك وتسم له عمله وما
يعرفه ان شانه السواي مثله من تفتت لفتك وفردته وحصن منته وانا افير
لكنه كنه بيتك من ردينا الرولة في سوية تصح في كلاما يلفظا حيا بالجميع ما يفتت
وكم تفتت بعنا وعافية منبرك والصلح والفتت به الامن اليك باغ اول

سنة 1213

محمد رشيد
محمد رشيد

العلاقات المغربية الإنجليزية في صدر الدولة العلوية

- بين السلطان مولاي رشيد والبلاط الإنجليزي.
- سفارة ابن حدو أقطار لدى شارل الثاني.
- المغرب يشارك في مؤتمر طبي دولي بطنجة !
- تسوية قضايا الأسرى...
- الملكة آن تجدد الصلات مع العاهل المغربي.
- سفارة ستيوارت بالمغرب.
- الملك محمد الثالث والملك جورج الثالث.
- المعاهدة المغربية الإنجليزية على عهد السلطان مولاي سليمان.
- بداية أيام السلطان مولاي عبد الرحمان.

العلاقات بين المملكة المغربية وأنجلترا... على عهد العلويين

إذا كانت أيام السلطان المولى محمد بن الشريف (محمد الأول) لم تسمح بربط اتصالٍ بينه وبين إنجلترا، فإن أيام السلطان المولى الرشيد سجلت منذ البداية تدشين علاقاتٍ بين المغرب وأنجلترا، وهكذا فمن أجل تطوير تجارة طنجة التي كانت تحت السيطرة الإنجليزية فكر شارل الثاني في إرسال سفارة إلى العاهل المغربي للحصول على الإذن بتنشيط التجارة في طنجة من جهة، ولمعالجة قضية الأسرى الموجودين في قبضة السلطان من جهة أخرى...

وقد عين على رأس السفارة اللورد هنري هوارد (Henry Howard) الذي حمل معه إلى العاهل المغربي قِطْعاً من فاخر النسيج إلى جانب عشرة مدافع وأربعين نوعاً من المسدسات مع عدد من التحف...

وقد أورد الباحث البريطاني روجرز في كتابه حول (العلاقات المغربية البريطانية) نصّ الرسالة التي كانت بمثابة ورقة اعتماد لهنري هوارد كسفير فوق العادة، ولكن الرسالة لا تحمل تاريخاً...⁽¹⁾

P.G. Rogers : A History of Anglo-Moroccan Relations To 1900, London : Foreign and Commonwealth office (1)
p. 49

وقد وصل إلى طنجة بتاريخ 11 غشت 1669 ضمن حاشية فيها الرسام العالمي فاكلاف هولار (Václav Hollar)⁽²⁾ أستاذ شارل الثاني.

لكن السفير لم يلبث أن توصل برسالة من شارل الثاني تطلب إليه العودة إلى لندن حيث نراه يغادر طنجة يوم 9 يولييه 1670 متوجهاً لأنجلترا عبر قانس (3)

ولقد ذكر الفريد بيل أنه وقف عند كامبيني (Campini) على رسم نصفي للمولى الرشيد على جوانبه أثر لبعض الحروف الممحية. لكن يمكن أن تقرأ كلمة : (Souvenir Normand) «تذكار نورماندي»، وربما قرئ أيضاً مدينة النواقيس (Villes des Cloches)، وقد افترض (بيل) أن تكون الكلمة الأولى تقديماً للصورة من طرف أحد التجار الفرنسيين الذين تحدثوا إلى مولاي الرشيد...⁽⁴⁾

☆ ☆ ☆

وقد وجدت أنجلترا نفسها وجهاً لوجه مع السلطان المولى اسماعيل الذي توجه بكل ثقله للضغط على طنجة فور قضائه على الخضير غيلان !

فبالرغم من اتفاقية الهدنة البحرية بين السير بالميس فيربورن (Palms Fairborne) حاكم طنجة وبين الحاج عبد القادر مورينو حاكم سلا الجديدة (الرباط) بتاريخ 28 غشت 1676، قامت القوات المغربية بقيادة عمر ابن حدو البطوئي في بداية سنة 1678 بمداهمة أطراف المدينة...

وقد أضيف إلى قائمة القتلى السير بالميس نفسه الذي أصيب يوم 24 أكتوبر 1680 فتوفى بعد ثلاثة أيام متأثراً بجراحه حيث عوضه في القيادة الكولونيل إدوارد ساكفيل (Edward Sackville) الذي خطط لحيلة انتقامية تلخص في شن هجوم مباغت وقوي على القوات المغربية...

(2) Jan Korinek : l'Historique des Relations Tchechoslovaques avec le Maroc. IMP. Kawthar, Rabat : 1975 p. 18. (3) S.I.I.L.M. FRANCE, 2 S.T. I P. 287

PHILIPPE de Cosé Brissac : quelques documents inédites sur le Maroc 1670 - 1680, Hesp 1950 p. 97.

(4) أفترض أنا أن يكون القصد بمدينة النواقيس إلى فاس التي يحتضن جامعها الأعظم : القرويين عدداً من النواقيس المجلوبة من كنائس قشتالة والبرتغال...

د. التازي : تاريخ القرويين ج 2، ص 328. 61. Alfred Bel : Inscriptions Arabes de Fez, Paris 1919 p.

مما جاء في رسالة تقرير ساكفيل بتاريخ أول يناير 1681

«من جانبي لا أدري إذا كانت المصلحة أو الخطأ كلاهما معاً هما اللذان حملا أسلاني على تزويد الوزراء في إنجلترا بمعلومات تساعد على تكوين آراء سيئة عن هؤلاء الناس، وأستطيع بكل تواضع أن أقول عنهم (أي المغاربة) بعد أن عركتهم في السلام والحرب، أكثر مما عرکهم أي واحد ممن سبقوني... أستطيع القول : إن هذا الاعتقاد كان ضاراً بمصالح جلالة الملك (شارل)، ومع أنني أتحدث عنهم كأعداء فياني لم أجد أشجع منهم في الميدان عندما يرون سبباً معقولاً للقتال، ولا أحرص منهم على تجنبه إذا رأوا أن الحكمة تقتضي ذلك، ولا أعتقد أن هناك بين أجناس البشر شعباً يقظاً متحملاً للمشاق، صبوراً، جاداً مثل هذا الشعب، وهي الصفات التي تعوز الجندي، ولو أضيف إليها النظام الذي اعتاده الأوروبيون، فلن يكون هناك عدو أخطر منهم في العالم... وهم يبحثون الأمور أثناء التفاوض معهم بهدوء وحكمة، ومن ثم فلا أفهم أبداً السبب وراء الاستخفاف بهم».



السلطان مولاي اسماعيل كما تخيله الرسامون الأوروبيون المعاصرون

ومن هنا تجدد التفكير في إرسال سفارة مغربية إلى إنجلترا لمفاتيحة الملك شارل الثاني في قضية طنجة، حيث اختار السلطان مولاي اسماعيل لرئاسة هذه البعثة محمد بن حدو الذي وصل إلى طنجة معزراً بوفد هام كان فيه الكاتب أحمد لوقش والقائد محمد الحافظ وعدد من المساعدين، استقبل استقبالاً حافلاً على ما تذكره المصادر والتقارير الإنجليزية.⁽⁵⁾

وعلى العادة في مثل هذا الحال، رأينا الكولونيل كيرك يرفع تقريراً إلى بلاده يحمل تاريخ 8 دجنبر 1681 يتضمن نبذة عن السفير ابن حدو.⁽⁶⁾

رسالة غلام مراكنا من والده السيد محمد بن حدو

الحمد لله وحده
وطيب ذاك الحروب
ختم المظالم باله
محمد بن محمد بن حدو
وفي سنة وعشرين من برب
علم ثلاثة وتسعين وارب

وطيبا خديم المظالم
محمد بن محمد بن حدو

توقيع محمد بن حدو

(5) د. التازي : محمد بن حدو، مجلة أكاديمية المملكة المغربية عدد 2 1985 - عدد 3، 1986.
(6) أورد هوبكينز (Hopkins) عدداً من الرسائل التي بعث بها محمد بن حدو إلى شارل الثاني كان منها رسالة مهمة طويلة الذيل تحمل تاريخ 11 شعبان 1094 = 5 غشت 1683 كتبها من مكناس وقد كشفت لي عن السر الذي كان يكمن في تعميم أخباره من لدن المؤرخين المغاربة!! ابن زيدان : المنزع اللطيف في التمليح لمفاخر مولاي اسماعيل الشريف، مخطوطة الخزانة الحسنية رقم 2019.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْعَبْدُ الرَّعِيْلُ الرَّعِيْلُ



إلى الميثل رثاء عظم الملك عظيم مملكة الانجليز واميتيها
ويغفر واسكنها السكاهان في مملكتها ستمتت هذا كتر سن
سكنند راجع ركن ان بر كهابتي السكاهان علم من رابع
الذي ستر اعرايم والتمولت ورا علاج ركن ان سوان السكاهان
امير المؤمنين له وجه اليه خرامه الاشياء لا فاسد
ممنزح والفرع فحو الحلابه مفرد العمده واركتا الحاج
ممنزحته وراوهانم بل لغدوع عليله وراة بال عهد الزكوان
سبوق منا ومن اخينا المرحوم بكم الله انفايدكم بر حذقم نعم بكم
انا فرودنا مولانا بكم الله في جميع الامور التي كانت بيد
اخينا المرحوم بالله وزادنا روضاه وعلنا بيهذا الافكار نبلاشي
ان شاء الله خرامكم الذي بيهذا البلاد وما يعر نركم من
لا غرض عندنا تفضي ببول الله تعالى وكذا في نبلاشي خرامكم
واحد بكم رعاية كالأوجهه واعتناء باموركم والله السكاهان
ويع رابع شهر الله في الحجية لكم ام حمان اثير وتسجين والبر





السفير محمد بن حدو، نشر ياذن مكتبة صاحبة الجلالة البريطانية

ولقد عاد السفير ابن حدو إلى طنجة ما بين الثلاثين غشت وتاسع شتنبر 1682 ومن طنجة سافر ابن حدو إلى مكناس حيث قدم تقريره إلى السلطان مولاي اسماعيل مع مشروع الاتفاقية التي كان السفير شرط لتنفيذها عرضها على السلطان ليبقيها كما هي أو يعدلها...

☆ ☆ ☆

بيد أن العاهل المغربي رفض المصادقة على اتفاقية (وايت هول) التي أبرمها سفيره محمد بن حدو بسبب القلق الذي تملكه من تعامل التجار الإنجليز مع بعض العناصر المتمردة.

ومن هنا أصدر العاهل البريطاني أمراً بإخلاء المدينة وإفراجها بعد تحطيم المعالم والبروج والأسوار وبخاصة الرصيف (Le Mole) الذي أنشأته الحامية، وهكذا أرجع السلطان المولى اسماعيل لطنجة وجهها الإسلامي الناصع بعد أن كان الاستعمار حول مسجدها الأعظم إلى كاتدرائية تحت اسم (سان إيسبري) وغير مساجدها الأخرى إلى كنائس...

مؤتمر طبي بطنجة أيام الوجود الإنجليزي
بين الدراق وبعض الأطباء...
حول التداوي بالشيء المعتاد !

ورد في كتاب المحاضرات للحسن اليوسي ما يلي :
ومن أطرف ما وقع في هذا - أي التداوي بالأشياء المعتادة - ما حدثني به الطبيب المذكور وهو الفاضل
أبو عبد الله محمد الدراق الفاسي، قال : كنت دخلت طنجة بقصد ملاقة الأطباء ورؤية الشخص الذي صوروه
لتعليم التشريح معانية، قال : فكان بعض أطباء الروم هناك يعجب من أكلنا الكسكوس المذكور، ويضحك منا
ويقول : إنما تأكلون العجين في بطونكم !!
قال : فبينما نحن كذلك إذ دخلت عليه يوماً فوجدته عند رأس مريض محموم شديد الحمى وهو يسقيه
الخمير ! قال : فقلت له : ما هذا الذي تصنع أنت ؟ وأي مناسبة بين الخمر والحمى ؟ والكل في غاية
الحرارة، فقال : إنها لن تضره شيئاً لاعتياده لها، فإنه قد كان يرضعها من ثدي أمه وهو طفل صغير، قال :
فقلت له : سبحان الله ! ونحن هكذا نرضع ما تنكر من الكسكوس من ثدي أمهاتنا ونحن صغار، فأئى شيء
يضرنا ؟! فقال : صدقت، ولم يجد ما يقول.
وإذا ما عرفنا أن طنجة سلمت من البرتغال إلى إنجلترا أواسط 1661 = أواخر 1071، وعرفنا أن الدراق
المذكور توفي في سابع ذي القعدة 1090 = 10 دجنبر 1679 أمكننا أن نفترض أن هذا اللقاء ثم على الراجح
أيام الوجود الإنجليزي في طنجة وليس أيام الوجود البرتغالي ؟

د. التازي : مع الطبيب الصيدلي عبد الوهاب أدراق في
نظمه حول النعنع والكبير،

مجلة الأكاديمية المغربية - العدد 3 نونبر 1986



وقد تحسنت العلاقات المغربية الإنجليزية بالرغم من بعض أعمال القرصلة التي نذكر منها على الخصوص اختطاف الراجس عبد الله ابن عيشة وهو في عرض البحر من طرف مركب إنجليزي أواخر مملكة شارل الثاني..!

ولم يلبث المولى اسماعيل أن بعث بتاريخ 10 ذي القعدة 1101 = 15 غشت 1690 برسالة إلى ويليام الثالث حول افتداء الأسرى الإنجليز على نحو ما ذكره القنصل الهولندي هيباندروب (Heppendrope)(7).

وقد ابتدأت المفاوضات بين الجانبين المغربي والإنجليزي حول الموضوع إلا أن الطرفين لم يتوصلا إلى اتفاق حول الشروط المقترحة من طرف المغرب لتحرير الأسرى الأوروبيين، وهكذا توترت العلاقات بين السلطان المولى اسماعيل وبين ويليام الثالث الأمر الذي حمل السلطان المولى اسماعيل على مراسلة الملك جيمس الثاني في منفاه بفرنسا!!

وهكذا نسجل الرسالة التاريخية التي أرسل بها اسماعيل بتاريخ 15 شعبان 1109 = 26 - 2 1698.(8)

لقد ذكرتنا رسالة المولى اسماعيل إلى ملك بريطانيا جيمس الذي كان يقيم في (سان جيرمان آن لي) ضيفاً على لويز الرابع عشر، ذكرتنا في نوع من السفارات الدينية التي تمت في العصور الإسلامية الأولى...

ويتخلص الخطاب للإعراب عن الرغبة في مناصرة جيمس لاسترجاع عرشه من يد ويليام والفلانك وهم أجانب عن أنجلترا !

وقد كتب العاهل البريطاني للمولى اسماعيل بتاريخ 23 يونيو 1700 يقول له : إن دولافال (Delaval) الذي أرسل سفيراً للمغرب ليفاوض حول الأسرى الإنجليز قد أحاط ملك إنجلترا علماً بمهمته، وأن الملك مرتاح من النتيجة، ولذلك فإنه أصدر أوامره بمعاملة مبعوثي المولى اسماعيل الموجودين حالياً في

(7) أورد هوبكينز رسالة اعتماد لحاييم طوليدانو كسفير لمولاي اسماعيل لدى الفلانك والإنجليز، وهي بتاريخ 26 جمادى الثانية 1102 = 27 مارس 1691، انظر ص 30.

(8) De castrie : Moulay Ismail et Jacque II Paris 1903

Handwritten text in Arabic script, likely a continuation of the letter or a related document, written in a dense, cursive style.



Handwritten text in Arabic script, including a large circular seal with Arabic calligraphy in the center. The text is dense and appears to be a formal document or letter.

صورة من الرسالة التاريخية التي بعثها ملك المغرب السلطان مولاي اسماعيل إلى ملك إنجلترا جاك الثاني يدعو فيها إلى اعتناق الإسلام وهي بتاريخ منتصف شعبان 1101 = أواخر يبرابر 1698.

لندن معاملةً تليق بمقامهم، وأنه قبل الشروط المقترحة من لدن العاهل المغربي لفداء رعاياه وأنه سيبعث من جديد برسوله (دولافال) إلى قادس لتسلم الأسرى وتختتم الرسالة الملكية بطلبٍ جديدٍ إلى السلطان المولى اسماعيل ذلك أن تُمدد فترة الهدنة المفروض انتهاءها في غشت، ستة شهور أخرى...

وبعد وفاة الملك ويليام 8 مارس 1702 ترك عبئاً ثقيلاً للملكة آن (Anne) وهكذا عينت بتاريخ 21 يبراير 1704 السير أندروليك (Andrew Leake) سفيراً مزوداً بسائر الصلاحيات لدى بلاط المولى اسماعيل من أجل عقد اتفاقية سلام وأمان، وقد أعدت طائفة من الهدايا الثمينة والغريبة للعاهل المغربي وأعضاء حكومته كان من بينها باروميتر بحري، وميكرو سكوب يحمل نقوشاً باللغة العربية تقول : «خلق لنا أشياء جميلة من أجل تثقيفنا» هذا إلى تليسكوب مذهب، ونظارات للقراءة وساعة دقاقة بأرقام عربية...⁽⁹⁾

وقبل أن يلتحق السفير (ليك) بالديار المغربية جد جديد في تاريخ أنجلترا العسكري، ويتعلق الأمر باحتلالها لجبل طارق الذي يوجد على مرمى حجرة من الأرض المغربية....

إن الملكة آن تحتاج المغرب ليساعدها في جبل طارق وهكذا عوضت سفارة (ليك) بسفارة أخرى برئاسة بول ميثوين (Paul Methuen) الذي زود بسائر الصلاحيات وعزز بالمستعرب جوزريل جونيس (Jozreel Jenes) الذي قام بعدة زيارات للمغرب والذي كان يعرف اللغة العربية.

ولقد رأى السلطان المولى اسماعيل في نزول أنجلترا بجبل طارق فرصة سانحةً لطلب مساعدتها على تحرير مدينة سبتة التي ما انفك الجيش المغربي يحاصرها من جهة البر...

وهكذا نجده يبعث برسالته التاريخية إلى البرلمان الإنجليزي في شهر مارس سنة 1706 في الوقت الذي كان يوجد فيه بلندن فيه مبعوثه أحمد بن أحمد كارديناش (Cardenash) إلى الملكة آن بهدف اقتراح إرسال سفير جديد من قبلها

(9) يترجّح لدى أنها هي الساعة التي أهداها الملك محمد الثالث للقرويين P.G. Rogers : A History د. التازي : تاريخ جامع القرويين ج III ص 662.

والحصول على عون بريطانيا لتحرير سبتة من يد الإسبان... وحتى يبرهن على أنه لا يرغب من وراء تحرير المدينة في الحصول على كسب مادي لا يتردد في التصريح بأنه يفضل تخريبها ومسحها من الخريطة دون أن تبقى في حوزة الأجنبي...!

☆ ☆ ☆

وبالرغم من فشل كارديناش في مهمته فقد بعث العاهل المغربي بسفير جديد عام 1710 وكان هذه المرة مسيحي العقيدة أرمني الأصل أملاً في إقناع أنجلترا، كان هذا السفير هو ابن توره دو زاري (Bentura de Zari).⁽¹⁰⁾

ولم تلبث أنجلترا - بعد أن مكنت أقدامها في جبل طارق باعتراف معاهدة أوتريخ (Utrecht) بالنمسا عام 1713، بملكية الجبل وذلك من طرف فرنسا واسبانيا وهولاندا... أن أرسلت من جديد بوفادة بقيادة جورج بادون (G. Paddon) تستهدف عقد هدنة بحرية بين البلدين وتحرير المزيد من الأسرى...⁽¹¹⁾

وقد استقبل العاهل المغربي المبعوث الإنجليزي (بادون) صحبة القائد أحمد بن علي بن عبد الله الذي كان قد خلف والده، وعاد المبعوث مصحوباً بعدد من الأسرى البريطانيين...

وقد حدث أن لم يتفق الطرفان على طريق لتسوية المشاكل المطروحة فكتب السلطان المولى اسماعيل رسالة من مكناس بتاريخ 18 جمادى الثانية 1129 = 18 مايه 1717 إلى الأدميرال كورنوال Cornwall يشكو فيها من الأسلوب الذي يحاول به المفاوض الإنجليزي أن يعالج المسائل المعروضة...

☆ ☆ ☆

ونتيجة لهذا التدخل من المولى اسماعيل لإرجاع الأمور إلى نصابها تقرر إرسال سفارة هامة إلى العاصمة الاسماعيلية 1721 برئاسة شارل ستيوارت حيث

(10) أورد هوبكينز (Hopkins) رسالة من مولاي اسماعيل إلى الملكة آن حول هذا السفير، وهي بتاريخ 1 محرم 1125 = 28 يناير 1713.

(11) أورد هوبكينز رسالة بتاريخ 22 محرم 1125 = 18 يبرابر 1713 مرفوعة من السلطان مولاي اسماعيل إلى الملكة آن يذكرها بما كانت عليه العلاقات المغربية على عهد المنصور الذهبي وإليزابيث...

جرت المفاوضات والمحادثات التي أدت إلى اتفاقية السلام والتجارة الموقعة في فاس في تاريخ 23 يناير 1722 والمكونة من خمسة عشر فصلاً...

ومن حسن الحظ أن نجد ويندس (Wendus) أحد المرافقين للمبعوث البريطاني يقوم بتدوين مذكراته عن هذه الرحلة في كتاب صدر منذ ذلك التاريخ...

وهكذا فمن خلال هذا الكتاب الذي أصبح في حكم المخطوط تقف على صفحات مشرقة من التاريخ الدبلوماسي للمملكة المغربية نرى من الممتع الإحالة عليها بالنسبة للذين يهتمون بحديث الأصالة في المغرب...

وقد كان في أبرز ما لفت نظر السفير البريطاني ورفاقه معرض كان يحتفظ به المولى اسماعيل ويضم فيما يضم أبواب مدينة العرائش التي اقتلعها المجاهدون حينما كانوا يقتحمون المدينة لمطاردة الجيش الإسباني المحتل!⁽¹²⁾

وفي يوم 16 رمضان من السنة 1133 = 7 يولييه 1721 بعث إليهم السلطان المولى اسماعيل قائد مشوره ليصاحبهم في جولة ثانية يقومون بها للوقوف على معالم جديدة، وهنا نجد معرضاً آخراً يحتفظ به المولى اسماعيل من نوع يشبه المعرض السالف الذكر، ويتعلق الأمر بمعدات حربية اغتتمها الجنود المغاربة في حملتهم ضد جيوش دون سباستيان في وقعة وادي المخازن أيام المنصور السعدي ! ومنها قطع أخرى استولى عليها الجيش المغربي بمناسبة حملة السلطان المولى اسماعيل ضد جيوش الاحتلال التي كانت بالأمس تحاصر المعمورة وطنجة والعرائش وأصيلا.

ونذكر مما له تعلق بهذه السفارة ما حدث أن استهدفت له من بعض الصعوبات الأمر الذي كاد يفضي إلى فشل المهمة لولا التجاء السفير الإنجليزي

(12) Jhohn Windus : a Journey to Meknez . د. التازي : مراسيم تقديم أوراق الاعتماد في القصور الملكية على عهد الأباطور السلطان مولاي اسماعيل دعوة الحق مارس 1969، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2 ص 74.

إلى مساعدة إحدى سيدات القصر الملكي كان يسمع عن مركزها وهو في ليشبونة من لدى أحد الأسرى السابقين العاملين في البلاط الإسماعيلي.

لقد كان القصر يتوفر فعلاً على طائفة من الأميرات اللائي يعززن المولى اسماعيل من أمثال الأميرة العالمة ربة الدار العلية أم العز خناثة التي كانت على جانب كبير من الثقافة والسياسة.

وهكذا حرر رسالة للأميرة المذكورة بتاريخ 20 يولييه 1721 يذكرها بما سمعه عنها من ذلك الأسير...

وكان أن توسطت أم العز لدى زوجها المولى اسماعيل، ومن الطريف أن نجد هنا نص رسالة جواب من الأميرة المذكورة إلى السفير ستيوارت تبشره بأنها رفعت الأمر لمولانا أمير المؤمنين حفظه الله وأنه الآن على بصيرة بحقيقة الموقف وقد وقعت الرسالة باسم أم مولاي عبد الله أم العز خناثة⁽¹³⁾

وقد تم بالفعل يوم 28 رمضان = 23 يولييه استقبال كبير للسفير الإنجليزي بمناسبة استئذانه للسفر وتمت المقابلة على ما كان في المرة الأولى من ترتيب وتقليد، وطلب العاهل المغربي للسفير - بعد أن طمنه على مهمته - إبلاغ سلامه إلى جلالة الملك جورج الأول، وجرت كالعادة أحاديث ودية بين السلطان المولى اسماعيل الذي كان قد استأنس بالسفير ستيوارت...

ولقد انتهت السفارة بالمصادقة على اتفاقية للسلام بين «الملك جورج وملك بريطانيا وإيرلندا والأمبراطور مولاي اسماعيل ملك فاس وتافيلالت وسوس...»، وكان عدد فصولها أربعة عشر فصلاً.. إضافة إلى الخاتمة⁽¹⁴⁾ وانتسخت منها عدة نسخ...

(13) كان لأم العز خناثة ولد يحمل اسم مولاي عبد الله الذي كان اسماً محبوباً لدى السلطان المولى اسماعيل وقد أعطاه لأربعة أمراء آخرين من أبنائه، وقد عاش من هؤلاء العبادلة واحد هو ابن الحاجة خناثة الذي أصبح ملكاً للمغرب بعد وفاة والده اسماعيل، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 200.

(14) تضمن الفصل الرابع عشر التزام كلا الطرفين بما ورد في بنود الاتفاقية المذكورة ورغبتها في الاحترام المتبادل.

John Windus : a Journey to Megnez, Wilrid Blunt :

Blacke Sunrise, Revue France Maroc, 1916

وهكذا نجحت سفارة ستيوارت وحرر الأسرى الإنجليز وعددهم مائتان وثلاثة وعشرون أسيراً... وقد أضى العاهل المغربي في رسالة بعث بها من مكناس بتاريخ 13 شوال 1133 = غشت 1721 حملها معه السفير ستيوارت إلى الملك جورج الأوّل أضى فيها على الدبلوماسي الإنجليزي صفة العقل الراجح والنصح والنبل...

☆☆☆

وطبقاً لما سبق للسلطان المولى اسماعيل أن وعد به مبعوث الملك جورج، فقد أرسل السيد عبد القادر بّيريس سفيراً لدى جورج يحمل خطاباً هاماً بتاريخ 25 شوال 1135 = 29 يولييه 1723.

ولم يلبث أن اتبع بسفير آخر عام 1138 = 1725 كان هو محمد بن علي أبغلي (Abaghi) المعروف بالسفير، بمهمة عقد صفقة لشراء السلاح والتوصية خيراً بمعاملة المغاربة اليهود الذين يتّجرون في جبل طارق معاملةً حسنة، ومن المهم أن أذكر هنا أن (أبغلي) هذا كان ثاني سفير مغربي نجد أثر زيارته للأكاديمية البريطانية بعد محمد بن حدو سالف الذكر حيث كتب الجملة التالية بخط يده :

الحمد لله وحده وكتب هذا الأحرف خديم المقام العالي بالله محمد بن علي أبغلي رعاه الله. سنة بل في آخر شهر مارس عام 1138 = 1726 (31 مارس 1726 = 27 رجب 1138).

الحمد لله وحده
وكتب هذا الأحرف خديم المقام العالي بالله محمد بن علي أبغلي رعاه الله وحده وكتب هذا الأحرف خديم المقام العالي بالله محمد بن علي أبغلي رعاه الله سنة بل في آخر شهر مارس عام 1138 = 1726

وقد عاد السفير أبغلي - مع أخبار وفاة السلطان المولى اسماعيل - صحبة السفير البريطاني جوهن روسيل ورفيقه بريثوايت، وهكذا نسجل إرسال بعثة بتاريخ 1140 = 1727 من طرف جورج الأول للتعزية في المولى اسماعيل وتهنئة المولى أحمد الذهبي وكانت البعثة برئاسة هذا القابطان جوهن روسيل ويرافقه جوهن بريثوايط (Braithwaite) السالفي الذكر...

لكن العلاقات عرفت نوعاً من الخمود بسبب القلاقل المترتبة عن التنافس في الحكم، بيد أن المياه لم تلبث أن عادت إلى مجاريها عندما جلس السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل على كرسي الحكم حيث نجده يبعث برسالة إلى جورج الثاني بتاريخ 25 ذي القعدة 1141 = 22 يونيو 1729 على ما يؤكد هوبكينز، كما نجد الملك جورج الثاني يبعث سنة 1729 برسالة إلى العاهل المغربي، حملها إليه بظاهر فاس القنصل جوهن روسيل (John Russell) الذي سبق له أن زار المغرب قبل سنتين... وهناك حصل بتاريخ 13 ذي الحجة 1141 = 10 يولييه 1729 على تأكيد الاتفاقية التي عقدها ستيوارت مع المولى اسماعيل ...1721

كانت سفارة روسيل الثانية فيما بين شهر يونيه وغشت 1729 محلّ تعاليق ضافية في المصادر الأوروبية وبخاصة في الأرشيف البريطاني... وكان من آخر ما قرأناه بحث يتعلق بالمبالغ المالية التي تكلفتها هذه السفارة سواء منها مصاريف التمثيل أو مصاريف السفر أو المصاريف التي تطلبها سير المفاوضات... (15)

☆ ☆ ☆

لكن سلوك الوسطاء الإنجليزيين لم يلبث أن أغضب السلطان المولى عبد الله، وخاصة فيما يتعلق بافتداء الأسرى والتعويضات المطلوبة لتسوية قضاياهم، وهكذا دخل في نقاش مع القنصل البريطاني في طنجة على ذلك العهد جوهن ليونار صولليكوافر (John Leonar Sollicoffre). (16)

(15) Le cout d'une ambassade Anglaise au Maroc au X V III Siecle, cahiers de la mediterrance Université de Nice (15 Decembre 75 p. 79

Chantal de la Veronne : S.F.H.M. Revue d'Histoire maghrébine, V. 10 - Tunis 1983, Docu. 75 (16

ومن المهم أن نسجل هنا رسالة من السلطان محمد بن اسماعيل (محمد الثاني) إلى جورج الثاني بتاريخ 1 رمضان 1149 = 3 يناير 1737 أورد ترجمتها هوبكينز في مجموعته...



نموذج من أختام الملك محمد بن اسماعيل : (محمد الثاني)

واستمرت العلاقات بين مدّ وجزر إلى أن كانت حادثة استيلاء مركب بريطاني على مركب فرنسي على مقربة من مدينة أسفي في شهر جمادى الأولى 1166 = مارس 1754 فهنا ثارت ثائرة الأمير سيد محمد بن عبد الله الخليفة المفوض له من لدن والده في الجنوب، لقد استكبر ولي العهد أن يتم هذا الحدث في منطقته، ودون علم منه وهكذا أشهر الحرب على بريطانيا على ما تتحدث به المصادر الإنجليزية نفسها وعلى ما نقرأه مفصلاً في تاريخ القنصل الدانماركي جورج هوست لحياة السلطان سيدي محمد بن عبد الله...

☆ ☆ ☆

وبتفويض من والده السلطان المولى عبد الله بعث، وهو ما يزال ولياً للعهد بسفيرٍ عنه إلى جورج الثاني، كان هو عبد الكريم ابن زاكور الذي حمل رسالة هامة جداً إلى ملك بريطانيا يحتج فيها باسم والده على تصرف حاكم جبل طارق الذي ثبت تواطؤه مع بعض العناصر المغربية المغرّرها... (17) معرباً عن أمنيته في أن يؤدب العاهل البريطاني واليه على جبل طارق حتى تعود العلاقات بين البلدين كما كانت.

وقد أجاب جورج عن سفارة الأمير الشاب بسفارة كانت بقيادة القابطان هايد باركير (Hide Parker) الذي وصل إلى قصر الأمير يوم ثالث عيد الفطر 1169 = 1 يوليو 1756 حيث سويت المشكلة بطريق حبي على نحو ما طلبه وليّ العهد... (18)

وهنا كانت سفارة القابطان مارك ميلبانك (Mark Milbanke) بتاريخ 25 أكتوبر 1758 مصحوباً بجوزيف بوفان (Joseph Pophan) كقنصلٍ جديد عوض ريد (Read).

وقد كانت البعثة مزودة بسائر الصلاحيات اللازمة لعقد اتفاقية سلام وتجارة، بيد أن المفاوضات لم تتوصل إلى نتيجة إلا بتاريخ 4 ذي الحجة 1173 = 1760 حيث تم بالقصر الملكي بفاس إبرام المعاهدة... (19)

وهنا تم إرسال القابطان البحري أ. كليفلاند (A. Cleveland) مبعوثاً من الملك الجديد لدى الملك محمد الثالث لمراجعة بنود الاتفاقية المبرمة بواسطة ميلبانك...

ولدى أكتوبر 1762 = ربيع الأول - الثاني 1176 بعث السلطان إلى إنجلترا بسفيره الحاج عبد القادر عدیل، وقد صادف وجوده بالديار الإنجليزية وصول

(17) حكى عن هذه السفارة أسير سويدي كان آنذاك يشتغل بقصر دار الديبغ بفاس (شوال 1169 = يونيو

Marcus Berg : Description de l'Esclavage... Stockholm 1757 p. 45. (1756

(18) أورد هوبكنز ترجمة رسالة من الأمير سيدي محمد بن عبد الله إلى جورج الثاني من مراكش بتاريخ 29 ربيع الأول 1169 = 2 يناير 1756 إلى رسالة لاحقة أخرى بتاريخ 10 شوال 1169 =

8 يوليو 1756. Host : l'histoire... p. 7-8.

J. Caillé : Les accords.. p. 167 (19

أخبار عن حجز مركبين إنجليزيين، الأمر الذي تسبب في حادث اعتداءٍ من بعض الرعاغ على شخصية السفير الذي عاد يحمل رسالةً من الملك جورج الثالث بتاريخ 25 مايه 1764.

حجج رحل عبر القدر عوي انك تشدو

تتاريخ (تتأ عشر ريع. و ربيع عا 1177

وحسب رسالة بتاريخ 17 ذي الحجة 1179 = 27 مايه 1766 بعث السلطان محمد بن عبد الله بسفيرٍ جديد إلى لندن، كان هو الحاج العربي المستيري الذي كان يصحبه الحاج محمد الصعيدي حيث حملت السفارة رسالة إلى جورج الثالث،⁽²⁰⁾ ومن الطريف أن نسمع أن السفارة راحت على متن سفينةٍ مغربية كانت تحمل اسم النمر (Tigr)، وقد تجددت صلة العاهل المغربي بالملك جورج في نفس السنة حيث وجدنا رسالة جميلة من الملك محمد الثالث إلى الملك جورج الثالث بتاريخ 4 جمادى الثانية 1180 = 7 نونبر 1766...

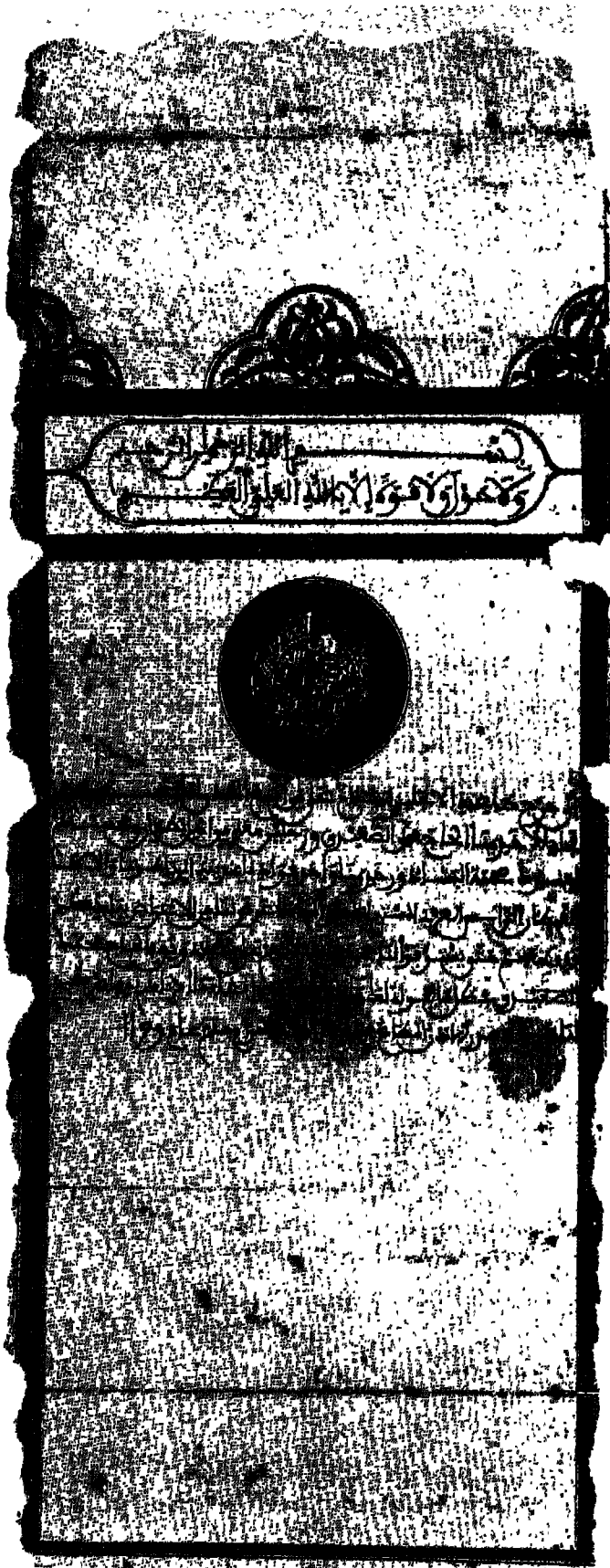
☆☆☆

وفي أعقاب تأزم العلاقات بين المغرب وأنجلترا على إثر حجز مركب إنجليزي على السواحل المغربية وأسر رجال بحريته في صيف سنة 1772 بعث السلطان سيدي محمد بن عبد الله بمبعوث مغربي هو التاجر اليهودي يعقوب بن يدر.

ومن الطريف أن نرى ملك المغرب يكلف المبعوث المذكور بأن يحضر له كرة أرضية وآلة اسطراب وتيليسكوب الأمر الذي يكشف عن اهتمامات العاهل المغربي على ذلك العهد...

وقد حققت السفارة أهدافها وعادت في أوائل دجنبر 1773 حيث نجد ملك المغرب يبعث سفارةً جديدةً برئاسة السيد الطاهر فنيش الذي قصد لندن في جملة

(20) حسب المصادر المغربية نجد أن القائد العربي المستيري راح إلى لندن منذ تاريخ 1177 = 1764 لغرض إصلاح مراكب مغربية واشتراء قطع الفيار وتزويد المراكب بمدافع نحاسية. الزباني : الروضة ص 117 - الاستقصا 8، 19 الإتحاف 3، 260.



رسالة الملك محمد الثالث إلى الملك جورج
ملك إنجلترا حول سفارة الصعيدي،
بتاريخ 17 ذي الحجة 1179.

هدايا كان منها السباع والنمور والخيول مع تحف مغربية، وقد عهد إلى السيد الطاهر فنيش بإصلاح عدد من المدافع...

وقد كشف العاهل المغربي للعاهل البريطاني بواسطة التاجر مسعود عمّار أن موقف المغرب المتشدد كان نتيجة لسوء تصرف القنصل الإنجليزي لوجي (Logie) الذي يرغب العاهل في تبديله، وهكذا نجد ملك إنجلترا جورج الثالث يستجيب لطلب ملك المغرب بتاريخ 16 يناير 1783 ويعين السير روجي كورتيس (Roger Curtis) مبعوثاً لدى المملكة المغربية للتفاوض من أجل تجديد معاهدة السلام والتجارة المبرمة بتاريخ 28 يولييه 1760.⁽²¹⁾

لقد استُقبل المبعوث الإنجليزي في الرباط يوم 10 - مايه 1783 وافتتحت المفاوضات التي انتهت بإضافة فصول جديدة للاتفاقية السالفة الذكر...

وبهذه المناسبة تم تعيين جورج باين (George Payne) كقنصل عام بالمغرب حيث زود برسالة من جورج الثالث تحمل تاريخ 28 أبريل 1784 واستقبل من لدن العاهل الذي سلمه رسالة منه إلى جورج الثالث تحمل تاريخ 20 شعبان 1199 = 5 يولييه 1785 حول السفن المغربية الثلاثة التي تصلح في جبل طارق... وقد أصبح القنصل العام الجديد بتاريخ 6 مايه 1787 هوجيمس ماريوماترا (Jams Mario Matra) الذي استقبل من طرف العاهل لتقديم أوراق اعتماده يوم 29 مايه 1787، وبعد بضعة أيام من استقباله زاره محمد الزوين صهر الملك ليفاتحه في شأن الوعود الإنجليزية التي ظلت حبراً على ورق الأمر الذي قد يحمل الجهات المغربية على إعادة نظرها في الاتفاقيات المبرمة مع إنجلترا !

وقد تمت مقابلة ساخنة بين الملك والقنصل ماترا (Matra) يوم 6 يناير 1789 حيث جرى حديث حول العلاقات الثنائية بين البلدين.

(21) ورد في تقرير بعث به كورتيس إلى لندن بتاريخ 19 أبريل 1783..! «وفيما رأيته من هؤلاء الناس خلال معاملتي معهم فإنه ليس من خطأ أكبر من النظر إليهم على أنهم متخلفون... فالمغاربة شعب فطن وحساس فيما يتصل بمكانتهم ويستفهم أن يعاملوا بدون اعتبار..!».

لقد كان محمد الثالث بشعر بمرارة زائدة وهو يسدي لحامية جبل طارق كل المساعدات بينما لا يلاقي منها أي جواب ولا تفاهم... ولا بد أن نشير هنا إلى التصريح الذي صدر عنه بتاريخ 30 محرم 1204 = 20 أكتوبر 1789 والذي يشجب فيه تصرف الحامية البريطانية بل يندد بها...

وقد توفي العاهل المغربي قبل أن يتوصل بجواب من جورج الثالث عن رسالته تلك وعن تصريحه هذا، وهكذا اختفى سيدي محمد بن عبد الله والعلاقات بين المغرب وأنجلترا على ما نرى....

وقد ابتهجت بريطانيا بتنصيب الأمير المولى اليزيد الذي نراه يستقبل القنصل (ماترا) أربع مرات بالرغم من قصر مدة حكمه ! ولقد كتب اليزيد رسالة إلى جورج الثالث منذ 16 شعبان 1204 = 27 أبريل 1790 يؤكد النية في احترام معاهدة السلام والصدقة ويطلب إرسال سفير إنجليزي لتأكيد ذلك...

لقد كانت مطامح اليزيد الرئيسية هي استرجاع مدينة سبتة وتخليصها من اسبانيا، ولذلك نراه يطلب العون من حامية جبل طارق حيث أرسل أحد ضباطه إلى الجبل لمعرفة إمكانية العون وإحضار السلاح المطلوب محاولاً استغلال التوتر الموجود بين اسبانيا وأنجلترا ! لكن أمله لم يتحقق على ما أسلفناه.

المغرب وأنجلترا أيام السلطان مولاي سليمان

وقد توقفت العلاقات، بسبب الظروف التي مرت بها البلاد، إلى سنة 1801، حيث نرى السلطان المولى سليمان يستقبل القنصل (ماترا) في صيف هذا العام حول مسألة تزويد الجبل ومساعدة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط، وقد انتهت المحادثات إلى عقد اتفاقية مغربية إنجليزية بمدينة فاس المحروسة بتاريخ أواخر المحرم 1216 = 14 يونيو 1801⁽²²⁾ رددت صداها

(22) قال الإتحاف في ج 5 : وسيأتي نص المعاهدة السليمانية الجرجية في ترجمة صاحبها إن شاء الله ومن المعلوم أن الجزء الخاص بمولى سليمان لم يطبع لوفاة المؤلف وقد وقفنا على نصها الكامل بالخزانة الحسنية وسنأتي بنصها في «ملاحق» الكتاب.

تقارير البعثات الأجنبية الموجودة في طنجة ورفعت نصها إلى دولها وقد كان
المفاوض فيها من الجانب المغربي الحاج عبد الرحمن أشعاش العامل بشعر تطوان
بينما كان المفاوض من جانب (كريط بریطن) هو الباشدور جيمس ماتره
القنصل بطنجة...

وبمناسبة زيارة العاهل لطنجة بتاريخ 18 جمادى الثانية 1218 =
5 أكتوبر 1803 - في أعقاب الأزمة المغربية الأمريكية، استقبل المولى سليمان
(ماترا) يوم عاشر أكتوبر حيث جرى الحديث حول معونة جبل طارق بالأبقار
والمواشي...

وبعد ذلك استقبل السلطان المولى سليمان جيمس كرين J. Green الذي
خلف ماترا، بمدينة فاس، ووعده بمساعدة جبل طارق والأسطول الإنجليزي،
وقد وجدنا رسالة من مولاي سليمان بعثها من مراكش إلى المستر كرين بتاريخ
28 ربيع الأول 1222 = 5 يونيو 1807 يعده فيها بالزيادة في السوق من
وقتٍ لآخر مذكراً - وهذا مهم - بأن بريطانيا إذا ساعدته في إجلاء الإسبان عن سبتة
وإرجاعها إلى المغرب فإن مساعدته لأنجلترا ستتضاعف في سائر الميادين.

لقد كان السلطان المولى سليمان يتمنى - كما تكشف عنه رسالة والي
طنجة، أن تحاصر بريطانيا سبتة بحراً بينما تقوم الجيوش المغربية بمحاصرة
الشعر المغربي برّاً، ولهذا كان موقفه صلباً مع سفارة نابليون لديه...

وبين أيدينا رسالة رفعها بن عبد السلام السلاوي للقنصل كرين. في
منتصف ربيع الثاني 1225 حوالي 20 مايو 1810 بعد أن نزلت إنجلترا في
مدينة سبتة بقوتها... إن الوزير السلاوي يستغرب من عدم ظهور بادرة من
إنجلترا لمساندة المغرب المحتل. «أي فرصة نجدها مثل هذه لاسترجاع سبتة
وهي في حكمنا وفي بلدنا... إن عليكم أن تُجلو الإسبان عن المدينة بالقوة أو
تتوسطوا لنا معهم ليرحلوا عنها وكل ما يريدونه منا نعطيهم لهم، فإذا لم
تستطيعوا القيام لإجلائهم ولا يقناعهم فارحلوا أنتم عن سبتة واتركونا نحن
وهم!!»

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ وَكَأَنَّهُمْ كَمَا حُكِيَ كَمَا فَوَّضَهُ لَهَا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَلِيِّ

الى الفوتوصو الاخرين الخليلين اما بعد يا هذالك الكتاب كتبت له اليكم فيه ثلاثه منكم ما اريد
 وما بعد قفيلوا واحدا منكم وتجبونا عندها بما يصيبه من فلورينا في امر صبغة بل علموا ان صبغة لنا
 نعوذ الله انما منكم من انتم بسببنا مشرنا والوا اعجبنا ونال اذا الكانت في يد الخليلين كلانها
 في ايدينا ولا يريها في ايدينا وما عندنا كلانها عندنا فانه كذا ذلك ثلاثه اشهر منكم
 انتم انتم بها الباس الرمحكم ولم يبدت ما ينكم انكم غلقتكم منها كما نبعكم عرفنا ان ذلك
 انكم منكم انتم تلاحظون الصبيون وتباشر ونهم ولم تزيها واننا نحن ونها منكم انهم الخوازم
 حيث انكم تلبسونهم وتمس ونهم فلم تزيها وانهم يفسرون لهم الشيا مثل البر انصيم اذا انتم
 يعين احد ارغب عليه ياخذنا ما عندنا وكما شك ان ذلك امر حسن وما ملكتكم مع الناس
 ووجاه عهدكم مع كل من خالفتموه كالمس في الاعيان فيه ضرر من مصلحة انما ابقيت بينكم
 وبين الصبيون كذا الامارات حتى يبدت ان امر ايديكم عن اخنا بسببنا ونسبنا في
 الذي يغلب على الصبيون يبعوننا نحن وكمها كما انه كذا انكم منكم انتم يعلو ونحن انكم
 ملكتموه ما انتم نا امرها الى البر بالوجه الذي يريه من الصبيون بالخير او بالشر
 بله وجبت لجهلها مثل هذه الساعة التي انتم فيها ملك الصبيون ولم يمتنول
 عليها احد ومن حكمتا و في بلدنا بكل من نزل عننا عليها الخراب و نعلاد ولم نعمل
 معه ما افسارنا الله عليه والا ان الكلال الغض في ثلاث منسأ بل انتم ملكتم
 البلاد وصارت تحت فمكم وغلقتكم بانقلوا من بهام الصبيون يتوجه كما عاندا
 بله وتكون البلاد لكم خالصا وما عندكم كلانها عندكم فين انكم الله والامر الثلثة
 اذا ارف لكم عار الصبيون ولم تزيها والامارات عيب ملاهم بل دخلوا في الخبير بيننا
 وبينهم يخبرونهم منها ويكثونها لصبنا الله وكل ما يريه ونه من المالكوكات
 كما عاندا بله مثل النع والشمع والبغ والغنم والذجاج وكل ما هو بالية تصدرا
 نعم الله نعطوه لهم كيف يريه و كذا وتقع اثم منديته غلجينة نجس بها ذولتكم
 ويصل الله ببلادهم احد من مائة بسببنا واذ اننا رجال البرع يدعون من بلادهم
 انهم راني اهلكهم ثمهم ونسلهم والامر الثالث انتم تفقدوا اهل العسول في كذا
 الامر اولم يعلوكم بيه بارطرا عن سببنا وانتم كونا نحن وهم بلانجنا لهم وقتل افضل
 من همتا ابلت اليب كاهدا والامارات مضت وبلتت كما بقى بيننا وبينهم الا الحرب
 عليها اليب افضل من وقت غيب همتا اخنوخكم الله بيننا وبينهم يعلو هو خبير
 الحالكين و به كتب اليكم عن عبيد الله صلوات الله عليهم في شهر ربيع الثاني عام 225

وعندما اضطر القنصل كرين لترك وظيفته عوض بالقنصل جيمس دوكلاص (J. Douglas) لكنه اضطر للعودة لجبل طارق بسبب الطاعون الذي انتشر مرة أخرى... وأتاب عنه أثناء تغيّبه إسحاق ابن صور (Issac Abnsur). وقد حدثت بتاريخ 22 يناير 1821 حادثة عكرت الأجواء بعض الشيء أيام كان قنصل السلطان المولى سليمان بجبل طارق هو السيد أحمد بن عمر بجة.⁽²³⁾

وفي مراسلة بتاريخ 26 أبريل 1822 سجل دوكلاص انطباعاته عن السلطان مولاي سليمان قائلاً : إنه إنسان رقيق الحاشية وعلى درجة كبيرة من الأناقة، ويقول المغاربة : إنه يصلح أمبراطوراً في السماء أكثر مما يصلح حاكماً لهذه الأرض حيث ينبغي عليه أن يمارس حكمها بدرجة من القسوة...».

وقد أدرك السلطان أجله بمراكش يوم 13 ربيع الأول 1238 = 28 نونبر 1822 حيث عوضه بطلب منه ابن أخيه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام الذي امتد حكمه زهاء سبع وثلاثين سنة.

وقد استقبل القنصل البريطاني من طرف السلطان الجديد بمدينة فاس أواخر سنة 1823 حيث حمل إليه رسالة من الملك جورج الرابع مع عددٍ من الهدايا.

وقد كان موضوع المحادثات اقتراحه بتعديل معاهدة أواخر المحرم 1216 = 14 يونيو 1801 التي أبرمت في عهد السلطان المولى سليمان حيث حصلت تغييرات الفصل السابع الثامن بتاريخ 18 جمادى الأولى 1239 = 19 يناير 1824، وحمل القنصل العام جواباً من الملك المغربي إلى جورج الرابع أورد نصه النقيب ابن زيدان في كتابه الاتحاف.⁽²⁴⁾

(23) هكذا تسميه المصادر البريطانية P.G. Rogers : A History of Anglo - Moroccan Relations To - 1900 p. 134 - 204 - 140 - 37 - ويحتفظ الأرشيف بعدد من المراسلات حول هذا القنصل المغربي... وبخاصة بعد وفاته حيث نجد رسالة من السلطان المولى عبد الرحمن إلى جورج الرابع يطالب بممتلكات السيد أحمد بجة، وفي رسالة بتاريخ 7 يولييه 1826 إلى الوزير الطالب بن جلول نجد دوكلاص يخبر بما آلت إليه مخلفات القنصل المغربي محمد داود : تاريخ تطوان 8 ر 39. (24) الاتحاف 5 ر 185.

وقد حدث في أيام السلطان المولى عبد الرحمن أن طمحت نفس العاهل إلى إحياء الأسطول المغربي الذي كان عمه السلطان المولى سليمان أعرض عنه بعد الأزمة الأمريكية المغربية.

وهكذا تجددت في عهد مولاي عبد الرحمن بعض المراكب واقتني بعض آخر بيد أن هذه المبادرة تبعتها احتكاكات متوالية بين الرؤساء المغاربة وبين بعض السفن الأجنبية، وقد كانت المراكب الإنجليزية ضمن المراكب التي تعرضت للتفتيش الأمر الذي سبب بعض التوتر الذي لم يعرف القنصل الإنجليزي كيف يطوقه !

وقد تم تعيين القنصل الإنجليزي إدوارد دريموندي (Edward Drumond Hay) الذي وصل إلى طنجة يوم 25 غشت 1829 حيث تم استقباله من طرف السلطان المولى عبد الرحمن يوم 20 جمادى الثانية 1245 = 17 دجنبر بمراكش، حيث أعرب عن الرغبة في الصفح عن الماضي والعودة إلى التعاون بين البلدين.

وقد تحدث دريموندي مع الوزير الصدر السيد محمد بن ادريس العمراوي وبقي بمراكش إلى أن ودع العاهل يوم 6 يناير 1930 وهو يحمل رسالة ملكية إلى جورج الرابع...



علاقات المملكة المغربية مع البلاد المنخفضة في بداية الدولة العلوية

- المعاهدة الأولى بين المغرب وهولندا أيام مولاي اسماعيل.
- حضور السفارة المغربية أمسية في بلاط لاهاي.
- رسالة عن السلطانة خنائة إلى الولايات العامة.
- القرصلة ومساهمتها في الدفع بالعلاقات!!
- تجديد الاتفاقية المغربية الهولندية...
- الدوك دوريبيردا يلتجئ إلى المغرب.
- لوحة رخامية على باب قسبة أكادير نقشت عليها كلمات بالفلامنكية...
- دعوة العاهل لتعمير الصويرة.
- توتر في العلاقات تعقبه معاهدة صلح!
- السلطان مولاي سليمان يقرر إرسال سفيره إلى لاهاي.

علاقات المملكة المغربية مع البلاد المنخفضة على عهد الدولة العلوية القسم الأول

واستمراراً في الخطّ الذي كانت عليه العلاقات المغربية الهولندية أيام دولة السعديين قامت الولايات العامة بإجراء اتصالاتها الأولى منذ تربع السلطان المولى رشيد ثاني ملوك الدولة العلوية...⁽¹⁾

ولكن العلاقات لم تلبث أن أخذت طريقها بعد ما جلس السلطان المولى اسماعيل على كرسيّ الحكم حيث نجد بتاريخ 13 ذي الحجة 1093 = 13 دجنبر 1682 مشروعاً لاتفاقية مغربية هولندية تتألف من واحد وعشرين فصلاً تدارسها الجانبان...

وقد توج المشروع بطابع السلطان المولى اسماعيل، وجاء في صدره ما يلي :

«الحمد لله، تقييد شروطٍ تقع الهدنة عليها بين الإمام الفخر، المقلد بسيف العز والنصر، السلطان الأفخم ملك العرب والعجم مولانا أمير المومنين وحامل راية المجاهدين في سبيل رب العالمين ذي المجد الأثيل، والحسب الأصيل أبي الفداء مولانا اسماعيل أيده الله تعالى بالنصر والتمكين وأبقى الخلافة فيه وفي عقبه إلى يوم الدين، وبين عظيم البلاد الأفلمنكية البرينس دَرَنُج...»

(1) Colonel Justinard : Quelques Documents inédits sur le Maroc 1670-1680 Hesp. 1950 p. 97-99

وقد جاء في ختامها هذه العبارات التي لها دلالتها : «إن هذه الشروط التي يعقد الصلح عليها ويتم بها هي بموافقتنا وعن أذننا ورأينا ووافق رعيتنا... وعقدناها بنيتنا وعن طيب أنفسنا ورضيناها وقبلناها على حسن مرادنا وأنزلنا عليها طابعنا المعروف لنا».

وقد صدر ظهير من السلطان المولى اسماعيل بتاريخ 6 شعبان 1094 = 31 يولييه باعتماد الخديم يوسف طوليدانو ليبلغ هولاندا مقترحات العاهل وهو يكلف في نفس الظهير الخديم يوسف مميران بنتيجة الاتصال.

وجواباً عن سفارة السلطان المولى اسماعيل إلى هولاندا بعثت هذه بالسفير خوان سميث الذي كان مصحوباً بالتاجرين يوسف مشكيطة وحاييم طوليدانو، ومعهم ستمائة بندقية وستمائة قنطار من البارود وهذا ما تكشف عنه رسالة للمولى اسماعيل إلى «كافة الاصطادون» وهي بتاريخ 10 رمضان 1095 = 21 غشت 1684 التي طمّن فيها هولاندا بأن شروط المهادنة في البحر بين الجانبين مضمونة وهو يطلب بالمزيد من البنادق والبارود، وباستيراد الأدوات اللازمة للأسطول، وتتخلص الرسالة لتأكيد التوصية بالمندوب المغربي في لاهي يوسف طوليدانو(2)

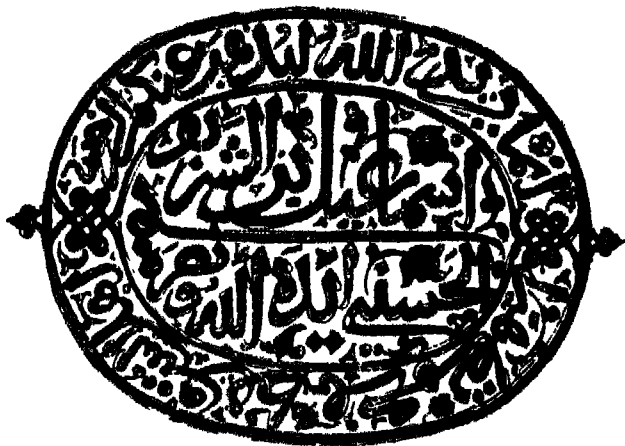
وكما أشارت إليه الرسالة المذكورة، فقد أصبحت الصيغة النهائية للاتفاقية المغربية الهولندية التي تحمل تاريخ 10 رمضان 1095 = 21 غشت 1684 والتي تنص في أبرز ماتنص عليه على إدلاء كل من بحارة الطرفين للآخر (بالباسبورط)...

ويظهر أن السلطان المولى اسماعيل كان مرتاحاً من نتائج سفارته إلى هولاندا التي أرضت على ما رأينا مطالبه بواسطة السفارة الهولندية...

(2) حصلنا على الوثيقة من أرشيف هولاندا بواسطة السيدة هيلدا حرم السفير الهولندي في بغداد : رونارديل دولفالبيط (De Lavalette) وهي تحمل رقم 24 - 12594 وقد وقفت عليها في هولاندا أثناء زيارتي بتاريخ 31 - 7 - 1975. ريجيكس أرشيف (Rijksarchief).

الحمد لله وتعالى وتعالى

من عند الله تعالى وتعالى وتعالى باله والمتوكل على الله امين القوم من الجامع في سبيل العالين
اشتهر على الفهم بالحسن ايضاً الله وتعالى وتعالى



فمشهوراً بهذا الشراء لله تعالى فد بعثنا لهم مع خديمتنا الذي هو يوسف طليحاً من الجار طليحاً من
أيدى بعضنا الذي كان يعلمنا على يد خديمتنا الذي هو يوسف طليحاً من الجار طليحاً من
وقال لنا انكم توفتمهم في ذلك بعض ما لا يلبس بكمه والى ان تحتك سمع في ذلك خرمنا
يوسف ميسراً عفاً ما تمكركم الضلع على العود الذي عفا ثم علم أهل الجاهل واشتروا
بحامله خبي أو ميكنوا، فيما مؤننا، بفضه منكم فما جلاغي، ا اجل بالصرم ثم القزم
ولنا يا خديتم اهنتهم، ا ولا تخرج وشرك العفد ما قيم علم يد ميناً يوسف طليحاً من
وقوال الخديمتنا بالكلية معكم فلهذا مما وخديمتنا في العاد هم من شعبان المبارك
سنة اربع وتسعين وال...

استدراك خبي ارتقاء الله يصلح مع خاملها ثلاثة من الان هنري

رسالة من السلطان المولى اسماعيل إلى ولاية هولندا يعتمد فيها يوسف طليحان الذي عهد إليه بالمفاوضات
- وقد صحبه ثلاثة من الأسرى الذين أفرج عنهم السلطان المولى اسماعيل، وهي بتاريخ 6 شعبان 1094 =

ويدلّ على الجو الممتاز الذي كانت تعيشه العلاقات بين المملكة المغربية والولايات العامة على عهد السلطان مولاي إسماعيل دعوة البعثة المغربية - لحضور أمسية كالا - من لدن الأميرة زوجة أمير أورنج، وابنة كيوم الثالث الذي أصبح ملكاً لأنجلترا، كانت البعثة تتألف من أربعة دبلوماسيين أرسلهم السلطان المذكور، وقد جرت هذه الأمسية في قصر «ويس طن بوش (HUIS TEN BOSCH) - دار الغسابة، القصر القريب من لاهي حيث تقيم اليوم الملكة جوليانة عاهلة البلاد المنخفضة.⁽³⁾

وقد وجدنا رسالة مسهبة للسلطان مولاي إسماعيل بتاريخ 10 صفر 1097 = 6 يناير 1686 توجّه بها إلى الولايات القائد حسن أشكيرد حول صفقة أسلحة اشتراها المغرب لكنها لم توافق الغرض المطلوب، وتتحدث الرسالة عن السفينة الفلامنكية التي استولى عليها الرئيس عليّ حَكَم والتي أعادها العاهل إلى الولايات اعتباراً للصلوات التي تجمع بين الطرفين...

كذلك نجد رسالة منه بتاريخ 27 جمادى الأولى 1099 = 30 مارس 1688 تخبر بوصول جواب الولايات بواسطة حسن أشكيرد الذي نقل إلى العاهل عواطف الحكام، وهو يعد الفلامنك بإبرام اتفاقية أخرى متى ما استجابت الولايات لطلب العاهل المغربي.

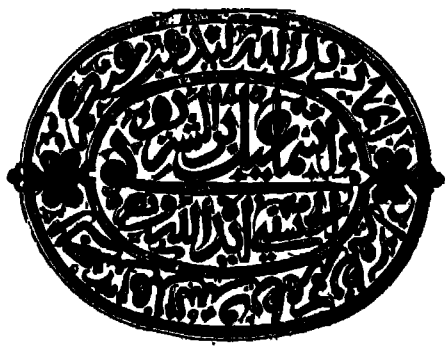
وتأتي رسالة أخرى بتاريخ 15 ذي القعدة 1101 = 20 غشت 1690 يهدد فيها السلطان مولاي إسماعيل بقطع الهدنة! «إنّ ما ورد علينا من العدة مع المعلم ابن ديبة التطواني وحسن أشكيرد الرباطي لا خير فيها، لقد تكسّرت سريعاً... يضاف إلى هذا أنكم لم تبعثوا لنا بالأسرى المسلمين الذين عندكم...

وقد ورد علينا قنصلكم جوان سميت يلتمس التريّت وإبقاء الهدنة، وها نحن بعثنا لكم بخديمتنا حاييم طوليدانو...

(3) قدم نسخة اللوحة السيد سطرينجير سفير البلاد المنخفضة بالرباط إلى السيد عبد الرحمن بادو كاتب الدولة للشؤون الخارجية يوم 2 يونيو 1979 بمناسبة وداعه (MAPD) 2 Juin 27 المجلد الأول ص 215.

في
 يوم
 الاثنين
 في
 شهر
 ربيع
 الثاني
 سنة
 ١١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي جعلنا من آل أبي طالب
 من عباده الذين يحبونهم والذين هم
 أرواحنا المكلبة وهم أعلم بما ننهى
 الجاهلون أن نكفروا بالله واليوم
 الآخر



الى جده
 بعد السلام على من اتبع الهدى وسلامه على من اتبع الحق وامتنوا
 اننا كنا قبل ما جاءكم الساعة نقيمنا على فنسوة جوان سمعنا واقتضينا له امر المهادنة التي كان نبت بيتنا
 وبينكم وخرجت حينئذ سجوننا الجملة بة كنعن ما الله متم ما نرى في البحر قال النبي فيها ان الله وحقيقه
 بسبعين سنة للعلمك موسوعة بالسلح وفيها ستة عشر نحر انيا باخرت ما ولتي بها الى ان دخلت في بيتك
 اشعيرة الحيو كحة يستلها الحمية الحق كحة بالعلم المستقر ما جاءه اننا خرمي دارنا العلية بالله الذي
 قديم كسلنا وانتم من الزمير اميم ميم ان واشتكيك علينا ورفقا من حيلنا منا الحق قوسه والله
 فضاية الرغبنة ان شرد الشيعنة المنكورة على ان يدما بفضيلنا رغبنا ما في ذلك ووردنا ناسا قسلي
 انما ما عتق من يبيع على احتون عليه من تطري ويسلح ولم يضع لهم حتمنا شيئا ولم نابعثنا نخرنا
 في الفين انتم الادل وحديث ما الحبول ما الملهاب حبيد وانتم في الله كاذبا كذالما جاءه واذ فانه ان
 يفرح الى بلادكم وكنت الله اليكم مما في غرضنا وجعلنا الله لجالوا في المهادنة فذكر ان في قلب ربتنا
 وبالسلمة ان شيا الله من غيركم وان جاءه فاشاكر الصنيعكم معه متمثلين ما يبرك من اننا فاضل يجمع ما تضمنه
 من اغراضنا مما لكم جالنا العيل بالله انما لم يرضكم وما من قواه في ذلك عن انكم من ربي فتم لنا مقرون منا
 انتم تقولون فينا ما كنعنه واستماعكم فضاء اغراضنا لا من الله قسلي تافوا قسلي وانتم السلام
 اوائل ربيع الثاني سنة اثنى ومائة وال

وفي هذا الموضوع أيضا وجدنا رسالة من السلطان المولى إسماعيل إلى ديوان الفلامنك بتاريخ أوائل الثاني 1102 = 12 يناير 1690 حول توسيط حاييم طوليدانو وابن عمه إبراهيم ميمران لتحرير السفينة الفلامنكية الأمر الذي استجاب له العاهل المغربي الذي ينتظر نتيجة هذه المبادرة من الديوان.

وإلى جانب عدد من الرسائل المحررة - بصفة استثنائية - باللغة الإسبانية تتصل بحوادث القرصنة ينتقل بنا الأرشيف الوطني إلى أيام السلطان مولاي عبد الله حيث نجد رسالة إلى الولايات العامة بتاريخ 22 ذي القعدة 1141 = 29 يولييه 1729 يخبر باعتماد سفيره التاجر إسحاق مشكيطة.

ومن الظريف أن نجد رسالة مرفوعة عن الأميرة خناثة بنت بكار إلى الولايات العامة بنفس التاريخ 22 ذي القعدة 1141 = 19 يولييه 1729 حول مهمة السفير السابق وكأنها تأكيد من «لالة سيدنا نصره الله وأدام وجوده».

ونقف بعد هذا بتاريخ 23 محرم 1142 = 18 غشت 1729 على التوجيهات التي بعثها العاهل المغربي إلى الباشاطور الرايس الحاج عبد القادر بريس السلوى فيما يتصل بالعلاقات المغربية الهولندية.

ثم نجد رسالة بتاريخ 8 شوال 1142 = 26 أبريل 1730 حول تكليف بريس ورفيقه الذمى عازر بالتوجه إلى الولايات لشراء بعض المعدات الحربية....

وقد وقفت على الترجمة الكاملة للاتفاقية المغربية الهولندية التي تتألف من خمسة عشر فصلاً وهي بتاريخ 8 نونبر 1730 = 27 ربيع الثاني 1143 بالرغم من أن ابن زيدان لم يجعل لها تاريخاً⁽⁴⁾.

والفرق بين ما عثرنا عليه في لاهاي وبين ما يوجد عند ابن زيدان أن النص الهولندي وقعه الحاج عبد القادر بن المحمّد بريس بتحفظ هكذا : إذا رضى سيدنا نصره الله، بينما النص العربي في «الإتحاف» يذكر في المقدمة أن وكيل

(4) الإتحاف 4، ص 484.



رسالة من السلطان مولاي عبد الله إلى الولايات العامة بتاريخ، 22 ذي القعدة 1141 = 19 يونيو 1729.

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد وآله

المر كذا جة الاصطاد ورا البلاء من المثلح عديس ان تبع
 الهدى ارملة بعد فدا علم وارا اخوانكم بكو اعلين
 وتمر غولايس اريدينيا وهديو الكمال معتاد جدية اخوانك
 ورا القدرع البيا بهديكم بتشعبنا منكم واذنا بعد
 ذالك لذينا الفناجم السملو مشككم اريفرع اليكم
 وشكلم معكم لاشنا تغنا به وبعثنا له الريحه مقيفوا به
 ميا يقول لكم به جميع حوايجنا ورا الهدية والهدية
 وكل موافق مع البيا لا يكون الا فلا طهره وبعي به املر الله
 ويرجع بامان الله والسلا وتب في الثلثة والعشوي
 من معدية الحمير مع واطرو اربعير مودة والعب

الحمد لله
صل الله على سيدنا محمد وآله

الركابة الاصل، والعلامة في السماع عمرو وليتبع الهوى
انما بغربا عمرا ان اخوانك بكرام عمرو ولذا اصلهم
واثرهم خمسة وتمر غرابا يبريد وقلب ارا (الله) معه
بجبرية اخوانك وبفرد مع الينا بصريك فتشبعنا
فهم واذا نأخذ اذ لا لرينا اننا جرابهم وشميك
ان يفرح اليك ويكلم معك لاننا تفننا به وبقتناه ليد
فتي خرابه فيا بينك في جميع حرا يمنا و
الهدية والبغية وثلث فرم مع الينا لا يكون (الله) فاطمة
ويحى بامان الله ويرجع بامان الله (الله) ولسلكنا
ب (الله) والعترة من فعة الحرام على واحر واربع ودية (الله)
وكتنب عن اذن السيد لالات بيزك عمه (الله)
واداع وجودنا لعلنا لعلنا خنات بنتا بكر فان (الله)

الملك هو القائد محمد لوقاش بينما كان وكيلا هولاندا هما الأخوان : لويس وفرانيسكو باتلر (Butler).

وكتب بخط يده الفلامنغ باليد الختام
عبد الفاهم بن الفهم بن بيسر وفقه الله
أعني
أخا رخر سيدنا نصره زنه

وقد صحب نصّ المعاهدة خطاباً من السفير بريس يفسّر فيه البواعث التي دفعت بالمغرب لإبرام هذه الاتفاقية بعد أن طالّت المفاوضات حولها...
وقد سجل التاريخ المغربي اسم شخصيّة وردت من لاهاي على المغرب بعد جلوس السلطان المولى عبد الله ابن اسماعيل على كرسي الحكم.

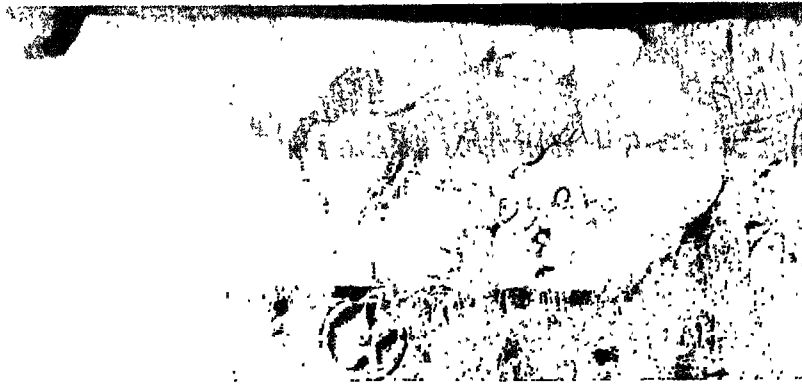
ويتعلق الأمر بالدوك دو ريبيردا (DE RIPERDA) الذي كان من رجال السياسة والاقتصاد في عصره، والذي طلب إلى أحد سفرائنا في لاهاي أن يتوسط له لدى السلطان المولى عبد الله من أجل الالتجاء إلى المغرب والبقاء على دينه والاحتفاظ بحريته قُرب أمواله... الأمر الذي وافق عليه المولى عبد الله ، الذي عهد إليه في أواخر ولايته الأولى بمهمة سرية لدى تونس أيام الباي حسين حيث وصلها في المحرم 1147 = يونيو 1734 على أن يعود للمغرب فيدركه أجله بمدينة تطوان.(5)



الدوك دي ريبيردا (El Duque de Riporda)
من أكابر رجال السياسة والاقتصاد في عصره طلب من أحد سفرائنا في لاهاي أن يتوسط له لدى السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل من أجل الالتجاء إلى المغرب فسوعد على ذلك، ولم يلبث أن عهد إليه بمهمة سرية من لندن سلطان المغرب لدى تونس التي وصلها في يونيو 1734 = محرم 1147 وقد أدركه أجله في تطوان.

(5) داود : تاريخ تطوان III، 37.

وتتجمد العلاقات بين المغرب وهولاندا أثناء فترة التنافس على الحكم إلى أن يعود السلطان المولى عبد الله لكرسي الحكم في ولايته الرابعة، حيث نجد أثراً لوجود خبراء هولانديين حوالي سنة 1159 = 1746 بحصن المنكب على باب أكادير (إيفير)، ويتعلق الأمر بالرخامة التي توجد إلى الآن على الباب تحمل ذلك التاريخ المهم في الحياة السياسية والدبلوماسية للمغرب... لقد نقش على تلك الرخامة من جهة اليمين : (الحمد لله، على خاطر سيدنا المنصور بالله) بينما نقش على جهة اليسار هذه الكلمات : Vreest Godende Eert Den (6).Konig



رخامة باب قسبة أكادير

وبالإضافة إلى هذا نجد سفارة هامة من هولاندا عام 1166 = أواخر عام 1752 برئاسة الأخوين الباشادور فرانسيسكو، ولويس بوتليير، (Butler) وردا على العاهل يحملان إليه رسالة الولايات مع فدية الأسرى الهولانديين... وكانت هذه مناسبة لعقد اتفاقية 14 محرم 1166 = 21 نونبر 1752.

وهو الأمر الذي تكشف عنه رسالة بتاريخ 28 محرم 1166 = 5 دجنبر 1752 بعثها السلطان المولى عبد الله إلى ليصطادوس السبعة ديوان الفلامنك المعظمين في جنسهم، تحمل بعد الحمدلة والتّصليّة (عبد الله كان الله له)

(6) د. التازي : أكادير إيفير من خلال التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ندوة مدينة أكادير الكبرى 10 - 12 أبريل 1986 جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير.

وتختتم بهذه العبارة : وما طلبتموه من المهادنة فيها نحن معكم على عهد سيدنا
الوالد قدس الله روحه في الجنة».(7)

وقد أورد صاحب الإتحاف⁽⁸⁾ نص الاتفاقية 14 محرم 1166 = 21 نونبر
1752 كاملاً.

وقد وصلت في شهر شوال 1167 - يولييه، غشت 1754 رسالة من الولايات
العامة مرفوعة بنص الاتفاقية المغربية الهولندية بعد أن صادقت عليها الولايات
إضافة إلى طائفة من الهدايا المرفوعة إلى السلطان المولى عبد الله...

وجواباً عن هذا كتب ملك المغرب برسالتين اثنتين بتاريخ 2 رجب
1166 = 14 أبريل 1755 إحداهما مرفوعة إلى الاصطادوس ديوان الفلامنك
يخبر بأنه بأنه توصل بالبراءة (الرسالة) صحبة الهدية بواسطة القنصل
الهولندي المقيم بتطوان ديميتري⁽⁹⁾ وهو يشكر الولايات العامة على مبادرتها.
أما الرسالة الثانية فكانت موجهة إلى القنصل المذكور نفسه وتحمل نفس
التاريخ، يخبره بتوصله بخطابه مع رسالة وهدية ديوان الولايات العامة... وقد
وصل الجميع بواسطة أحمد المؤذن التطواني الذي أنفذه للقائد محمد لويس
(لوقاش)، ويطلب إليه العاهل بهذه المناسبة أن يعمل على أن يرسل للعاهل ألف
قذيفة تكون من العيار الذي يتناسب مع المدفعين اللذين بعثت بهما الولايات

☆☆☆

ولم يمض وقت قليل على جلوس الملك محمد الثالث على العرش حتى
وجدناه يتابع الاتصال مع أصدقاء أسلافه : حكام الولايات العامة، وهكذا وجدنا
رسالة محررة بمكناسة الزيتون بتاريخ أواخر صفر 1172 = أواخر أكتوبر 1758
وتتضمن تأكيد المودة والإخبار بتحرير سفينة فلامنكية من لدن المجاهدين
المغاربة بمجرد ما علموا أن ركابها يحملون «باص بَرط» فلامنكياً.. وهو يخبر
بإرسال سفيره محمد الرزيني التطواني مصحوباً بالحاج أحمد الشفشاوني، وقد

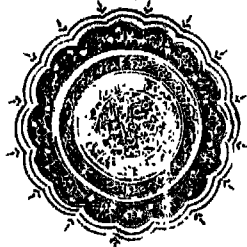
(7) الاستقصا ج 7، ص 184 - 185.

(8) الإتحاف 4 ر 484.

(9) كان ديميتري كوليتي يعمل صحبة أخيه جورج باتيفياتي - وهما يونانيان في الأصل - كوسانط
بين الدول والمغرب، من حكاية أسير سويدي عام 1756 ص 14.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعل العلم نوراً يضيء القلب ويهدي السبيل
والعلم نوراً يضيء القلب ويهدي السبيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعل العلم نوراً يضيء القلب ويهدي السبيل
والعلم نوراً يضيء القلب ويهدي السبيل



الى كافة جماعة الاضواء في افكارهم من بيان اعلاننا وانسولين في نورهم في الوقت سلام مراتبهم
الذين انما يفرحوا بانكم تفرحون عندي على سائر اقسام اقطاركم الذين اضعفتم بيئتنا وبينتم الثمالة في ولايتكم في
عشوة غيركم فمنهم من لا يعلم لكم اهل منكم في بيئتنا بل قد تغفلوا عن كونكم في بيئتنا اسماء الله وانتم انكم
باواهبنا العلية فوهموا انفسكم على انتم من حيث لا تعلمون انكم على من اخرجنا من قباصتنا التي هي في قسم
في كبدنا في انعام الاخر في بيئتنا وكما به ما كملنا انبا في اتي بقصدنا بنا على ابناءنا في اقطارهم في اقطارهم
بما هم في بيئتنا انتسب لبعلاستنا بما وانا عنده ومن هنا بحجة اننا سلبنا من ابيكم وتنتسبنا عنده امامنا
وقد فتحنا وما نرا وصيبتا جميع رؤسنا بنا للتقريب بيننا في بيئتنا اننا علمنا في كل مرة في روي في بيئتنا
بغير وعونه وانتم رؤسنا في بيئتنا كل من اسما في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
من اهل بيئتنا الذين في بيئتنا اننا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
على اننا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
من اهل بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
عسيرة في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
ويشترى ما يرضون في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
على اننا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
بالله وانتم اسما في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
فلما نتنا بعضنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
لا يفرحوا اننا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
لكم بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
العلم المشهور اننا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا
في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا في بيئتنا

أهدى العاهل المغربي ثلاثة من الأسود واثنين من النمر «لغرابتها في تلك البلاد»...

وبعد رسالة أخرى في نفس التاريخ تؤكد مهمة الرزيني نجد رسالة بتاريخ 8 ذي القعدة 1176 = 22 ماية 1763 تعيين يعقوب ولد ابراهيم بن يدير الفلامنكي واسطة بين الدولتين مكان والده... ثم نجد أخرى بتاريخ 6 رجب 1178 = 30 دجنبر 1764 تحمل طابع السلطان سيدي محمد وهي موجهة للرايس الفلامنكي الوارد على مرسى تطوان...

ثم تأتي رسالة تحمل الطابع الكبير وهي تخبر بإنشاء مرسى (الصويرة) وتدعو لتعميره من لدن الولايات العامة، والرسالة تحمل تاريخ سادس عشر ربيع الثاني 1179 = 2 أكتوبر 1765.

وبعد رسالة من السفير الرزيني بتاريخ 19 جمادى الثانية 1180 = 22 نونبر 1766 نجد خطاباً ملكياً بتاريخ 20 محرم 1183 = 26 ماية 1769 كتب بحاضرة مراكش وهو يتصل بسفارة الرزيني كما أنه يتضمن عتاباً للولايات على إيثارها «للغير» ببعض المعدات حسبما رأى ذلك السفير أحمد الغزال حين توجه للجزائر...⁽¹⁰⁾

ويتحدث أبو القاسم الزباني عن اتصال تم بين قنصل الفلامنك من جهة وبين العاهل سيدي محمد بن عبد الله من جهة أخرى في قصره بدار الديبغ⁽¹¹⁾ من مدينة فاس حيث أثيرت قصة السلاح المزيف⁽¹²⁾.

وقد أرسلت الأراضي المنخفضة إلى جبل طارق قسماً من أسطولها قام باعتراض المياه المغربية ولكن دون أن يقوم بأي عملٍ جدّي،⁽¹³⁾ وقد اعتبر

(10) هوست : تاريخ محمد بن عبد الله ص 59/43.

(11) الترجمانة الكبرى، تحقيق وتعليق عبد الكريم الفيلاي، نشر وزارة الأنباء، المغرب، مطبعة فضالة (المحمدية) 1387 = 1967، ص 157.

(12) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 1920.

(13) Croisières et Négociations de mr de Kinsbergen Amsterdam

هذا وأغتنم هذه الفرصة لأشكر سعادة السفير المغربي الأستاذ الحسن الفاسي سفير المغرب في لاهي، كما أشكر الزميل الأستاذ صلوت (SLOT).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَصَافِيكُمُ اللَّهُ الْغَالِبُ
 تَحْرِيماً وَمَا كُنَّا بِمُؤْمِنِيكُمْ بِمَكْرًا وَمَا كُنَّا بِمُؤْمِنِيكُمْ بِمَكْرًا وَمَا كُنَّا بِمُؤْمِنِيكُمْ بِمَكْرًا



التي هي خاصة به خكاة ومراحمته وتواضعه على من اتبع الهدى انما بقصد بيان انشاء وتوضيح
 وزيد على حضيته العلية صفا جليل العبد لله في وقت تليفينه مما يجنبه في ملنا ما اتى به صنع مستي
 العبد يفتقره كان ضيق حالنا انما سلمنا انما نرجو من الله من الحاج من الزيادة
 من غير الامور الهه انما نداءه بغضابنا من بلاه كح وتعلمت صوتها ما لله عمل انكم تفخرون باله
 للغير وتبلغونه نرحم في قراكم حشما رة ان اولنا كما تبنا انما اخبر الغم انما حتر توجبه لجزاها بانسنا
 انما بعكالي انما ساري وقد شانه قراكم من سوا جزاها كما هامة انما انعمه الكثير من السبعين
 مع ما انما انما من تمارين وتواضع وباروه وغير ذلك كما تقولوا وما في حكمة وان ينواكم حنا ودية ما
 قسمتم وريه في ذلك انما يكون ما نحن ما نحن انما وقع انما يبعكم بسيفينكم للخدمة وانما هاهنا في صرايح
 الانجاس الطاهر وانشاء وركب العبد لعقله وتبيينه ونفس معكم على الخلق وانما هاهنا في صرايح
 بكتبه من حاضره قراكم كما جعلها الله في العشر من المخرج انما صام ثلاثة وما يفسر وما يفوقها

المغاربة السفن الحربية حوالي ثغورهم على أنّها أشباح تتحرك على ما يرويه هوست !

☆ ☆ ☆

ويبدو أن هذه الاحتكاكات التي يتحدث عنها كلٌّ من الكاتب المغربي الزّياني والقنصل الدانماركي هوست هي التي تشير إليها رسالة من العاهل المغربي إلى ديوان الفلامنك بتاريخ 11 ربيع الثاني 1187 = 2 يولييه 1773 وكان مما جاء فيها :

«... ولا يدخلكم رعب من سفننا الجهادية التي سمعتم أنها متوجهة لناحيتم فإنه لا ضرر يلحقكم من ذلك، ومن ذكر لكم أنا نريد بكم سوءاً فقد كذب فلا تثقوا إلا بما تسمعه من جنابنا الأسمى...»

ولم تلبث العلاقات أن عادت إلى حالتها الطبيعية حيث وجدنا رسالة من العاهل المغربي إلى أميرال البحرية الفلامنكية دانييل بيشوط (P. PICHOT) تخبر بإرضاء الرغبة في الصلح التي أعرب عنها كينز بيركان (KINSBERGEN)، يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام 1191 = (29 يونيو 1777). لقد كانت الاتفاقية تجديداً للعقد المبرم بين الولايات العامة والسلطان مولاي عبد الله بتاريخ 14 محرم 1166 = 21 نونبر 1752 وقد سلف الحديث عنه.

وقد تم اتفاق جديد بين المملكة المغربية وهولاندا بتاريخ 7 شعبان 1191 = 10 شتنبر 1777 يحتوي على خمسة فصول تتناول الفصول الأربعة الأولى منها تحرير الأسرى بينما يمنع الفصل الخامس تحريم أسر السفن المحملة بالحبوب الموجهة إلى «قوم جائعين». إن النبي ﷺ يقول : في كلّ ذي كبد حراء أجر...

وبين أيدينا رسالة بتاريخ 8 ربيع الثاني 1198 = 1 مارس 1784 تتحدث عن مهمة السفير الطالب عمر أيوب بوسدره، وعن المواصفات المطلوبة لبعض أنواع السلاح.

وبين أيدينا رسالة بتاريخ 8 ربيع الثاني 1198 = 1 مارس 1784 تتحدث عن مهمة السفير الطالب عمر أيوب بوسدرة، وعن المواصفات المطلوبة لبعض أنواع السلاح.

ومن الطريف أن يقف المرء على الجرد الطويل العريض بمختلف للهدايا التي توجه بها الفلامنك للعاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله وفيها أنواع غريبة...

ويسجل تاريخ 20 ربيع الثاني 1200 = 20 يبرابر 1786 مرسوماً ملكياً يسلم للقنصل الفلامنك بطنجة يتعرف منه أن العاهل المغربي أنعم عليه بالدار التي سكنها الفلامنك أول ما وصلوا طنجة عوضاً عن دارهم بثغر العرائش...

كما يسجل تاريخ 25 ربيع الثاني 1200 = 25 يبرابر 1786 رسالة أبلغت الولايات عن طريق الطالب عمر أيوب السالف الذكر تتحدث عن فتح الولايات العامة احتكار التجارة بمرسى العرائش.

وتستمر العلاقات بصفة جيدة مع الفلامنك على ما نلاحظه في التعليمات الملكية الموجهة إلى عمر بوسدرة من جهة والمتبادلة بين هذا وقنصل الولايات العامة من جهة أخرى...

وقد سجل تاريخ 25 من ذي القعدة عام 1202 = 27 غشت 1788 رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى كافة الاصطادوس يخبرهم بأنه توصل بكتابهم صحبة السفير هرمان وأنه معهم «المهادنة والصلح التامين»⁽¹⁴⁾

وبعد جلوس السلطان مولاي يزيد على العرش وجدناه يجدد مع الفلامنك العلاقات التي كانت مع والده وذلك عندما استقبل القنصل الفلامنكي بلونت...

وقد وقفنا على الرسالة التي تحمل تاريخ 18 ذي الحجة 1204 = 29 غشت 1790.

(14) هوست : محمد بن عبد الله ص 127 - 128.

ومن الطريف أن يقف المرء على الجرد الطويل العريض بمختلف للهدايا التي توجه بها الفلامنك للعاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله وفيها أنواع غريبة...

ويسجل تاريخ 20 ربيع الثاني 1200 = 20 يبرابر 1786 مرسوماً ملكياً يسلم للقنصل الفلامنك بطنجة يتعرف منه أن العاهل المغربي أنعم عليه بالدار التي سكنها الفلامنك أول ما وصلوا طنجة عوضاً عن دارهم بثغر العرائش...

كما يسجل تاريخ 25 ربيع الثاني 1200 = 25 يبرابر 1786 رسالة أبلغت الولايات عن طريق الطالب عمر أيوب السالف الذكر تتحدث عن فتح الولايات العامة احتكار التجارة بمرسى العرائش.

وتستمر العلاقات بصفة جيدة مع الفلامنك على ما نلاحظه في التعليمات الملكية الموجهة إلى عمر بوسدره من جهة والمتبادلة بين هذا وقنصل الولايات العامة من جهة أخرى...

وقد سجل تاريخ 25 من ذي القعدة عام 1202 = 27 غشت 1788 رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى كافة الاصطادوس يخبرهم بأنه توصل بكتابتهم صحبة السفير هرمان وأنه معهم «المهادنة والصلح التامين»⁽¹⁴⁾

وبعد جلوس السلطان مولاي يزيد على العرش وجدناه يجدد مع الفلامنك العلاقات التي كانت مع والده وذلك عندما استقبل القنصل الفلامنكي بلونت...

وقد وقفنا على الرسالة التي تحمل تاريخ 18 ذي الحجة 1204 = 29 غشت 1790.

ويلاحظ أن الطابع الملكي يحمل في دائرته الآية : ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ كما يحمل في داخله عبارة : «الله حق ناصر الحق، لا إله إلا الله محمد رسول الله».

(14) هوست : محمد بن عبد الله ص 127 - 128.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَحْوَالِهَا فِيهَا طَابَتْ أَعْيُنُ الْعَالَمِينَ
مِنْ عَيْنِ الْمَدَامِ الْمَوْجِبِ وَفَاصِ مِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِذْ عَجَبْنَا لَهُ قَوْلَ الْبَيْهَقِيِّ الْمَشْرِيقِيِّ الْحَسَنِ كَمَا قَالَ



إِلَى اسْتِحْضَائِهِمْ جَنَسَ الْبُلَامِثِ سَلَا عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الصُّنْدُقَاتِ بِحُرِّ وَبِأَنْفِ
بَلْتِكُمْ تَلَا فِي مَخْتَلَاؤِ أَوْفَرِ زَفَا، عَلَى مَرْقَبِهِ عَمْرٌ وَكَلْبٌ مَنَا بِنَاءَ الصَّلْحِ
عَلَى مَا كَتَمَ عَلَيْهِمْ وَالرَّفَا رَحِمَهُ اللَّهُ فَأَجَبْنَا إِلَى أَنْهَ ابْتَدَأَ مِنْ لَتِيَاهِ بِأَشْرُورِ مَرَعَةٍ
لِنَجْرِدِ مَعْدِ الصَّلْحِ فِي أَوَّلِ مَمْلَكَتِنَا التَّغْيِيرِ كَمَا أَعْلَمُنَا بِزَلَّةِ جَمِيعِ الرُّجُفِ
وَالرَّحَى شَدَّ اللَّهُ خَامَهَا بِسَمِّهِ وَتَجَرَّدَ عَافِيَتَهُ وَالسَّلَاةُ بِهَا أَفْ كَالْحَجَّةِ مَعِ

1204

رسالة من السلطان مولاي يزيد إلى الولايات العامة، بتاريخ 18 ذي الحجة من عام 1204

وعندما جلس السلطان مولاي سليمان على العرش عام 1206 = 1792 سجلنا كذلك بعض المخاطبات بين الجهات المغربية والفلانكية كان منها رسالة من وزير خارجية الأمير مولاي الطيب أخى السلطان مولاي سليمان يخبر فيها الولايات العامة بأن أخاه مستمر على الحالة التي كان عليها والده، وأنه أي مولاي سليمان يريد أن يبعث سفيراً من المغرب إلى الولايات العامة لقضاء بعض الأغراض ولذلك فهو يطلب مساعدة السفير المغربي والوقوف معه... وكانت الرسالة بتاريخ 28 ربيع الثاني 1209 = 22 نونبر 1794.

الحمد لله
والعز والافتخار

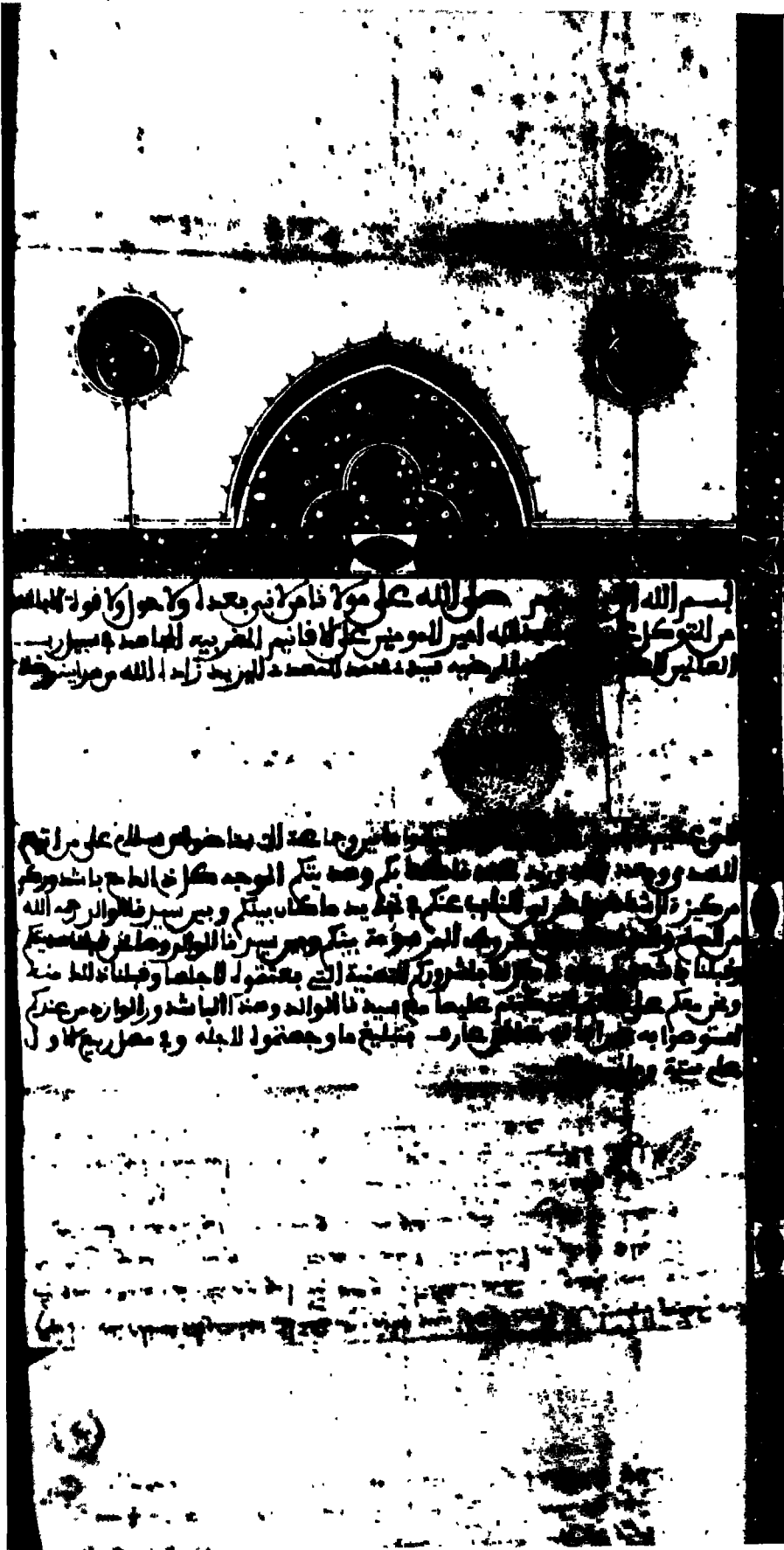
بسم الله الرحمن الرحيم



أبو كبير جنسه اليزيدي يلقى أقرانياً الله وكافة المصطفى
بلنا في المطع على من اتبع النهى أما بعد فقلنا
موتنا وأماننا المنصور بالله أعان الله أمراً ومنقره من معكم
على الحالة التي كنت عليها مع موتنا وبيننا الدائر من الله روحه
برضاه وما هو عز الله جانبه يريد أن يبعث اليه منكم بأشاوراً
وأهل غرضته الشريفة في بقاء بعض أغراضه المعين بالله وثناي
يفيدوا مقدرنا عشوا به في ذلك وما نوفره وإعشاء به تسأ
لوه من جانب أخينا السلطان مع الله كل ما نريدون وتطلبون
ارتقاء الله وتنازع العام والعشرين ربيع الثاني عام 1209

رسالة من الأمير مولاي الطيب وزير خارجية مولاي سليمان إلى الولايات العامة

بتاريخ 28 ربيع الثاني 1209.



من الوثائق المغربية الهولندية

العلاقات بين المغرب وبين : بروسيا - النمسا - روسيا في صدر الدولة العلوية...

- هامبورغ - بریم - لوبیک، ومراسلات العاهل المغربي...
- صدی الإصطدام النسائي العثماني في المملكة المغربية.
- سفارة الملك محمد الثالث إلى جوزيف الثاني بفيينا.
- وساطة المغرب بين النمسا وتركيا ؟
- الإصطدام مع الأساطيل التي لم تف بالتزاماتها...
- العلاقات بين الأمبراطورة كاثرين الثانية وبين الملك محمد الثالث.
- توالي المراسلات بين العاهل المغربي والأمبراطورة الروسية...
- موسكو تزود المغرب بالقمح في عهد السلطان مولاي سليمان.

العلاقات بين المغرب وبين بروسيا - ألمانيا على عهد الدولة العلوية هامبورغ بريم - لوبيك.

لقد كان على العلاقات بين هذا الأطراف أن تنتظر أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي تمت في عهده عام 1782 بواسطة التاجر الفرنسي المعروف أوديبير كايّ (Audibert Caillé) «قنصل من لا قنصل له» اتفاقيات بينه من جهة وبين بروسيا وهامبورغ من جهة أخرى على أن تؤدّى للمغرب تعويضات عند رأس كل سنة.

وهكذا فبعد الإذن لبروسيا وألمانيا في التجارة مع المغرب، توصل إلى اتفاق بين المغرب وبين الجهتين المذكورتين في العام المذكور⁽¹⁾ بل إن العاهل أمر باشا طنجة بإخبار السلك القنصلي والأجانب المقيمين بطنجة وكذلك رؤساء السفن بتعليماته.

والواقع أنه منذ بداية سنة 1781، ولاجل أن يبرم اتفاق بين المدينة الحرة هامبورغ وبين السلطان سيدي محمد بن عبد الله أخذ السيد ريبك (Rieck) قنصل الهيئات التجارية الأوروبية المتحالفة بقادس، أخذ على عاتقه مفاوضة أوديبير كايّ (A. Caille) قنصل من لا قنصل له بالمغرب، في شأن الوصول إلى اتفاق مع هامبورغ وقد استمرت هذه المفاوضات إلى نهاية سنة 1782.⁽²⁾

ومن المؤسف أن عدداً كبيراً من تقارير القنصل ريبك (Rieck) وكذلك أعمال البر حول الموضوع تعرضت كلها للضياع أثناء حريق 1842 مع أرشيف هامبورغ،...

Caillé : Les Accords... p. 223 Host : L'histoire p. 91 – 188 (1)

J. Caille : Les accords.. p. 40 (2)

ومع ذلك فإنه من المهم أن نعرف أن الكونت دو كاستري تحدث عن الإتاوة التي كانت تؤدي للمغرب من طرف هامبورغ كل سنة بأنها بلغت خمسة آلاف دينار...

وتتحدث المصادر الألمانية عن مفاخرة هامبورغ للمغرب بواسطة سفير البرتغال في طنجة السيد كولاصو (Collaço)⁽³⁾ وقد تبودلت الرسائل بواسطة القنصل في قبادس وبين الوزير البروسي فينكيلستن (Finchelstein) من جهة، وبواسطة أوديبير كاي وباشا دكالة من جهة أخرى. وقد كتب الوزير البروسي إلى مراسليه بأن ملك بروسيا يتمنى أن يعيش في سلام مع العاهل المغربي.

وقد بعث حاكم مراكش إلى الملك فريديريك الثاني باسم ملك المغرب، أربعة جوازات من أجل تمكينها للبواخر البروسية حتى لا تجد مصاعب عند رسوها بالموانئ المغربية...

وبمقتضى رسالة تفويض بتاريخ 27 يناير 1784 رشح قنصل لبروسيا بالمغرب لكن أمام رفض فريديريك الثاني أداء الإتاوات إلى المغرب رفض قبول اعتماد القنصل البروسي وعادت العلاقات على ما كانت عليه...

☆☆☆

وقد كان للمدينة الحرة بريم (Brême) التي تقع في جوار هامبورغ نفس العلاقات التي كانت تقريباً مع هامبورغ، وهكذا - حسب الكونت دو كاستري - تمت اتفاقية بين مدينة (بريم) وبين المملكة المغربية على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله كانت (بريم) تؤدي بمقتضاها للمملكة المغربية ألفي ريال سنوياً... والتحقت لوبيك (Lubek) بمدينة بريم...

لكن الصلات التي لم تلبث أن توقفت بين هذه الجهات وبين المغرب بسبب حروب فرنسا، ولم تعد إلا يوم سقوط نابليون حيث نجد هامبورغ تجدد مهمة كولاصو (Collaço) الذي عمل على إحياء اتفاقية 1806⁽⁴⁾ وفي يونيو 1829 تعهدت بريطانيا بحماية الهيئات التجارية المتحالفة (Hanseatique) ووصلت في الوقت نفسه

Pierre - Guillen : L'Allemagne et le Maroc, PARIS 1967 p. 95 (3)

Pierre Guillen : L'Allemagne et le Maroc p. 5 (4)

رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمن إلى المدن الثلاث هامبورغ، بريج، لبيك (Lubek) تطلب الإتاوات المترتبة، وقد تبعت هذه الرسالة رسالة ثانية حملها مبعوث يهودي من الصويرة يحمل اسم أفالو...

وبينما المفاوضات جارية في ربيع سنة 1830 إذا بفرنسا تنجح في انتزاع الجزائر من تركيا ! الأمر الذي وجه ضربة موجعة للأسطول المغربي وهكذا اضطر المغرب لتغيير لهجة حديثه مع الدول الأوروبية جميعاً ! وأعلن المغرب على لسان مليكه أنه يرغب في العيش بسلام مع الهيئات التجارية المتحالفة وهكذا فتح البحر المتوسط على مصراعيه أمام الدول الأوروبية...

العلاقات المغربية النمساوية على عهد العلويين.

وكان للجولات المغربية في عرض البحار أثر قوي على إلفات نظر دول العالم إلى هذا «المغرب الأقصى».⁽⁵⁾

وهكذا فعلى إثر قنص المغاربة لسفينة نمساوية في محرم 1175 = غشت 1761 على عهد الملك محمد الثالث ارتفعت أصوات الاحتجاج بأمبراطورية النمسا⁽⁶⁾ ضد «قلة الأمن» بالبحر المتوسط.. !

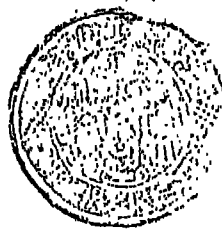
ولدى سنة 1194 = 1780 جدّ عنصر مهم في العلاقات المغربية النمساوية، فقد حرّر القنصل العام النمساوي الموجود في قانس مذكرة إلى بلاده يقترح عليها إبرام معاهدة مع المغرب على نحو ما فعلته الدول الأربية الأخرى وذلك إذا كانت النمسا ترغب في سلامة تجارتها البحرية بالمنطقة...

وبهذه المناسبة أخبر القنصل النمساوي بلاده بأن العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله قد قام بمبادرة رائعة من جانبه لتخفيف حالة الحذر الموجودة بين الطرفين، وذلك بقراره إرسال سفارة هامة إلى فيينا تستهدف ثلاثة أغراض.

Jean Korinek : L'Historique des Relations Tchechoslovaques Avec Le Maroc RABAT 1975 p. 9 (5)

Jacques Caille : une Ambassade Autrichienne A Vienne en 1783 Hesp. 1962 p. 35 (6)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
 مِنْ مَوْلَى اللَّهِ الْمُتَوَكِّلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى



إلى عبيدك الكبيرين الشكويين نسكو سر لنبلناك وز فيختار يوسف سلام على
 مراتب الغنى وما بلغت ففتك وجفنا لكم بأشياء ورثنا
 وهو خير منا الفايدهم نحن بنو خير المالك وقتك لنا من منا على
 توجيهه، لكم في العام المبارك إننا آخر فاه لسبنا على
 ذلك وقد نعلم أن قاه ينك كره، لكم من سابقه منه إنكم
 وبه كفاية العزم وقد نذكر لنا خبر بينا الميكور أو أخاك
 الرأى أقرانك وكه كمشكاته حين كنا وجفنا له إليه بيتنا
 مضي فرج به القرح التلح واختاره به، غاية الإحسان وقد
 لنا محبتهم جايتنا بأحبتنا إلى وفخرهم على
 الصلح والتمسك في التلح وأنت خيرنا من غيرنا
 إقناع حنينا وكل ما يفعل معكم بأشياء ورثنا الفايدهم
 محمد بنو خير المالك فنحن أمضينا في قاسم عشر شعبان
 عام ١٠١٠ ووافقنا هذه عمال من أصيحابنا أنه لم يرد من كتابنا
 من أكتبكم إليهم بمسؤول إليه ويعطونه كل ما يطلبه منهم غير
 واجب امتياز لكم عن الغير والتمسك به الكتب

فهي تهنيء الأمبراطور جوزيف الثاني من جهة، وتقدم له من جهة ثانية التعازي بمناسبة وفاة والدته الأمبراطورة مارية ثيريزيا (MARIA THEREZIA) يوم 29 نونبر 1780 كما أنها من ناحية ثالثة تدعو الأمبراطور لعقد اتفاقية ثنائية بين الطرفين...

وقد أخبر القنصل بلاده في رسالته بتاريخ رمضان 1196 غشت 1782 أن السفارة المغربية تحمل معها عدداً من الهدايا الفاخرة فيها عشرة جياذ من خيرة الخيول.

ومن جهة أخرى فقد تحرك القنصل النسائي في ليفورنو (Livorno) (الطوسكان) حيث نراه يرفع تقريراً إلى الأمبراطور يعلق فيه أهمية كبرى على مثل تلك الزيارة...

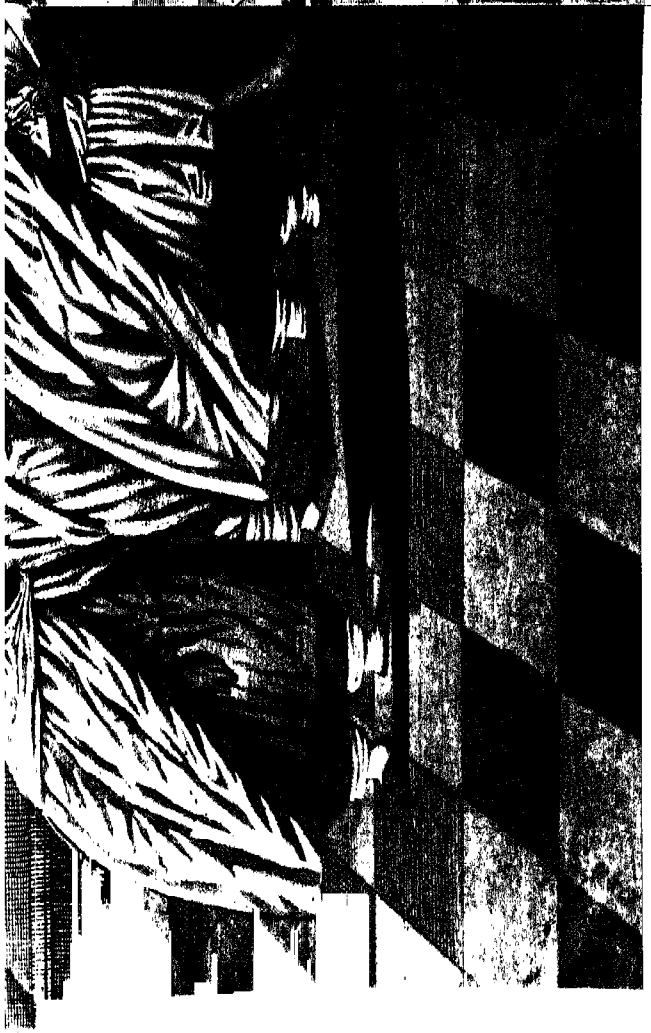
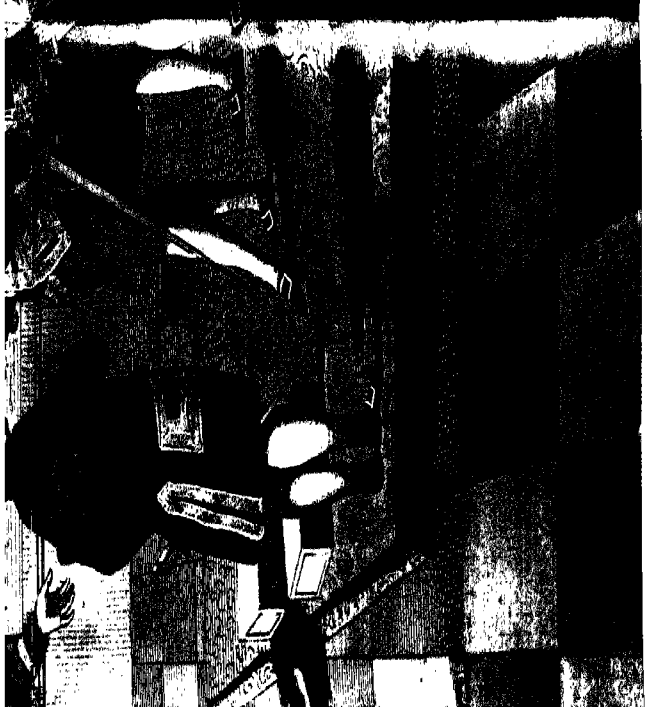
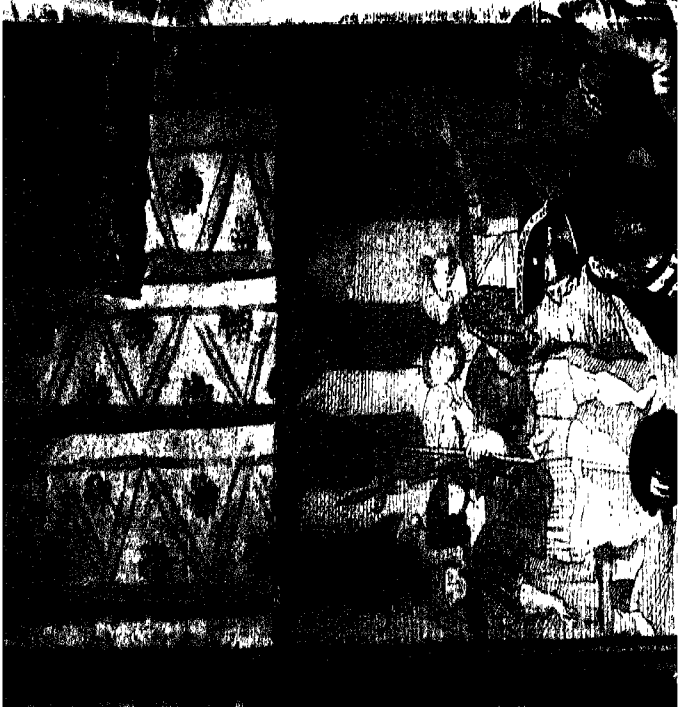
وقد أبرز بأن المغرب الدولة الوحيدة التي استعصت على الباب العالي... وأنه لا بدّ من الاهتمام بالسفير المغربي الذي يوجد في طريقه إلى فيينا، وتخصيصه بأنواع الاحتفال لكونه يمثل ملكاً يضاهاى سلطان تركيا...!(7)

وقد وقفت في فيينا على لائحة بأسماء أعضاء البعثة المغربية ووظيفتهم ومراتبهم... كان منهم علاوة على ابن عبد الملك، الحاج محمد المهدي، أمين الصائر وسيدي محمد الكاتب الخاص ومحمد بن عبد الرحمن القابطان العسكري الذي كان يرأس تسعة ضباط مكلفين برعاية الخيول العشرة التي حملوها معهم...

وقد عد منهم ثلاثة موسيقيين : أحمد الشيخ وأحمد الحليق وأحمد كينيكي... وهكذا تم استقبال السفير المغربي من طرف الأمبراطور يوم 28 يراير 1783 وأخذ له رسوم ملون جميل أثناء استقبال من لدن الأمبراطور، وكان الرسّام الذي قام بالمهمة هو لوشينكول Loschenkohl على ما وقفت عليه في متحف مدينة فيينا .Museum der Stadt

وقد نصت الاتفاقية على «امتياز النساء على سائر الدول الأخرى، كما عاجلت قضايا تحرير الأسرى من الجانبين وهي القضايا التي كانت تشغل بال السلطان سيدي محمد بن عبد الله كما اهتمت المعاهدة بحقوق الديوانة، والاحترام المتبادل بين

Ramon Lourido Diaz : Relaciones Del Alawi Sidi Muhammad B. Abd Allah con el imperio turco en el segundo (7 periodo de su sultanato 1775/1790 hesp. tamuda 1986 p. 231.



وساطة مغربية لدى أمبراطور النمسا لتطويق الخلاف بين العثمانيين وبين النمسا ؟

كلّ الذين يمارسون تاريخ العلاقات الدولية للمغرب يدركون جيّداً عن مدى الوشائج الروحية التي تربط المملكة المغربية بالأمبراطورية العثمانية.

يدل على ذلك مراسلات السلطان مولاي اسماعيل مع لويز الرابع عشر ملك فرنسا (1110 = 1698) كما يدل عليه مختلف السفارات المغربية التي كانت تتعاقب على استانبول ابتداء من البعثة الأولى برئاسة عدیل سنة 1175 = 76 - (1762).

ولقد كان دخول العثمانيين الحرب مع روسيا في سادس اكتوبر 1768 = 24 جمادى الأولى 1182 بتواطؤ مع النمسا وبروسيا ثم انهزام السلطان مصطفى الثالث أمام الأمبراطورة كاترينا مما زاد في تعميق ذلك الاتّصال بين المغرب وتركيا...

وبمجرد ما استرجع العاهل المغربي الملك محمد الثالث مدينة الجديدة (1182 = 1769) اتجه نحو مساعدة تركيا بكل ما يستطيع عسكرياً واقتصادياً على ما نقرأه في مختلف المصادر...

وبمقتضى معاهدة قينارجه (Kaïnardja) عام 1774 أرغمت روسيا العثمانيين على التخلي عن بلاد القرم حيث ألحقتها بها في غضون 1773 ولم تلبث أن امتلكت كافة سواحل البحر الأسود الأمر الذي احتج ضده العثمانيون !

وقد نصحت فرنسا حليفتها تركيا أن لا تخوض حرباً مع روسيا آنذاك نظراً للإستعداد الضخم الذي اتخذته الأمبراطورة كاترينا التي كانت قد عقدت اتفاقية سرية بينها وبين الأمبراطور النمساوي جوزيف الثاني.

لقد بات جلياً أن مؤامرة كبرى كانت تهيأ للإجهاز على العثمانيين، وأخذ «طريق بيزنطة !!»

كل هذه الأخبار كانت تصل عن طريق فرنسا للسلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يتصوّر الوضع الدقيق لأخيه السلطان عبد الحميد الذي جلس على كرسي الملك عام 1774.

وهذا ما حدا به، أي ملك المغرب، إلى أن يقوم بعملٍ ما من أجل تطويق ذلك الخلاف... فالكلّ يعرف أنه لم تكن لنا نشاطات تجارية مع النمسا تستدعي إرسال تلك السفارة في ذلك الحجم ومصحوبة بمثل تلك الهدايا، ولكن القصد - على ما يتأكد لدي - هو قيام العاهل المغربي بعملٍ ما لصالح التخفيف عن إخوته وحلفائه العثمانيين. «إن سلطان المغرب كان يجعل نصب عينيه مصالح الإسلام والمسلمين» كما قال السفير المغربي الطاهر فنيش للعثمانيين عندما سفر لديهم على ما قلناه في العلاقات المغربية التركية.⁽⁸⁾

والاتصال بالأمبراطور النمساوي على ذلك العهد كان يعني الاتصال أيضاً بالأمبراطورة كاترينا التي نرى العاهل المغربي يعجل الاتصال بها منذ 19 ذي القعدة 1191 = 20 دجنبر 1777 عندما أذن للتجار الروس بدخول الموانئ المغربية، قبل أن يبعث للأمبراطورة شخصياً برسالة مؤرخة في يوم 20 جمادى الثانية عام 1192 = 16 يولييه 1778 على ما نقرأه في العلاقات المغربية الروسية...

ومعنى كلّ هذا أن المغرب الذي يهه جداً مصير العثمانيين لم يتردد في القيام بمساعيه الحميدة من أجل تطويق الخلاف وتلطيف الجو، ونحن نعلم عن عدد الأسرى الأتراك الذين حررهم العاهل بهذه المناسبة من النمسا وتوجه بهم هدية إلى الباب العالي...⁽⁹⁾

ويتحدّث هوست الدبلوماسي الدانماركي عن العلاقات بين الأمبراطورية المغربية وبين الأمبراطورية الرومانية «كما يسميها» فيذكر إنه بتاريخ 15 يولييه

(8) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 165/20/15 ج 2 ص 61 - تاريخ الدولة العلية العثمانية ص 173 حسين فوزي (وكالة أنباء المغرب) : تخليد الذكرى 90 لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والاتحاد السوفييتي، جريدة الأنباء 22 أكتوبر 1987. Journal Maroc - Soir 12 1987

(9) نفتنم هذه الفرصة لتقديم جزيل الشكر لكلّ الذين ساعدوني على أداء مهمتي في الأرشيف الوطني بفيينا..

1783 (14 شعبان 1197) وصل القنصل الروماني قون تساره (V. TESSARA) مع حاشية كبيرة، أربعة أيام بعد عودة سفير العاهل المغربي من قيينا وطوسكان... وقد احتفظ الأرشيف الوطني النمساوي أيضاً بالرسالة التي بعث بها السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 8 رجب 1198 = 28 مايه 1784 إلى جوزيف الثاني أمبراطور النمسا جواباً على الهدايا التي بعث بها الأمبراطور ومصحوبة بنص الإتفاقية المبرمة بين النمسا والمغرب التي حملت تاريخ 10 رجب على ما ذكره في الملاحق.

وقد أبى القائد ابن عبد الملك إلا أن يشفع الرسالة الملكية والاتفاقية النهائية برسالته المؤرخة يوم 16 شعبان 1198 = 5 يولييه 1784 ويخبر بالإذن لطسارة بالعودة إلى قيينا مصحوباً بنصّ المعاهدة...

وقد كتب القائد محمد بن عبد الملك كذلك برسالة إلى الأمير كاونيتز بتاريخ 22 ربيع الأول 1199 = 2 يراير 1785 يخبره بأن ضومباي (Dombay) ورد عليه⁽¹⁰⁾ وأخبره بوصول المصادقة على الاتفاقية... وينصح القائد ابن عبد الملك الأمير النمساوي بتعيين قنصل جديد يحل محل طاساره حتى لا يبقى مكان النمسا فارغاً في طنجة !

وقد كانت العلاقات آخذة سيرها الطبيعي من تبادل الرسائل لولا ماجد على الصعيد الدولي من نشوب الحرب بين العثمانيين والنمسا في أوائل عام 1788، فهنا وقف العاهل المغربي إلى جانب الباب العالي... حيث وجدناه يُصدر بتاريخ 23 جمادى

(10) درس فرانزون ضومباي (Farnz Von Dombay) في أكاديمية اللغات الشرقية وكان هو ترجمان القيصر جوزيف الثاني. وقد ذكر لي المستشرق المجري فوضور (Fodor) أنه ورد على المغرب باقتراح من السفير ابن عبد الملك الذي كان يستعين به هناك... وبالرغم من «الوسائل» التي كان يستعملها ضومباي للحصول على الوثائق باستغلاله لحاجة بعض المواطنين، فإنه - والحق يقال - ترك ثروة نافعة لمن تهتمهم الدراسات المغربية من سائر مناحيها... وقد قام الزميل نورمان ستيلمان (Norman A. Stillman) بدراسة جيّدة لأوراق ضومباي كمصدر جديد لتاريخ المغرب في القرن التاسع عشر... د. النازي : وثيقة لم تنشر تتحدث عن إنشاء معهد قبل قرنين لتلقيين في الكتابة والتزويق والتجديويل... مجلة معهد المخطوطات العربية - العدد الأول - السنة الأولى، ربيع الأول شعبان 1402 = يناير - يونيو 1982.

بِسْمِ اللَّهِ وَاحْوَلْ وَانْفُوا لِلَّهِ



هَذَا تَقِيْدٌ شَيْءٌ وَكَمَا الصُّلْحُ لِي
جَعَلْتُمْ تَقِيْدًا نَاوَمُوا أَنَا الْمَنْصُورُ
بِاللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
سَلَّمَ وَالْمَغْرِبُ مَعَ عَكْبَرِ
الْعَدُوِّ وَبِشُكْرِ الْإِنْبِيَاءِ وَرُ

لَمْ يُوَكِّهَ مِنْ أَرْحَامِهِمْ عَلَى صَدْرِ الشَّهِيدِ
الْمَنْعَفَةِ لَا يَفْسُرُ هَذَا الرَّجُلُ
بَعْدَ هَذَا إِشَاءَ اللَّهِ وَيَرْفَعُ بِهَا مَجْمُولِ
اللَّهِ رِيَاءَهُ وَأَقْفَ صَارَ الْفَسْلُ
وَكُتِبَ فِي الرَّعْلَيْشِ مِنْ رَجَبِ
عَلَى مَأْفِيهِ وَقَسْعِيمِ وَمَا يَدِي وَالْهَبِ

على 01198

من رسائل السلطان مولاي سليمان إلى أمبراطور النمسا
بتاريخ 4 شعبان 1218
الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من الاتفاقية المغربية النمساوية

الأولى 1202 = 1 مارس 1788 منشوراً إلى كافة القناصل الأجانب الموجودين بالمغرب يقول من جملة ما يقول : «...كل من هو صلح مع السلطان العثماني فهو صلح معنا وكل من هو (كيرا) معه فهو (كيرا) معنا...».

وقد قام باشا طنجة بشرح هذا المنشور مؤكداً أن القصد إلى روسيا وحليفاتها النمسا...⁽¹¹⁾

ولم تعد الحياة السياسية بين البلدين إلى مجراها الطبيعي إلا في بداية القرن التاسع عشر أيام السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله حيث وردت رسالة من الأمبراطور فرانسيسكو الثاني تحمل تعزية بلاده في وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وإذ تعتذر الرسالة عن تأخر العزاء بظروف الحروب الطويلة، تقدم التهنية للسلطان الجديد، وقد كانت تحمل تاريخ 30 غشت 1803 = 12 جمادى الأولى 1218 على ما وقفت عليه في أرشيف فيينا...

وقد أجاب السلطان المولى سليمان على هذه الرسالة من مكناس بتاريخ 4 شعبان 1221 = 19 نونبر 1803 على ما يوجد في الأرشيف الوطني...

وقد بدأ التفكير من النمسا في استعادة الإتصال الجدي بالمغرب عندما أصدر السلطان المولى سليمان إنذاراً للسفن التي تحمل العلم النمساوي بأنه سيُعطيها مهلة أربعة شهور حتى تهيء نفسها للمغادرة... لقد أخذت النمسا تتقاعس عن أداء الأتاوات المعهودة بمقتضى الإتفاقية السالفة وأخذت تعتبرها «عاراً» يخدش في سمعة الأمبراطورية ! على حد تعبير التقارير المحفوظة...

ولقد كان فون پويي (Von Pouilly) رئيس البعثة الدبلوماسية النمساوية وصل إلى طنجة يوم 23 مايه 1805 فاتجه إلى مكناس حيث كان يقيم السلطان المولى سليمان، وقد تمت المصادقة على الاتفاقية يوم 6 ربيع الثاني 1220 = 4 يولييه 1805 حيث كتبت السلطان المولى سليمان في نفس التاريخ رسالة إلى القيصر فرانسقوس يخبره بوصول سفيره المذكور حاملاً الخطاب وكناش الصلح الذي وقع بين سيدنا الوالد وبين السلطان قيصر في مدة حياتها مع إضافة شرطين آخرين يوافق عليها العاهل المغربي...

(11) عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2، ص 205/204.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّمَّانِ الرَّحِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَحْمُ التَّوَكِيلُ وَبِأَمْرٍ أَلَّابِ اللَّهِ الْقَلْبِ الْعَلِيمِ
 مِنْ أَمْرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعِجَازِ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عِنْدَ الْمَقْتَضِ بِاللَّهِ سَلِيمًا بِرَحْمَةِ عِبَادِ اللَّهِ
 لِيَرَاهُ عَيْلَ الشَّرِيفِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ أَعْلَى أَلْفِ أُمَّتِهِ وَمَهْلِكُ كَلِمَتِهِ وَبِظَهْرِ أَمِيرِ



لِيُطَاعَ الرُّومَ وَعَظِيمِهِمُ السُّلْطَانَ فِي حَرْبِهِ الْخَمْسَةِ مِنَ الثَّلَاثَةِ أُمَّةً بِفَتْحِهِ وَرِجَالَهُ حَضْرَتِكَ الشَّرِيفَةِ
 كِتَابِكُمْ وَتَعْرِيفًا مِنْهُ تَأْتِيكُمْ عَلَى رِجَالِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْوَالِدِ السَّغِيِّ اللَّهُ وَفَرَحِكُمْ بِمَا فَتَحْنَا لَكُمْ
 اللَّهُ بِهِ مِنْ أَمْرِ عِبَادِهِ إِيَّاكُمْ سَبِّتُوهُ وَهُوَ ذِكْرُكُمْ عَلَى مَفْذَمَاتِ الْعَالَمِينَ بِاللَّهِ مَا كُنْتُمْ بِهِ مِنَ الْخُرُوبِ وَالْهَوَاكِينِ
 الَّتِي عَاتَتْكُمْ مِنْ ذِي الْمَلَأَ بَيْتَنَا عَنْكُمْ فِي ذِي الْمَلَأَ تَفْتَدُوا لَكُمْ مِنَ الْخَيْرِ مَعَ اسْكَانِ الْأَرْضِ رِضْوَانِ
 اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَإِنَّا مَلِكُكُمْ عَلَى الصَّلْحِ وَالْمَعَالِغِ نَذَرْنَا لَكُمْ سَبْقًا وَتَفَضَّلْنَا لَكُمْ مَعَ سَيِّدِنَا الْوَالِدِ
 رِضْوَانِ اللَّهِ وَإِنَّا مَرَاكِبِكُمْ وَنَجَاتِكُمْ دَامِنُونَ عَلَى أَنْبِيئِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَفِي أَمْرِنَا مَرَاكِبِنَا
 الْمُنْجِمَةِ أَوْ مَرَاكِبِنَا الْمَعْبُودَةِ بِذَلِكَ الْبُكُونِ فِي ذِي الْمَلَأَ عَلَيْنَا فِيكُمْ وَبِهِ مَكْمَلَتُنَا وَرُوحَانَا وَمَوْلَانَا
 الشَّرِيفِ وَعَفْوَانَا وَبَيْنَ لَكُمْ مِنْ بَيْنِ وَأَسْكَتْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فِي مَا يَخْرُجُ فِي الْمَدِينَةِ وَكُنْتُمْ إِلَيْكُمْ
 مِنْ حَضْرَةِ مَكْتَلَسَةِ الرِّبْوَةِ فِي 4 مِنْ شَعْبَانَ الْبَارِكِ عَلَى 1218



الى الملك الاعظم والملك المويط الاعظم سيد ملوك اجناس القطار
 وري عظمائها بما اوليته من الطهارة وبكافة التذمر والطابة
 الراي وسلامة الفكر والتكاه السلطان فيصير جراحنا من
 الثاني بفضله الله له في افكاره ورزقه علو القدر ورحمة الشان
 حزيننا جنسه واهل اعصاره انا بعد بقد وطلنا بشدة ورالذ
 وجهت به لحضرتنا وبيدك كتابك وكننا الصلح التذمكار
 وقع بين سيدنا الوالد وبين السلطان فيصير يوسف الثاني في
 مدة حياتهما ووقبنا على ما بيده من الشوك وتاملنا ما جرت
 جدنا ما شروكا حسنة كلها فيها الختم والمصلحة للجميع هو
 فواجبنا عليها وايضا ما مع بشدة ور وكلنا مناشركي
 اخرين نزيد همالة الشرك الخامس والثامن فننا ما له
 فيها حسبا تفق على ذلك ونهية الصلح الواردة عليك
 وهما الشيوخ ورنا وزاد علينا وتلافينا معه واختبرنا وجدنا
 له عافا هاز ما ضابكا مثله مريوغة لمهمات الامور وعافا
 وعضايم الاشياء وزادنا بيده معرفة برجائته كونك
 اخترته وجعلته واسطة بيننا وبينك في عقد هذا الصلح
 المبارك بعلمنا انك لا تسند هذا الامر الا لمن هو في
 غاية البدانة والثبات مراهل رعيتك والله يعطى بكم امر
 امور ربي ثم وبرز فيكم الكعب والنصرة على من عداكم
 مراهل ملتكم وبتك بفاعدة ماناسة الزيتون في ك ربح الثانية
 علكه 225

رسالة العاهل المغربي مولاي سليمان إلى قيصر الثاني

6 ربيع الثاني 1220 = 4 يولييه 1805

من مولاي سليمان إلى السلطان قيصر فرانسيسكو أو فرنسوا الثاني... وصلنا باشا دورك وبيده كتابك
 وكننا الصلح الذي كان وقع بين سيدنا الوالد وبين السلطان قيصر يوسف الثاني في مدة حياتهما...
 مع إضافة شرطين آخرين.

وقد كان على العلاقات أن تستمر في طريقها لولا حادث وقع أيام السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، وبالضبط يوم 20 محرم 1244 ثاني غشت 1828 حيث استولى بعض الرؤساء البحريين المغاربة على باخرة نمساوية تحمل اسم (Veloce) فيلُوصي كانت محملة بالشراب والزيت وعددٍ من الصنادق آخذة طريقها من ترييست إلى (ريُودي جانيرو) وسيقت إلى الرباط⁽¹²⁾

وانتهت الأزمة الحادة في الأخير إلى إبرام اتفاقية صلح صدر بها الأمر المعتزُّ بالله يوم 29 شعبان 1245 = 23 يبرابر 1830 على ما ورد في التصدير الذي يبتدئ بالبسملة والحوقلة والطابع الكبير للسلطان مولاي عبد الرحمن.⁽¹³⁾

وقد حصلت من أرشيف فيينا على صورة كاملة للاتفاقية المغربية النمساوية مكتوبة بخط مغربي جميل وتحمل تاريخ 10 جمادى الأول 1246 = 18 أكتوبر 1830 أي بعد المصادقة النهائية عليها من الطرفين...

ونظراً لما حصل فيها من عطب عند صاحب الإتحاف، وحصل فيها من خطأ في التاريخ في النسخة المحفوظة بالخزانة الحسنية فإني آتي بنصّها في «الملاحق».. مع البلاغ الذي أصدره العاهل بتاريخ 4 رجب 1246 = 19 - 12 - 1830 حول الشرط الثامن...



ومن دون شك فقد كان لطرق فرنسا أبواب الجزائر أثرٌ على قبول العروض أو بالأحرى على تجميد الأسطول المغربي الذي كان على حد تعبير المؤرخ البريطاني باربر «أسطورة البحر المتوسط!».

(12) J. Caillé Les Derniers Exploit... Hesp 1950 p. 434

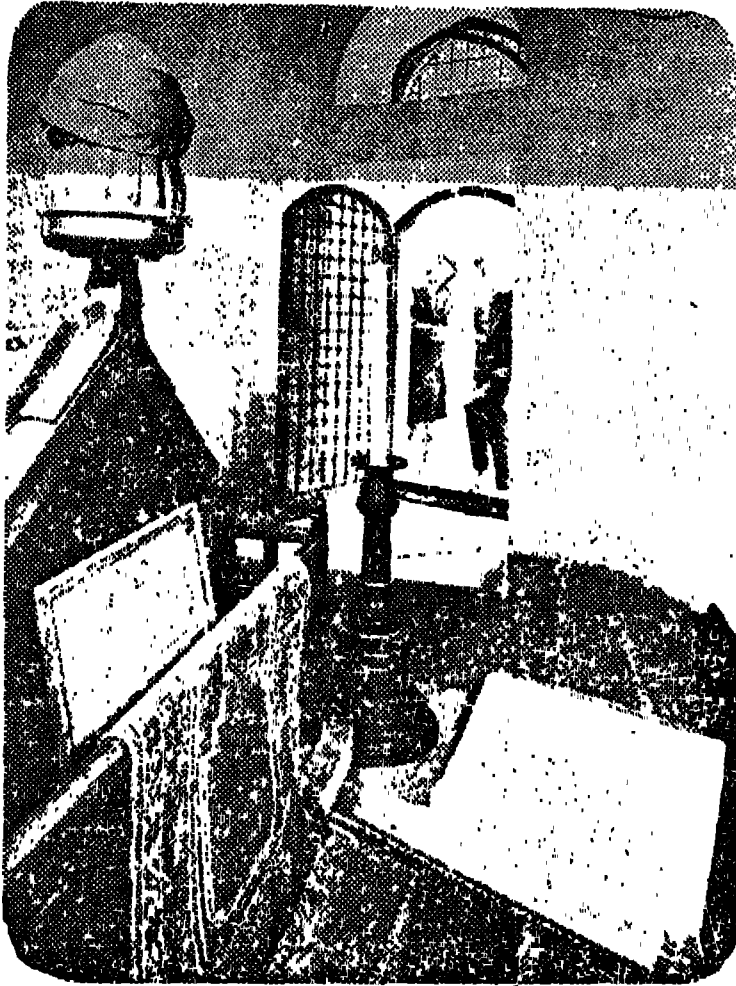
(13) لقد اعتذر الأمناء : الطالب بن جلون والعربي السعيدي والطبيب البيّاز في رسالة تحمل تاريخ 2 شوال 1244 = 7 أبريل 1829 عن هذا الحدث الذي كان وراء الهجوم على العرائش على ما تحدثت به صحف جبل طارق حيث جرت المفاوضات التي ناب فيها عن المغرب يهوذا بن عليل والتي انتهت إلى توقيع الاتفاقية مع الدبلوماسي النمساوي فلوكل (Pflugl) الاستقصا 9 ر 26 - التاريخ الدبلوماسي للمغرب 2 ر 203 - 204 - 205.



رسم من الأرشيف الوطني بفيينا قال عنه مدير الأرشيف الدكتور جيرهارد ريل G. Rill إنه أخذ عام 1830 بمناسبة سفارة فلوكل (Pflugl) لدى ملك المغرب بمكناس حول حجز الباخرة النمساوية...
الرسم يمثل سيدة مغربية ذات مركز يقف إلى يسارها قائد، وهي تتلقى علبة من يهودي وقفت وراءه يهودية.

المغرب والمجر (هنغاريا)

وبالرغم من أن «المجر» كانت تذكر ضمن الممالك التابعة للأمبراطور فإننا نرى المغرب - اعتباراً منه لمركزها المتميز - يثبتها مع الدول التسع التي اعترف بها وأعطاهها امتياز التزود من مراسيه .
وقد ورد اسم (المجر) كذلك في الاتفاقية التي أبرمها السلطان مولاي سليمان مع الأمبراطور النمساوي فرانسيسكوس الثاني بتاريخ 4 يولييه 1805...



ضريح «تربة» بابا أحد رؤساء الفرق الصوفية وكان نشطاً في مدينة «بودا» التي تكون الآن نصف بودابست ومات هناك، حوالي عام 1540 ميلادية، ويحضر هذا الضريح اليوم أتقياء المسلمين.

المغرب وتشيكوسلوفاكيا

بالرغم من أن بوهيميا (Bohême) كانت كذلك إمارة تابعة لأمبراطور النمسا على حسب ما نراه في الألقاب الخاصة بالأمبراطور، فقد كان لها - كما كان الشأن في الإمارات الأخرى - تعلق بكسب صداقة المغرب... وهكذا نجد البروفيسور كورينيك (Korinek) يكشف النقاب عن الرسام العالمي فاكلان هولار (Faclan Hollar) سنة 1669 الذي ورد على طنجة صحبة اللورد هنري هوارد (H. Howard) وزار المدينة التي كانت لا تزال أسيرة، وكانت مناسبة للرسام المذكور أن يسجل مناظر لمدينة البوغاز نذكر منها منظرأ أخذ من الجبل للقسم الشمالي للمدينة، ومنظرأ كذلك أخذ من الجبل للقسم الأسفل من المدينة... ومنظرأ لداخل المدينة... وقد كانت هذه مناسبة أيضاً ليضع فيه رسماً متخيلاً للسلطان المولى الرشيد ظلت المصادر الأروبية تعتمد عليه، وهو الذي وقفت على أصله في الأرشيف الوطني بفيينا...⁽¹⁾

Jan Korinek : L'Histoire des Relations Thecoslovaques avec le Maroc, Introduction par Dr. ABDELHADI (I) TAZI, Imprimerie Kawtar - Rabat 2975.



العلاقات المغربية الروسية على عهد العلويين

في 23 دجنبر 1777 أرسل موتسينيغو القنصل الروسي في طوسكان رسالة مستعجلة إلى نائب المستشار أوسترمان يخبره فيها عن وصول حاكم مدينة (المعمورة) والسفير فوق العادة للأمبراطورية المغربية محمد بن عبد الملك إلى (ليقورنو) لعقد معاهدة صلح مع طوسكان، وقد قام القناصل المحليون بزيارة السفير المغربي ولكن القنصل الروسي موتسينيغو لم يقدّم بما قام به القناصل المحليون لعدم وجود أية علاقة آنذاك بين روسيا والمغرب فأرسل يطلب تزويده بتعليمات في هذا الصدد...

ومن جهة أخرى فقد كتب نينكوف أميرال البحرية الروسية في المتوسط بتاريخ 29 مارس 1778 إلى الوزير الأول تشيرنيشوف (Tchernichov) نائب رئيس الهيئة الأدميرالية العليا ينبئه بأنه قام بزيارة محمد بن عبد الملك وأخبره بأمر الملكة كاترينا الثانية بانتهاج سبيل الصداقة بالنسبة للسفن المغربية، وقد أعلن السفير المغربي بدوره عن قرار السلطان المتعلق بفتح الموانئ المغربية أمام السفن الروسية.

وبعد فترة من تبادل الرسائل وضع كازيليا نينكوف تحت تصرف السفير المغربي وبطلب منه (فركاطتين) مركبين هما «بافل» و «كونستانتيسيا» بقيادة الكابتن سكوراتوف وذلك لكي تنقلا السفير المغربي مع حاشيته إلى مدينة طنجة، وهي المرة الأولى التي تصل فيها سفن روسية إلى ميناء طنجة...⁽¹⁴⁾

ويستفاد من الوثائق المحفوظة أن السفير محمد بن عبد الملك طلب عند سفره من طنجة إلى مدينة مراكش طلب من سكوراتوف التريث لحين استلام رسائل توجه إلى الملكة كاترينا الثانية وإلى الوزير الأول تشيرنيشوف.

(14) د. التازي : الوساطة المغربية بين روسيا وتركيا - ندوة الرباط شتنبر 1988

وقد تحدثت هذه الرسائل عن تطلع المغرب إلى إقامة علاقات ودية مع روسيا ورغبته في عقد اتفاقية تجارية معها كما عبرت عن الامتنان للتكريم الذي ناله السفير المغربي. (15)

كما كتب محمد بن عبد الملك في رسالته إلى تشيرنيشوف عن الود الذي يكنه العاهل المغربي تجاه روسيا واستعداده للترحيب باستقبال سفير روسي تبعته جلالة الملكة...

كما كتب جلالة الملك محمد الثالث إلى كاترينا مؤكداً على «السلم في البر والبحر» مشيراً إلى أنه حين يجئ سفيركم إلى مرابعنا سنعقد معه موثيق السلم...

وهذه صورة الرسالة التي بعث بها العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله إلى الكونت تشيرنيشوف الوزير الأول بتاريخ 20 جمادى الثانية 1192 = 16 يولييه 1778 يخبره بتوجيه خطابه ملكي إلى الملكة كاترينا يتضمن المهادنة...

والوصول والافول الامانه

المحمدية



إلى الكونت، تشيرنيشوف وزير خارجية الروس
السلم على مراتج الهدى أما بعد وفد وجعنا السلطانكم
كتاب متهمة نيتنا بجنسكم جزاً وجزراً وحين يرد علم بلادنا
السعيدة بلاشك وركم نكمل معكم الصلح بشروطه ارشاد الله
وكتبه 20 جمادى الثانية عام 1192

(15) هوست : تاريخ محمد بن عبد الله ص 91، تعليق 1.

وكان العاهل المغربي حرر فعلاً رسالة إلى الملكة كاثرينا بعثها إلى الوزير الأول وهي تحمل كذلك تاريخ 20 جمادى الثانية 1192 = 16 يولييه 1778 لم نقف على صورتها ولكننا نسوق ترجمتها⁽¹⁶⁾ استناداً على أرشيف الخارجية السوفيتية :

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله

من عبد الله المتوكل على الله محمد بن عبد الله بن اسماعيل الشريفي حفظه الله وأعانه أمين إلى إيكاثرينا إليكسيفنا الثانية عظيمة سائر موسكو هداياتاً الله إلى طريقه المستقيم.

لقد علمنا بما راج بين خديمكم كوزليانوف وبين خديمنا محمد بن عبد الملك وتأكدنا من دلائل محبتكم فينا وقد تأثرنا لما نقله إلينا خديمنا المذكور، ولهذا نبعث إليكم رسالتنا المولوية لنؤكد لكم عن مسالمتنا ومهادنتنا لكم في البر والبحر، وعندما يرد سفيركم على أعتابنا الشريفة سنعقد بعون الله معكم اتفاقياتٍ للسلام. وإذا ما كانت سفنكم ترغب في الوصول إلى موانئ مملكتنا فإنها ستلقى الترحيب الذي يلقاه أصدقائنا رعيماً لكلمتنا الشريفة، وقد أعطينا بهذا الصدد تعليماتنا الملكية إلى سائر مراسينا بالمملكة.

وهذه صورة الرسالة التي بعث بها السفير المغربي محمد بن عبد الملك إلى الوزير الأول تشيرنيشوف بتاريخ أول رجب 1192 = 26 يولييه 1778 وهو يخبره بأنه بعث إليه مع الكابتن سكوراتوف بثلاث رسائل الأولى إلى الأمبراطورة والثانية للوزير الأول والثالثة لكوزليا نينكوف، ويوعز إليه أن باستطاعته أن يتصل بالمغرب على يد سيمون لوكاس سكرتير القنصلية الإنجليزية بطنجة .

(16) كانت الرسائل بتاريخ فاتح رجب 1192 = 26 يولييه 1778.

ولا تتضمن الوثائق والمصادر المعلومة لدينا معلوماتٍ عن رد فعل قيصر بطرسبورغ تجاه المبادرات المغربية الأولى إلا أن الاهتمام بالمغرب وخصوصاً شخصية السفير المغربي في طوسكان ضلّ قائماً بلا شك،⁽¹⁷⁾ نظراً للدور الذي كان قام به في ميدان العلاقات الروسية المغربية.

وفي يوم 12 دجنبر 1782 (24 حسب التقويم الجديد) وصل كتاب إلى أوسترمان حول وصول السفير المغربي إلى طوسكان ورغبته في الاستعجال بإرسال المكاتب الجديدة التي بعث بها السلطان إلى كاثرينا الثانية، وقد أرسلت هذه المراسلات فعلاً عن طريق السفارة الروسية في فيينا.

وقد كتب السفير محمد بن عبد الملك بتاريخ 24 محرم فاتح 1197 = 29 دجنبر 1782 يقول من جملة ما يقول لأوسترمان :

إني لا زلت على ما تقدم بيننا من الوداد والصحة المبعوثة في المكاتب حيث إن «القلم ينوب عن القدم»، ونطلب منك أن تنوب عني فيما هو واجب عليّ حين تبليغ كلامي إلى لانبريد ريشة (الأمبراطورة) كما يجب... ولم يطرح السلطان في رسالته إلى الأمبراطورة كاثرينا الثانية المؤرخة في 10 شعبان 1196 = 22 يولييه 1782 قضية عقد المعاهدة التي أشار إليها السفير محمد بن الملك، ولكن الخطاب الملكي الموجه إلى عظيمة الروسية الأمبراطورة ورد فيه بعد السلام على من اتبع الهدى :

إننا لا زلنا معك على المهادنة والصلح المتقدم الذي جعل معك باشادورنا القائد محمد بن عبد الملك، ولما أردنا توجيهه لتلك الناحية بقصد الوصول إلى الأمبراطور (في فيينا) والكراند دوك (في طوسكانا)، كتبنا لك كتابنا هذا لتتعرفي منه أننا لا زلنا معك على ما تعتادينه من المهادنة والصلح، وكل ما تحتاج إليه مراكبك التي ترد لمراسينا فلا يمنعهم أحد من خدامنا في كل ما يتوقفون عليه، وكل من ورد من تجار بلادك لمراسينا فيكون له التمييز عندنا على غيره.

(17) بعث إلي بنص الترجمة سعادة الزميل الأستاذ عبد الهادي الصبيحي سفير المملكة المغربية بالاتحاد السوفياتي 1977 - 1970..

وهذا جواب الملكة كاثرينا الثانية على رسالة العاهل محمد الثالث، ومن الملاحظ أنها مؤرخة بيوم 21 يونيه من السنة الموالية 1783 :

وهذه ترجمتها: (18)

نحن كاثرين الثانية بفضل الله أمبراطورة سائر روسيا... وموسكو وكيف وفلاد مبر ونوفكورود ومالكة قازان واستطرخان وسيبيريا وملكة بسكوف والدوكة العظيمة ليمولينك وأميرة ديسطاند وليفلاند وكارولي وظيفر ويوكوز وبيرم وفياطكا وبلغاريا والياقي وملكة ودوكة أراضي نيوفوسكي نوفوكورد، تشيرنيكوفسكي وملوك كارطالينسكي وأميرة ولاية العهد.

إلى : الملك العظيم سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ملك المغرب وفاس وسوس ودرعة وتافيلالت وبلاد السودان...

لقد توصلنا برسالتكم المؤرخة بعاشر من شعبان 1196 = 22 يوليه 1782 التي سلّمها سفيركم محمد بن عبد الملك في بيزا إلى القائم بأعمال سفارتنا مستشار الدولة الأمير مورتيك، وقد لاحظنا بارتياح نياتكم الحسنة للسهر على السلم والصدقة مع أمبراطوريتنا، وكذلك أوامركم لسائر العمال والأمناء في المراسي بأن يقدموا المساعدة للسفن الروسية التي تصل للمراسي المغربية، ثم تعليماتكم للترحيب بالتجار الروس الذين يردون على المغرب وتمتعهم بما يتمتع به التجار الآخرون عند الورود والصدور.

وإن هذه الأخبار أدخلت علينا من جنابكم سروراً ومن أجل ذلك فإننا - استجابة لمبادرتكم الودية - نشعر بواجب معاملتكم بالمثل على أراضي أمبراطوريتنا الشاسعة الأطراف وهذا ما أريد أن تتأكدوا منه تمام التأكيد متمنين لمملكتم دوام الازدهار والتقدم.

☆ ☆ ☆

(18) تتحدث بعض المصادر عن أن روسيا كانت ضمن البلاد التي يتوجه إليها ابن عبد الملك كما تتحدث عن الهدايا المخصصة لطوسكانا وفيينا وموسكو من أسرجة مطرزة وثياب مقصبة وتتحدث عن أن البعثة المغربية كانت تتألف من نحو عشرين شخصاً.

Jaques Caillé : une Eambassade Marocaine à Vienne en 1783 Hesp. Tamouda 1962

عبد الهادي التازي - : العلاقات المغربية الروسية : مجلة البحث العلمي مايه - دجنبر 1967.

Постышестьдесять Милости Мы Сказеиши Второа

Императрица и Сандергуца Всероссийская : Москопская , Кенская ,
Белогородская , Новгородская , Царьца Казанская , Царьца Астраханская , Царьца
Сибирская , Бездарина Пермская и Великая Княгиня Смоленская , Княгиня Эстляндская ,
Ифландская , Карельская , Пшерская , Угорская , Пермская , Вятская , Белогородская ,
Вязанская , Ростовская , Ярославская , Бело-Одесская , Удурская , Оудурская , Кочуйская и всея Савернская
страницы Пошеитавишица и Сосударина Имперская эски , Кеттавикская и Гезинская Царей и Каварина ,
Сидя эски , Семаскица и Борниса Кнзей и иныи наследина Бездарина и Одадательнишица . Мы
спитыишиши Кнзю Сидю , Астакиста свик Сидя Кудаш , синя Сидя Имманила , Ситаня Маронский ,
Федиков Свонская , Анюсика Пшарикская и Офрина Спиркина Наше Императорское поздравление .
Почта Ваш Свонская Траикота ота Юу дна Кня Шаварна Дуб , попортя Посоа Ваш . Метакед Беня
Кемка пргудь па Пист Нашекъ поздравенна па дгакса Спашская Спитыиши Графъ Муцикииъ , жю
тесик . Мы ица оной са удопостишиица , паика выктое Ваше раслооуденіе сохранитъ пистаа реиктешю и пшеду
испреннии иера и дгедет са Имперей Нашей , тпакса и дгиспикителное па поиа наоаао динники ота баса
подпешниши Будонаотавнишица и трипашака портпак . Вашика снакдешити и адоиксипашате трикадшиа
па оныа сха Уксисий , па кика они вгудит паитъ нагудт , и спора пшакон Куттаца ица Имперей Нашей па
портпак Вашика па тгитарт и опшартур отпикасица и предпосителка твика пшакон дгудика нагудт . Шашикое
капешенне немерко вить Носка непикто са спотони бошиа и . Мы накетед , пакиксипти бошица дгудешниши
трощитишица . Неонкесикса па трощитоника обавеситка Имперей Нашей поздравити боика и подданника бошица
родное рошника , па кика бы ашешенно хпиреки вить доудитъ . Мы боика пшакон Ематъ
дако па трощитоника Нашека Графъ Сивонша пргудитъ па . Дгакса Май каткаса Пав . Дгакса и Сок
дгиспашони Нашеко дгудескпе Тенпакса Импера

جواب الملكة كاترين الثانية على رسالة السلطان سيدي محمد بن عبد الله... وهي تعرب عن ارتياحها من صالح الامبراطور

المغربي للسفن الروسية بالتردد على الموانئ المغربية.

والجواب مؤرخ في 21 يونيو 1783 (20 رجب 1197).

وبالرغم من أن المصادر التي نتوفر عليها إلى اليوم تقتصر على أن الغرض من مراسلات ابن عبد الملك هو «السلام والتجارة» إلا أنني مع ذلك واعتماداً على أن المغرب، على ذلك العهد، كان يتمتع بسمعة دولية طيبة فإني على مثل اليقين من أن المغرب كان يعتزم - إن لم يكن قد فعل - القيام بمساعيه الحميدة من أجل تطويق الخلاف بين السلطان عبد الحميد والأمبراطورة كاثرين على نحو ما قلناه في العلاقات المغربية النمساوية...

ويستأثر (مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام) بذكر إفادة تاريخية لم ترددها المصادر الأخرى التي بين أيدينا، ويتعلق الأمر بتزويد روسيا للمغرب بالقمح في أعقاب جفاف البلاد... عام 1238 = 1822 - 1823 أواخر أيام السلطان مولاي سليمان... لقد جلب هذا القمح من مصر ومن إفريقيا ومن أرض الموسك «يقول أبو العلاء صاحب المخطوط». (19)



(19) مخطوط الابتسام تقديم د. التازي ص 80/78، مجلة المناهل المغربية عدد 36 - 1987.

المغرب وبولونيا
عند طلائع الدولة العلوية...

خلال القرن الثامن عشر أخذنا نشاهد أثر الرحالة البولونيين على ساحل إفريقيا الشمالية وقد كان - في أبرز هؤلاء الكونط جان بوطوكي (J. Potocki) الذي حكى في مذكراته المكتوبة بالفرنسية عن أيام مقامه بالمملكة المغربية.

وبالرغم من حرصه على الحصول على نص هذه المذكرات... فإنني لم أقف سوى على ما ساقه الأستاذ إدوارد زيمانسكي (E.SZYMANSKI) وعلى ما أشار إليه زميلي السفير د.الحراقي في رسالته إلي بتاريخ 10 يولييه 1974.⁽¹⁾

إن (بوطوكي)، يقول زيمانسكي، كان شخصيةً أدبية وعلمية وكان يتوفر على نصب كبير من المعرفة ولو أن مخطوطاته ظلت مجهولة، لقد كان في حديثه عن المغرب وإقليمياً، وقد انتقد في البداية أولئك الرحالة الذين لا يتمكنون من رؤية الأشياء بعينهم الحقيقية والذين ينظرون إلى البلاد التي يزورونها بنظارات حملوها من مساقط رؤوسهم دون أن يجروا على تحسين ومسح زجاج تلك النظارات في البلاد التي يذهبون إليها وهكذا يتعرضون للأخطاء !!

لقد قدم بوطوكي دروساً مفيدة حول تاريخ المغرب وجغرافيته، وقد كتب أحد الأدباء البولونيين المشهورين أليكساند بروكنير (A. Bruchner) - قرب عقد الحماية الفرنسية، وبالضبط سنة 1911، كتب يقول عن كتاب بوطوكي : «إن ترجمته إلى البولونية ضرورية سيما وأن القضية المغربية لم تخرج عن الاهتمام اليومي للمجتمع الدولي».

1) نغتنم هذه الفرصة لنشيد بالمدرسة البولونية وما تحتضنه من مستشرقين أعلام أسهموا في كتابة تاريخ علاقات بلادهم ببلادنا من أمثال السادة لويكي (T. Lewicki) ودزينببتسكي (A. Dzinbinski) وزيمانسكي (E. Zymanski) ولقد كان الفضل في التعرف على خدمات هذه النخبة لسعادة الزميل الدكتور عبد السلام الحراقي سفير المملكة المغربية في فارسوفيا بداية السبعينات.

EDWARD SZYMANSKI : Les Premiers Relation Polono - Marocains de 17^e et 18^e Siccle Dapres des Sources Inedites 1965

Jan Korinek : L'Histoire des Relations Thecoslovaqqs Avec le Maroc. Introduction Par dr. ABDELHADI TAZI. Imprimerie Kawtar / Rabat 1975.

وبالرغم من أن (بوطوكي) لم يزر المغرب كله حيث إنه لم يصل لا إلى فاس ولا إلى مراكش. وبالرغم من أن رحلته اقتصررت أولاً على شاطئ البحر المتوسط حيث كان يقيم بطنجة أيام قصف المدينة من طرف الإسبان في بداية عهد السلطان المولى يزيد بن عبد الله الذي كان اتخذ من طنجة معتقلاً لسائر الإسبان الموجودين بالمغرب تمهيداً لمطالبة إسبانيا بإرجاع سبتة للوطن الأم!

ومن طنجة تحرك نحو الساحل الأطلسي إلى الرباط وسلا حيث كان العاهل المغربي يخيم وهكذا تمكن (بوطوكي) من الوقوف قريباً من الناس والتعرف على العادات والأخلاق، لقد كان مهتماً بالتربية والمشاكل التي تعيشها البلاد معتمداً على المؤلفات الفرنسية وعلى ما كان يتلقاه شفويًا، لم تكن معلوماته صحيحة مائة بالمائة لأن البلاد بعيدة عنه جداً فقد كان مهتماً بتاريخ الصقالبة⁽²⁾ وبوطنه الأول.. لقد كان يهيمه من المغرب أن يستمتع بهدوء الصحراء وباصطخاب الأمواج وأن يردد ما تحكيه المعالم التاريخية لهذه الشواطئ القديمة...

ومع ذلك فإنه ليس من المستبعد أن يكون مكلفاً بمهمة من قبل الدولة، فإننا نعلم أن مروره كان على باريز وأنه عاد إلى فارسوفيا صحبة الإيطالي مازي (MAZZEI) الذي كان طوال سنوات يقوم بوظيفة وكيل للملك البولوني سطانيسلاس أوكيست (Stanislas-Auguste).

وان مما يعزز - في نظري أنه كان مكلفاً بمهمة ما يحكيه عن اتصاله بالسفير المغربي المعروف محمد بن عثمان الذي تعرف عليه أولاً بالشرق أثناء سفارته إلى القسطنطينية عام 1197 = 1782 موفداً من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الله، والتقى به ثانية بمدريد عندما كان ابن عثمان سفيراً للمولى يزيد ابن السلطان محمد بن عبد الله، لدى كارلوس الرابع ملك إسبانيا بطلب من هذا الأخير...⁽³⁾

(2) نعرف جيداً عن مقام عدد من الصقالبة بالمغرب اعتنق عدد منهم الإسلام وأصبحوا آباء أو أمهات لأبناء مغاربة فكانوا جسراً بذلك لبناء علاقات إنسانية بين المغرب وبلاد السلاف.. ولا تزال كلمة (الصقلية) مستعملة إلى الآن في بعض المدن المغربية، وهي تعني غرفة خاصة في الدار مخصصة أصلاً لسكنى الصقلية الذي يساعد أصحاب الدار. التاريخ الدبلوماسي للمغرب 1 ر 310.

(3) الإكسبير لابن عثمان نشر محمد الفاسي المركز الجامعي للبحث العلمي 1965.

علاقات المملكة المغربية مع الدانمارك - السويد - النرويج في بداية الدولة العلوية

- بعثة الملك فريدريك الخامس ملك الدانمارك والنرويج إلى المغرب.
- الاتفاقية المغربية الدانماركية.
- مذكرات القنصل الدانماركي هوست.
- موقف المغرب من انضمام الدانمارك للمعسكر الروسي...
- تهادي الصقور بين ملوك المغرب وملوك الدانمارك.
- أسير سويدي يفتح الطريق للعلاقات المغربية السويدية !
- المفاوضات المغربية السويدية تؤدي إلى الاتفاق.
- العاهل المغربي بدرس الكرة الأرضية المهداة له...
- تجديد الاتفاقية على عهد مولاي سليمان وانضمام النرويج إلى السويد.

العلاقات المغربية الدانماركية على عهد الدولة العلوية

بالرغم من أن العلاقات بين الدولتين لم تواكب الأعوام الأولى لظهور العلويين لكنها لم تلبث أن تمكنت واستحكمت أيام السلطان المولى عبد الله عندما شعر كل من الطرفين بضرورة حوار الطرف الآخر...

وقد كانت الشخصية التي تولت إنشاء هذه العلاقات بين البلدين، هو الأمير سيد محمد بن عبد الله الذي دخل منذ سنة 1165 = 1751 أيام والده، الحياة الدولية، لقد وجّه نشاطه فعلا وبصفة أساسية للخارج...

ومن هنا تحركت بعثة من الملك فريديريك الخامس في اتجاه الجنوب المغربي وكانت برئاسة ج.ب. دولونكفيل (J.B. de longueville) حيث وطئت ميناء آسفي يوم 13 يولييه 1751...

لقد عقدت اتفاقية بين الدانمارك والمغرب، وهكذا قرأنا رسالة رقيقة موجهة من الأمير سيدي محمد بن عبد الله إلى ملك الدانمارك والنرويج الخ... بتاريخ 6 شوال 1164 = 30 يونيو 1751، يخبر فيها العاهل الدانماركي بأنه استقبل السفير لونغفيل وأرضى رغبته على ما نقرأه في المصادر الأجنبية.⁽¹⁾

ولم يحن تاريخ 5 يولييه حتى أعلى لونغفيل (Longueville) عن الاتفاقية المغربية الدانماركية، ولم يكتف بهذا ولكنه قام برفع راية الدانمارك على مبنى إقامته الأمر الذي سبّب بعض الاضطرابات التي كان في الإمكان تلافيها...⁽²⁾

ولم تظهر بوادر الإنفراج إلا عندما شجب العاهل الدانماركي تلك المبادرة التي أقدم عليها مبعوثه دون أخذ رأي الأمير المغربي.

(1) H. DE CASTRIE : Le DANIMARK et le maroc, hesp 1926 p. 327

(2) Host : L'histoire de L'Empereur du Maroc, Traduc, DAMGARD, p. 4

وبهذه المناسبة نجدد الشكر للسفير الدانماركي بالمغرب (1987) فريسفيك (FRELLESVIG).

وهكذا يفرج عن (لونكفيل) ويصدر مرسوم ملكي بتاريخ 16 شعبان 1166 = 18 يولييه 1753 إلى الملك فريديريك الخامس يتضمن المصادقة على اتفاقية كانت نتيجة تفاوض اتيان ري (Etienne Rey) الذي خوله محمد بن عبد الله التباحث مع لوتزو (Lützu) السفير الدانماركي الجديد...

وقد صدر بعد بضعة شهور من اتفاقية (16 شعبان 1166 = 18 يولييه 1753) مرسوم جديد للأمير سيدي محمد بن عبد الله يحمل تاريخ 27 ربيع الثاني 1167 = 21 يراير 1754 في شأن تأمين سفن الدانمارك مما يلحقهم من سفن أهل العدوتين سلا والرباط وكان هذا الظهير بمثابة تميم الاتفاقية السابقة.

وقد وجدنا اتفاقية أخرى مع الدانمارك، من ستة بنود بتاريخ 24 شعبان 1169 = 24 مايه 1765 وقد أکدها الأمير بكتاب طويل بتاريخ 4 شوال 1169 = 2 يولييه 1756.

وقد زاد في حظ الدانمارك أن أصبح صديقها الأمير، ملكاً بالفعل منذ يوم 24 صفر 1171 = 7 نونبر 1757 حيث امتد نشاط الدانمارك في المراسي الأخرى، وفي سنة 1759 بعث العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله بالقائد الحاج التهامي بن علي مدون للدانمارك يحمل بعض المطالب من ملك المغرب.

وقد استقبله الملك فريديريك استقبالاً حافلاً في كريسترانبورغ (Kristransborg) وعين السيد كاس (Kass) لمفاوضته.

☆☆☆

وفي هذه الأثناء كان المباشر - بالنيابة - لأعمال القنصلية الدانماركية هو جورج هوست (G. Host) الذي اشتهر بكتابه حول المغرب⁽³⁾ والذي كان صديقاً للعاهل المغربي الذي وجدناه يصدر ظهيراً يوحي فيه بعض القواد بحصانة هوست، وكان هذا المرسوم بتاريخ 2 ذي القعدة 1179 = 12 أبريل 1766.

(3) كان كتابه الأول الذي برز فيه بهذا العنوان :

Efterretninger om Marok og Fez Samlede Der Landee Par 1760 - 1768 Copenhagen 1779.

وكان من كتبه كذلك : Den Marokanske Kaiser Mohahed Ben Abdallah s. Histoire Copenhagen 1791.

وقد ترجمه للفرنسية دامكارد (Damgaard) وكينيار (Guignard) وعنه نقل بعض هذه المعلومات.

بسم الله الرحمن الرحيم طو الله على سيدنا ولينا ومولانا محمد وآله وصحبه
 ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن خصم بالله فقد هوى الى صرك مستنق

مسيرات

هذا الخبير محبوبك العزرا شواله شامخ البناء ملحوظ بعون الله بعير
 التخبين والغبور والى محتله تمشل بعض الله او امره وتبعها حكمه
 وجوس جول الله وفوته تخين وانصره كنفه بركة العظمى المراكبية
 حرسها الله وها كحما ووجر في انواع العجبات واصناف المسرات
 الشرا كحما لسلكا ردي مارا في جريد ردي خامس سلا كحما اهل المديار كى
 من اجناس النصرى تقيزا حجة له ولا خوانه على عهد افتنظا عزنا واسترعا
 راينا لا سربا لله وعزنا لا كحما لنا في من الطالع والمناجع لا سلاية والمناج
 مع رؤسا العروين الميار كحما اهل سلا واهل ربا ك العتق وسلا به فحتملا
 وابغلا سلا رفعتهم وامنا به الجنس المة كور واهل ديار كى من سمس
 اهل العروين المة كور تير الما في سجمع انجسا حيا ويتصلهم ندها با وايا با
 عروا وراها وجعلنه تقيما للصلح الله قبله نغز في سلا دس عيش شجار
 عام سنن وسننير وما في لاف الما جوهر تاريج الرور ثا من عيش ينيه سنن شلات
 وخمسير وسبع عيشي ما في لكور العروين المة كور تير لم نغز لا في لا اول ولا كرتا
 فيه بكل ما طاع اهل الجنس المة كور بسبب اهل العروين المة كور تير من طالع رعد
 هذا الصلح فجر نجلنا با ١٨ به ليع من مالنا الما لسننا والمناج صبا نجلنا ازا فيما
 بغلوكيوس لا متعنة والبضاعات وعلوسا به ربا ياع ورا حيار والساعات
 ورا نجلنا بهم هذا الطريقة واعطينهم عليك من لساننا الوتيفة ما لم نيفضول
 الصلح لا اول هاندا نغضم فينتفض هذا المؤخر وهذا الشرك مرعي ومعتبر
 زاله علوما نفول وكيلو هو حسبا ونعم الوكيل زرينا تعلمت قدرته يفي جيو متر
 المسير لغيرها فاهرة وعلو تير المة كور تير متعا ضك وضنا صكي وهزال الصلح العراف
 متلع سلكا ردي مارا في جريد ردي المذكور كان يوا سلكة صاحب التايب عند الفونصو
 المسمى ارب الفاكه شخا اسعد كتبت في ٢٠١٤ ربيع الثاني من عام ١٤٣٥ هـ

السلام على محمد وآله

الذي يريد ركب سلطانه يرما رجا اننا سسر وشوينا بنمنس منبا عم تكيشن ودي منا عم شيليشويينا
 هلتشيتون شوما ومانا عم دكشور سيز كنج منا عم الذر شورا كمانا عم نتر فتر شنت سلام على
 سراتنج الهد واما بحر وفد بلغنا كتابا لير وجمته مع صا حبط وغليرتدا الناب عندك وشر
 وفرنا له وعرينا جميع ما بيده وهرنا حبط حبة كثرنا وكثرنا به اكثر من جميع الباشد مرات الليس
 ورد واعلينا وفضلته عليهم في الكما نية وغير طارذ كنا ارسلنا ابيدها ليتجهل كبا نيتكم ويحلم عليكم
 انما في اماننا جلا نجيب ارفع فيها نصيحه ونيز بيرويلدنا الفونصولا في نتم لو كمانا الهد بعثته
 بفصل لمقام ببلادنا وها نخر انزلته برس سلا حسرها الله وجعلنا استيحا له بر با بحر العير
 حرسر لله ارضه وانقول له سلام كموله وعرينه وذلنا كملنا بركم في جميع مراسينا المباركة اسع
 واقدير وسلا ونكسوار وبعثته والحرابش وجميع المراسر واندشروا فيكم في نتم اركم واسرا كمانا
 ولنت حرمنا كمانا نكشوا شيئا وما زلتم اشرار الله لنا اورمنا خيرا كثرنا وانتم عندك اقرب
 من جميع اهلنا من النصر وعلى اختلاف جميع وكشرا انوا جميع واصنا جميع في عام كتم جنس عرنا
 وكتم الحظ اند في تينور لغيركم لا نتم اور من امرنا معه الصلح من النصر وذلنا له العسر مند
 وها نخر وجمنا لدا الفونصولا انر يسر ارب اليم كمانا ايا لنتنا مستكخلا بكملنا حيث امرت
 بحبيبه ومنزل حل ببلادنا لم تكسر عليه شبيهة وكنا ووا فجا في خرمنا وعنا مرط ولا قصر
 فيملايغ عليه مرجمتنا وجمتنا فانه او صلح با سننور بغيره ونملا فيه ودي ونفيل
 اللد وجمته ايلنا والا نملو وسوسر لنا فيه الناس حتر وفتح ما دفع وحيث بعثنا عن
 امره وكشنا عرنا له نبيس لنا قلا ما وسمو به جصا فاما كمانا عليه في اسمح له ولا ر
 وركه لمنزلته وصر ننته كساكار وها الفونصولا انتم ارسلته بيننور كمانا بيلدنا نا اعجبنا
 ونوسنا فيه العفل وفر قبله في النيا بة عنكم وانقيام بمحا والم والنوسك بيننا وبينكم
 في اموركم وكسور صوط هبا في اهل بيرمارك وفديغنا به فيما نغله لنا عندك بشو
 انت به في جبرنا به عنا والصلح المنعفر بيننا وبينكم ابغيتكم علوما هو عليه في نتم
 عفرته ولا يتكسر ونغض اليه في بيزرنا في نتم اشرار الله وذلنا كيرنا وكشرا ونجدر سيرا
 وها نخر وجمنا لدا كاحبة كوجر ومن معه مواهل بيرمارك قبل في نتم اليزير في خرمنا عليه وفديغ
 عليهم ولم نساوهم به في نتم كمانا يفده عليه في حبرنا وعررنا من كيتبه عرنا من المولود
 اسماء الله في نتم من كشر حسرها الله وها كمانا ووقر من نوات اليم اننا وصفا المسرات
 انسا كمانا في رابع نتم الال مبارك في علمنا تسعة وستين ومائة والعسة



رسم للسلطان سيني محمد بن عبد الله 1766 = 1179 يتقبل بعثة ديبلوماسية دانساركية يتقدمها
السفير... وقد أحاط بالجاهل المغربي ثلة من العلماء وكبار الدولة. والرسم من كتاب القمصيل
المانساركي الذي عمل في البداية وكيلاً للفرقة المانساركية بأسمي ثم بلا قبل أن يصبح قنصلاً
للمانسارك بالمغرب، عن كتاب Host حول المغرب صفحة 142 - 143.

وقد وصل يوم 29 يولييه 1767 قنصل كوبنهاك السيد جانس كوستروب (Jens Koustrup) لمفاوضة المغرب من أجل إبرام معاهدة جديدة، وكان الذي عهد إليه من طرف العاهل بالتفاوض مع القنصل الدانماركي هو الأمير مولاي ادريس ابن عم السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

وقد تمّ التوقيع فعلاً على الاتفاقية يوم 28 صفر 1181 = 26 يولييه 1767. وبمقتضاها سلم الدانمارك للمغرب عدداً من المواد الحربية، وكانت الاتفاقية لصالح المغرب وبخاصة الفصل التاسع عشر الذي ينص على ما يجب أن تسلمه الدانمارك سنوياً إلى المملكة المغربية...⁽⁴⁾

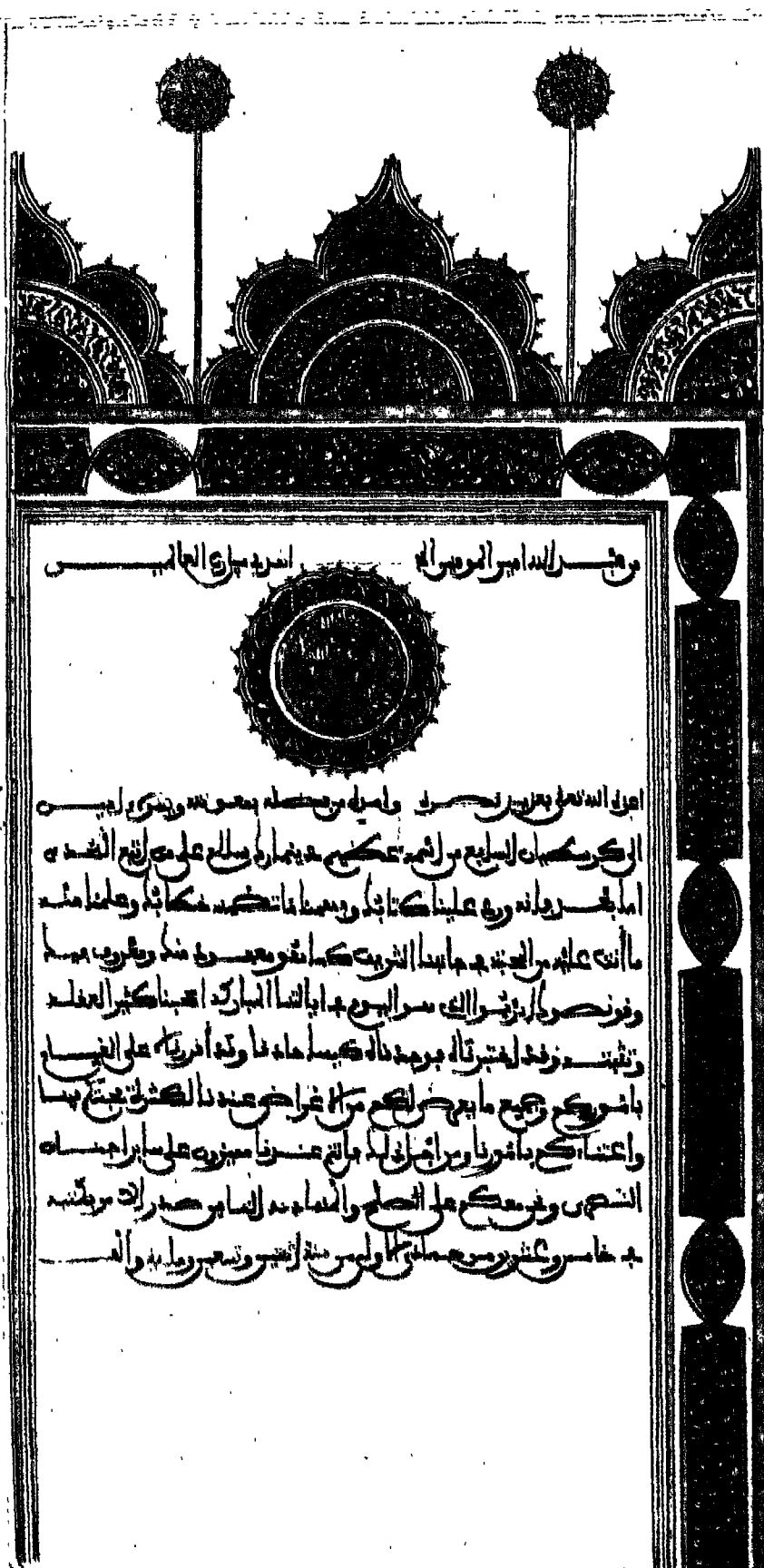
وحدث في منتصف جمادى الأولى 1189 = أواسط يولييه 1775 أن استقبل العاهل المغربي قنصل الدانمارك شوماكير (Shumacher)... ولما كان هذا القنصل لا يبصر من بُعد (Myope) فقد التمس من العاهل أن يأذن له بالاقتراب منه وأن لا تبقى المسافة بينهما عشرين خطوة! إنه يجب أن يتعرف على ملامح العاهل العظيم عن كثب!! فابتسم العاهل وأذن له بالاقتراب من عربته على نحو من ثلاث خطوات فقط.. مخاطباً إياه: في المستقبل يمكنك أن تراني عندما تريد.⁽⁵⁾

وهنا زود القنصل برسالة تحمل التاريخ السابق إلى ملك الدانمارك كريستيان السابع.

ومن جهة أخرى فإنه من الطريف أن نذكر هنا كذلك رسالة ملكية بعث بها العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 22 ذي الحجة 1202 = 23 شتنبر 1788 إلى نائبه بطنجة وأمره أن يوزع نسخاً منها على سائر القناصل المعتمدين في العاصمة الدبلوماسية، وفي هذه الرسالة يطلب ملك المغرب من الدانمارك على مرأى ومسمع من المجموعة الدولية أن تساعد السويد

(4) ابن زيدان: الإتحاف 3، 283 - 290 - كايي: الأوقاف الدولية ص 195، هذا وإن كناش شروط الأجناس الذي تحتفظ به «الخزانة الحسينية» تحت رقم د. 1964 يكتفي بذكر مضمّن الشروط باختصار...

(5) وكالة أنباء المغرب العربي: لوماتان - الأنباء - 15 يبرابر 1988.



من قبل الامير الموريتاني
العزيز بن المصطفى



الحمد لله الذي جعل في قلبه
الكرامات السليمة من لثمة
الملك والارواح والسياسة
ما انت عليه من العبد في
وفور صوابه في كل ما
وتفتت في فداي فترتاه
باصريه في كل ما يرضي
واعتناءكم باقرنا من
الشمس في كل ما يرضي
في خامس عشر من جمادى
الاولى سنة 1192

من الوثائق الجميلة التي يحتضنها الأرشيف الوطني في محوبتها كن : رسالة موجهة من الملك محمد الثالث إلى الملك كريستيان السابع بتاريخ 25 جمادى الأولى 1192 = 25 يونيو 1771 هـ، جواباً على رسالة للعاهل الدانماركي مجدداً عواطفه نحو ملك المغرب الذي أخبر نظيره بأن القنصل إيربو AIRBOE وصل إلى المغرب وأنه سيلقى كامل المساعدة نظراً «لكثرة محبتكم فينا واعتنائكم بأمورنا... ونحن معكم على الصلح والمهادنة التامين...».

عوض مساعدتها للروسيا (الموسكوس) التي هاجمت السويد بدون موجب على حد قول الرسالة...

إن موضوع محاربة الدانمارك - وهي صديقة للمغرب - للسويد، ووقوفها بذلك إلى جانب روسيا التي تحارب العثمانيين، كل هذا أزعج العاهل المغربي وعقد الحلول أمامه...

وهكذا توجهت رسالة أخرى من مكناس مكتوبة بالإيطالية إلى السلك القنصلي حررها فرانسيسكو شياب الجنوي أحد المكلفين بالعلاقات الخارجية.

ومن المهم أن نعرف أن الذي أبلغها هو الشخصية المغربية المعروفة أبو القاسم الزاياتي الذي عهد إليه بشرح الرسالة وقد عهد إليه أيضاً بأن يصرح شفويّاً بأنه يحترم الدانمارك وإنما يعتب عليها موقفها الذي لا يتناسب وحقوق الجوار مع السويد...

لقد تبين أن الدانمارك كانت ملتزمة بحلف سابق مع الأمبراطورة كاثرينا... وظهر أن وقوف السويد مع تركيا لم يكن يباعث غير الباعث المادي..!

ومن هنا نرى العاهل - حرصاً على كسب الفريقين وإشعارهما بأنه لا يفرق بينهما في المعاملات - يبعث لهما بهدايا متساوية بتاريخ 26 صفر 1203 = 25 نونبر 1788 وقد تولى حمل الرسائل هذه المرة لكل من ملك الدانمارك والسويد السفير الطاهر فنيش الذي حمل معه للملكين المذكورين معطفين رفيعين من الفرو كانا أهديا للملك من الخليفة العثماني... واختار العاهل المغربي هذه الهدية على الخصوص نظراً لما سمعه عن حالة الطقس في كل من البلدين !!

ومن المهم أن نشير في ختام الحديث عن علاقات السلطان سيدي محمد بن عبد الله مع الملك كريستيان السابع إلى نوع من الهدايا المتبادلة كانت - كما نعلم سلفاً - تعبر عن وصول العلاقات الثنائية إلى قمّتها في التعاون والتفاهم، ويتعلق الأمر بمهاداة الصقور التي تعتبر في الاصطلاح الدبلوماسي أسمى تعبير عن الصداقة المتينة...

لقد كان للعاهل المغربي عدد من الصقور على ماهي عادة الملوك المغاربة من قديم، وحدث ذات يوم أنه قرر أن يتخلص من صقوره فحرّرها جميعاً لكنه وقد توصل اليوم (أول عام 1789) من ملك الدانمارك بنماذج من الصقور، عاد إليه الحنين لتلك الهواية...! فعاد إليها بعد أن أفتاه العلماء... وقد أكرم البازيار الذي صحب الصقور وكان يحمل اسم فيرهوفن (VERHOUVEN) وبعث هو بدوره بصقرين من المغرب... على ما نقرأه في الرسالة التي نشرناها في كتابنا حول الصقور بين المشرق والمغرب...⁽⁶⁾

ولما اعتلى السلطان المولى سليمان على العرش المغربي بعثت الدانمارك بسفير لها إلى العاهل لتقديم الهدايا التقليدية، وبعث مع هذا بهدية تعيد إلى ذاكرتنا ذلك التقليد الجميل الذي أشرنا إليه، وأقصد بذلك المهادة بالصقور والبزاة على ما قلنا...



(6) عبد الهادي التازي : القنص بين المشرق والمغرب، المطبعة العصرية 1890 ص 49.
George Host : L'Histoire de L'Empereur de Maroc, Traduc. damgaard et Guinnard.

وهكذا ورد مبعوث الدانمارك ينقل معه نحو الثلاثين قنطاراً من المعدات الحربية مع عشرة أنفاض إلى جانب بازين... وكان السفير مصحوباً بورقة اعتماد مكلفة ومطوقة بالذهب تسلمها العاهل ووضعها على سرجه حسبما يرويهِ المؤرخ المغربي الضعيف في كتابه عن تاريخ المغرب⁽⁷⁾

وعلى نحو ما حدث - بعد سقوط الجزائر في يد السلطات الفرنسية - من مفاتحة عدد من الدول الأوروبية للمملكة المغربية في أن تسقط عنها الإتاوات التي كانت تؤدي سنوياً للخزينة المغربية، فقد وجدنا أن الدانمارك يقوم بدوره بالمحاولة.

وقد أورد النقيب ابن زيدان ترجمةً لكتابٍ وارد من كوبنهاجن إلى قنصل الدانمارك بطنجة يتضمن اقتراح الحكومة الدانماركية على الوزير ابن ادريس التوسط لدى العاهل المغربي لمراجعة المعاهدة المعقودة بين البلدين... وكانت هذه الرسالة بتاريخ 10 مايه 1844 = 20 ربيع الثاني 1260.

ثم نجد بعد هذا الاتفاق المنعقد بين الطرفين في العرائش حول هذا الموضوع بين القنصل الدانماركي كريستليس وبين القائد بوسلهام ابن علي بتاريخ 27 ربيع الأول 1261 = 5 أبريل 1845.

العلاقات المغربية السويدية على عهد الدولة العلوية

لم يُنَبَّه الملك أدولف فريديريك ملك السويد إلى بلاد المغرب الأقصى سوى الأخبار التي وصلت سطوكولم عن الأسرى الذين يوجدون بفاس في بلاط السلطان المولى عبد الله !!

وهكذا نجد جماعة من أولئك يقعون في يد بعض المجاهدين البحرانيين المغاربة في صيف عام 1754 = قعدة 1167 حيث ينزلون مدينة تطوان ليقتصدوا منها برّاً ظاهر مدينة فاس وبالضبط في «دار الدبيبغ» التي كانت مقرّاً للعاهل المغربي...

(7) تاريخ الضعيف، تحقيق أحمد أحمد العمري دار المأثورات ص 308.

ومن الطريف أن نجد أحد هؤلاء الأسرى وهو ماركوس برك (Marcus Berg) يقوم بتدوين مذكراته عن السنتين والسبعة أيام التي قضاها أسيراً ببلادنا، وقد ترجمت هذه المذكرات مؤخراً إلى الفرنسية من طرف جاك مكو⁽⁸⁾ (J. Macau).

وبصرف النظر عما حكاه عن ظروف حياة الأسر، وبصرف النظر عما تشتمل عليه هذه المذكرات أحياناً من لغو القول وافتراض الأشياء⁽⁹⁾ فإنها من جهة أخرى تكتسي أهمية بالغة لما تستأثر به من حقائق، وما تقدمه إلينا بخاصة أثناء السنتين اللتين تصادفان أواخر سلطنة المولى عبد الله... وأيام التفويض لابنه الأمير سيدي محمد، وقد كان ماركوس ينعث مولاي عبد الله بسلطان فاس وينعت ابنه بأمير المغرب...

وقد قدّم (ماركوس بيرك) حديثاً مسهباً عن الزلزال المروع الذي ضرب مدينة فاس وسائر قواعد المغرب : مكناس - سلا - الرباط... هذا الزلزال الذي شوه معالم المغرب تشويهاً تشهد به أطلال مكناس وعوالي منار حسان...⁽¹⁰⁾

8 الكتاب يحمل اسم : (Barbariska Slaferiet) وقد طبع طبعة أولى عام 1757 ثم طبع طبعة ثانية 1961 وكلاهما باللغة السويدية. واغتنم هذه الفرصة لأقدم شكري للسفير السويدي في بغداد أوائل السبعينات الزميل غونار بيرينك (G. Jering) والسفير السويدي في الرباط أواسط 1976 السيد أك سيولان (Ake Sjöln) الذي تفضل وأهداني نسخة من الترجمة الفرنسية مطبوعة على الآلة الكاتبة بعنوان : Description... وشكري كذلك للسفير السويدي المتقاعد والمقيم بالعرائش السيد كونت بيرنستروم (Knut Bernstrom) الذي دلّني على الأصل بمناسبة زيارة المستشرق السويدي للمغرب السيد كنوتمسن (Knutsson) في أبريل 1986 وأخيراً شكري للسفير الذي ودعنا عام 1987 لوندكريست أرن (Lundqrist Arne)...

9 كان مما حكاه وهو يفسر لمواطنيه سرّ ذبح الكبش بمناسبة عيد الأضحى : أن نبي الإسلام كان يأمر كل واحد من أصحابه بذبح يهودي في ذلك اليوم ولكنه لم يلبث أن عدل عن ذلك إلى الكبش بعد أن تزوج ﷺ بيهودية !!

10 حديث ماركوس عن المليون نسمة يعطي فكرة عن قوة هذا الزلزال الذي اشتهر في التاريخ بزلزال ليشبوننة، وقد تحدث عنه محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري في النصف الثاني من نشر المثاني ص 266 عند الكلام عن العام التاسع من العشرة السابعة... ابن زيدان : الإتحاف 4 ، 464.

كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة تحقيق سعيد النجار، مطبعة الرباط 73 - Magali mag 1974
Morsy : le Tremblement de Terre de 1755 d Apres des Temoignages d Epoque. Hesp. 1975 p. 89.

القادري : حوليات نشر المثاني، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي 1976 ص 77 - 78.
الترجمة الفرنسية لماركوس ص 32 - وبالسويدية ص 45.
الإتحاف 4، 482.

وقد كان مصدر اهتمام (ماركوس) بالوقاش أن هذا - وهو مكلف بالعلاقات الخارجية - هو الذي كان يتخاير في شأن تحرير الأسرى سواء من الإسبان أو البرتغال أو الإنجليز أو الفرنسيين أو السويد...! لقد كان بفاس زهاء مائة وستة وستين أسيراً من أوروبا على هذا العهد..!

ويتخلص ماركوس بعد هذا لتذييل مذكراته بمعلوماتٍ عن المغرب آنذاك لا تخلو من فائدة... فهو يتحدث عن ملك تمتد سلطنته إلى غينيا بالرغم من الظروف القلقة التي كانت تعيشها المملكة، وهو يتحدث عن العاهل على أنه من هواة الموسيقى وهو الأمر الذي تسنده المصادر المغربية على ما أسلفنا...

ويتحدث بعد هذا عن التسامح الديني في المغرب وعن عدد الكنائس التي كانت بمختلف المدن المغربية الكبرى...

☆ ☆ ☆

ويتحدث المؤرخ المغربي الضعيف (1165 - 1233 = 1752 - 1818) عن أن سنة 1172 = 1758 - 59 شهدت الاستيلاء من لدن الرايس محمد عواد مانيطة السلاوي والرايس محمد عواد قنديل السلاوي والرايس العربي المستيري الرباطي على سفينة سويدية... في أعقاب مطاردة استدعتها بعض الظروف حيث نجد العاهل يكافئ الرؤساء بوسام «الياتاغان» الأمر الذي شجع المستيري على الكرّة مرة ثانية على سفينة أخرى للسويد...!

ويظهر أن هذه الأحداث هي التي كانت وراء قرار البرلمان السويدي في أن ينشئ علاقات سلام مع المملكة المغربية فيما يتعلق بالتجارة والملاحة.

وقد عهد إلى السيد بيتركريستيان وُولف (P.C. Wulff) أن يدخل في مفاوضات مع المغرب وبالذات مع نائب السلطان بطنجة القائد عبد الصادق بن أحمد الريفى...

وكان وصول وُولف إلى المغرب في نهاية شهر مارس 1763 = 3 ذي القعدة 1176 حيث أبرمت اتفاقية بين محمد الثالث وأدولف فريديريك.

Beskrifning
Öfver
Barbariska
Slafveriet

Uti
Kejsaredömet
FEZ och MAROCCO,

öf
och förthet författad

MARCUS BERG,

Som tillika med många andra Christna det
samma utstådt Swenne År och Siu Dagar,
och derifrån blifwit utlöst tillika med Åtte
stycken andra Swenska den 30 Augusti

1756.

Under wår Allernådigste Konungs

ADOLF FRIEDRICHS

Milda Negering.

Stockholm,

Tryckt hos LOR. LUDV. GREFING, 1757

مذكرات الأسير السويدي

ولم يلبث الطرفان أن أمهرا اتفاقية من ثلاثة وعشرين فصلا تحمل تاريخ
3 ذي القعدة 1176 = 16 مايو 1763 تحتفظ بنصها المكتبة الوطنية في
سطوكولم، وقد استعملت فيها بعض المفردات الأجنبية. كان منها كلمة باشاجير،
بمعنى (Passagers). (11)

(11) د. التازي: المعجم الدبلوماسي، بحث قدم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة يراير 1988 - مجلة
البحث العلمي العدد 37 - 1928.

Handwritten notes in the top right corner, including a circular stamp and some illegible text.

العلم وحكمه من انواع العلم... ذلك وان كان على السواء...

في كسر الشئ وكسب المشتراة



Main body of handwritten text, starting with 'اشياء الله وان يكونوا...' and continuing with various philosophical and legal discussions.

ومن الطريف أن نقرأ في «تاريخ الملك محمد بن عبد الله» الذي ألفه هوست أن أميرة مغربية معروفة باسم لالة الكبيرة تتوسل للسفير السويدي وولف (Wolf) ليحظي باستقبال العاهل الذي أعطاه مهلةً جديدةً للوفاء بالالتزامات التي قطعها على نفسه...

وبمناسبة اعتلاء الملك كوستاف الثالث العرش عام 1771 بعث السلطان سيدي محمد بن عبد الله بوفادة تهنئة برئاسة القنصل وولف تحمل الهدايا والتحف... وقد ابتهج عاهل السويد لهذه الالتفاتة من ملك المغرب وأجاب ببعثة تحمل الهدايا والمعدات البحرية برئاسة الماجور ابراهام فون سطاندن (Stenden).

وقد سجل شاهد عيان : هوست (Host) الدانماركي أن العاهل المغربي عند استقباله لهذا السفير السويدي عام 1186 = 1773، كان جالساً أمام كرتين أرضيتين وهو يضع إشارته على موقع مملكة السويد سائلاً الماجور سطاندان (Stenden) عن حدود بلاده ومميزاتها، ويتحدث عن الصداقة التي تربط بينه وبين العاهل السويدي... وهذا هو موضوع رسالة العاهل المغربي إلى ملك السويد كُشِّطَ بتاريخ 20 ذي القعدة 1186 = 3 يراير 1773.

وخلال السنوات اللاحقة تتابعت سفارات من سطوكولم على ملك المغرب وهكذا نسجل عام 1777 اسم الكولونيل البارون سطر و مفيلت (Strömfelt) الذي شهد الاتفاقية الجديدة التي عقدت بين المغرب والسويد بتاريخ 7 شعبان 1191 = 10 شتنبر 1777 وهي تتألف من خمسة فصول تماماً على نحو اتفاقية المغرب مع هولاندا في نفس اليوم...

وفي سنة 1785 ورد الماجور فون روزانستين (V. Rosensteen) يحمل معه ما ترتب على السويد وقد كان فيما صحبه من الهدايا عدةً من الآلات الحسابية والعلمية التي كان العاهل يهتم بها على ما يذكره هوست في تاريخه للسلطان سيدي محمد بن عبد الله...

وفي شهر غشت سنة 1791 في أعقاب وفاة السلطان سيدي محمد رحمه الله كانت سفارة السويد إلى المغرب برئاسة الكولونيل فون روزانستان السالف

الذكر الذي جدد الاتفاقية المتقدمة مع العاهل المغربي المولى اليزيد بالرغم من ظروف هذا الأخير.

وتتابعت في السنوات اللاحقة السفارات بانتظام على ما هو محفوظ :

وهكذا ففي سنة 1798 ورد بليسينك (Blessing) الذي استقبله المولى سليمان - بعد أن غادر قصره بدار الديبغ - بباب البوجات يوم ثاني محرم 1213 = 16 يونيو 1798 حيث أهدى للعاهل نحو المائة قنطار من المعدات إلى صناديق فيها نفائس الثياب والملف والكتان وزع بعضها على العلماء على ما يذكره المؤرخ الرباطي الضعيف...⁽¹²⁾

ولابد أن نلاحظ أنه بعد عام 1814 أصبحت النورفيج والسويد متحدة، ومن ثمت فإن علاقات المغرب بالنورفيج كانت عبر السويد إلى أن استقلت عام 1905 حيث سيخبر المغرب بحلّ الاتحاد واستقلال النورفيج.

وقد سجل التاريخ اسم قنصل مساعد للسويد والنورفيج بالمغرب على عهد السلطان المولى سليمان ابتداء من سنة 1811 إلى عام 1822 حيث أصبح شخصية غير مرغوب فيها وقد كان يحمل اسم جاكوب كرابيرج دي هيمسو (J. G. de Hémsø).⁽¹³⁾

وأخيراً نذكر أنه بعد إسقاط الإتاوة عن الدانمارك جاء دور السويد الذي طالب هو الآخر بإسقاط الأداء عنه «إحساناً من مولانا وإنعاماً وتفضيلاً...».

وقد أبرم عقد حول هذا الموضوع يحمل تاريخ 8 رجب 1261 = يولييه 1845.

(12) تاريخ الضعيف تحقيق العماري 1986 ص 307.

(13) عرف هيمسو بكتابه باللغة الإيطالية حول تاريخ المملكة المغربية جغرافياً وإحصائياً وهو يعتبر من المراجع التي يستشيرها المهتمون بالحديث عن المغرب وقد طبع في جنوة عام 1834 ويحمل عنوان : Specchio, Geografico, e Statistico Dell Impero di Marocco.



صورة لقنصل السويد بطنجة، جاكوب دي هيمسو (1821 - 1822)
لقد ألف كتاباً عن المغرب باللغة الإيطالية وطبع في جنوة.

علاقات المملكة المغربية مع : جنوة - طوسكان - البندقية - سردينية وموناكو - صقلية و نابولي علاقات المغرب مع حاضرة الفاتيكان

خطاب السلطان مولاي اسماعيل لحاكم جنوة.

- صدى محمد بن عبد الله في أرشيف الدولة بجنوة.
- الاتفاقية المغربية الجنوبية - جنوي يعهد إليه بمهمة الاتصال بالخارج.
- محمد بن عبد الملك سفير المغرب في طوسكانا
- الاتفاقية المغربية البندقية.
- مراسلات السلطان مولاي سليمان مع حاكم فينيسيا...
- الاتفاقية المغربية مع صقلية و نابولي.
- مولاي عبد الرحمن يجدد الاتصال بالصقليتين.
- استمرار الملوك العلويون في مساعدة مبعوثي حاضرة الفاتيكان.

علاقات المملكة المغربية بجمهورية جنوة على عهد الدولة العلوية

ولقد وقفت في أرشيف الدولة بجنوة على منجم من الوثائق المغربية فيها ما كان مترجماً إلى اللغة الإسبانية تسهيلاً على رجال الدولة في جنوة.. وفيها ما كان مكتوباً فقط باللغة العربية...

وفي صدر ما استرعى انتباهي خطاب من السلطان مولاي اسماعيل إلى رئيس جمهورية جنوة، وقد كتب باللغة الإسبانية مصدراً بالطابع الكبير للسلطان المذكور، وقد حرر بمكناس ويحمل تاريخ 1122 هـ = 1710م ويتعلق الأمر بسفارة مغربية تتفاوض لبناء قواعد السلام والتجارة بين البلدين...

ومن ضمن الوثائق المغربية التي وقفت عليها في جنوة رسالة من السلطان مولاي زيدان ابن السلطان مولاي اسماعيل موجهة إلى دوك جنوة حول إرسال بعثة مغربية، وهو يطلب أن يعتني بالمبعوث ويُقضى الغرض الذي من أجله راح، وقد كان الموضوع يتلخص في تسهيل القيام بزيارة لصلة الرحم بين أخ من جنوة يقيم في المغرب وأخيه الذي يقيم في جنوة !

وكانت الرسالة تحمل تاريخ أول محرم سنة 1112 = 18 يونيو 1700.

وبعد هذا نجد رسالة من العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله مؤطرة بألوان زاهية وقد حُفظت في غلاف أخضر مطرز بهلال من خيوط ذهبية، ويحمل تاريخ 7 شوال 1181 = 2 يبرابر 1769 يُمضي فيها العاهل المغربي ما

الشيخ
الرحمن
الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم وكما حوّل قوة الأبطال العظمى الأوائل

إلى أسلحتهم ودرشهم جنوة...
أما بعد فاعلم أننا لم نكتب لكم إلا ما نعرفه من صفة هذا الكون...
دعيتكم ديزنازيدي رغبنا هو واخوانه واهلبوا منا ان نبعث لكم علمه...
ما جئناكم اليه ذلك وقبلنا ان نبعثكم به معناه...
بهم والأنا اننا علمنا به واننوبه به حين أوردنا...
دعيتكم ديزنازيدي وكذا بتر عزمنا اننا علمنا...
دعيتكم ديزنازيدي وعزمنا انها مشايخ راسه وكذا هو من جملته...
البلاد كما انه لم يدر على سر افنا وحيث ختمتنا...
ما جئناكم به عزمنا اننا علمنا به...
كلهم من استأجنتهم معكم وكذا بتر عزمنا...
أول مخترع الخراج فاتح سنننا اثني عشر ومائة وراعي



طلبه حاكم جنوة من حاكم تطوان القائد محمد عاشر⁽¹⁾ ثم نجد بعد هذا أثراً لمنح جمهورية جنوة حق امتياز من قبل السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1182 = 1768 في مقابلة الخدمات المعتاد تقديمها للمغرب»،⁽²⁾ ونجد في نفس الظرف تفصيلات لهذا الإجمال، ويتعلق الأمر برسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الحاج محمد عاشر تحمل تاريخ 22 جمادى الأولى 1182 = 4 أكتوبر 1768 تعهد له في التفاوض مع جنوة من أجل تعزيز العلاقات...

ويذكر هوست في تاريخه لأمبراطور المغرب محمد بن عبد الله أن سنة 1771 (1184 - 85) شاهدت التاجر الجنوبي ماركيز فيالي (M. Viali) يؤسس شركة تجارية بمراكش، ولكنه لم يلبث أن أغلقها وأقام بالصويرة واشتغل بالتجارة في الحبوب... وهناك سيستقبله العاهل في تافيلالت يوم 9 نونبر 1783 (13 ذي الحجة 1197) حيث قدم له البارون شوارتز Schwartz الذي كان يدعى أسقف البوصنة والذي ورد فقط من أجل الاستطلاع والسياحة على ذلك العهد.

ثم بعد هذا نجد نصوص الاتفاقية المبرمة بين الطرفين بتاريخ 7 شعبان 1191 = 10 شتنبر 1777 وكانت من ستة عشر بنداً، على مانجده في المصادر الإيطالية.⁽³⁾

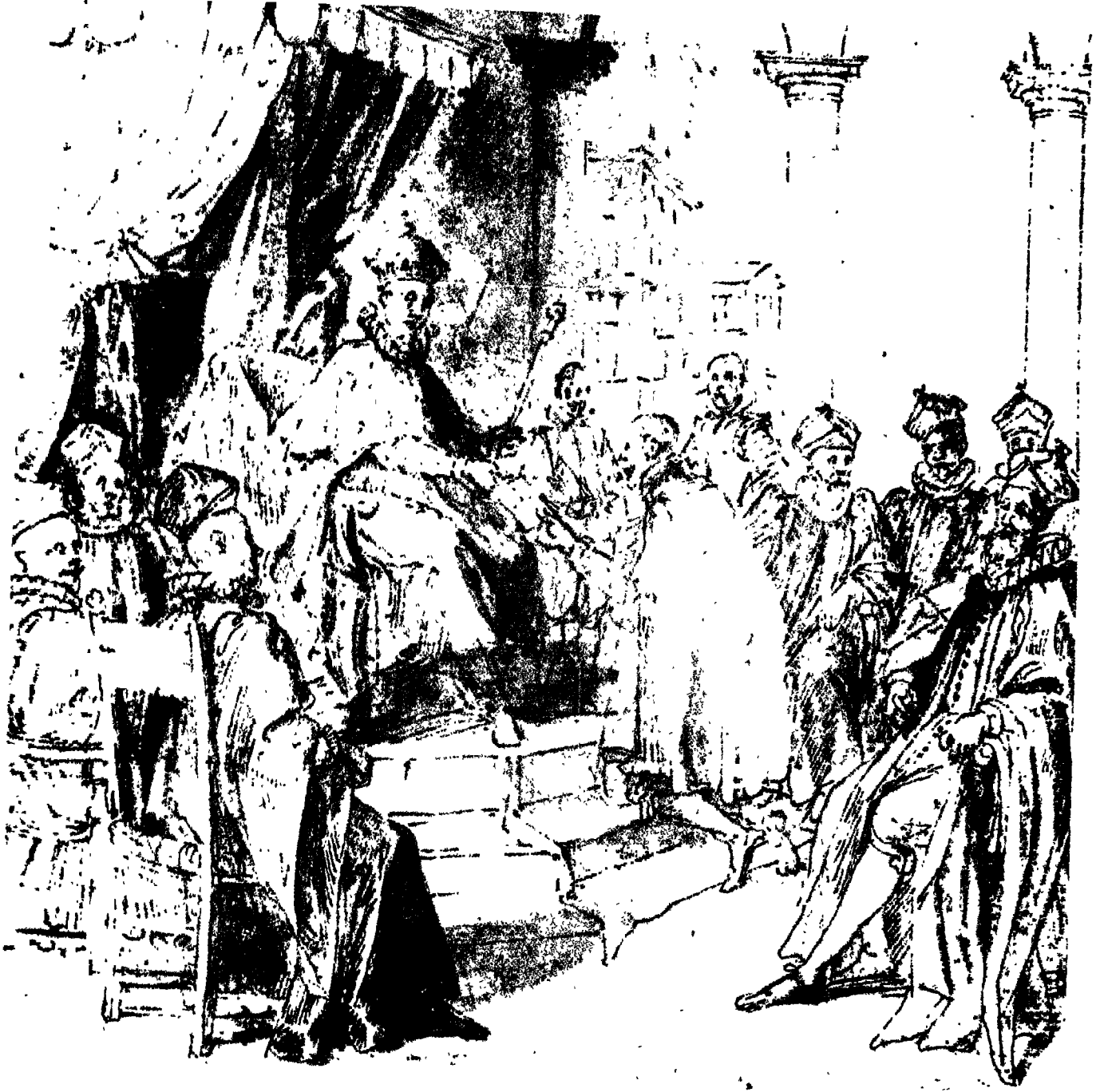
ولا بد أن نشير بالإضافة إلى هذا، إلى المنشور الذي أصدره العاهل المغربي بتاريخ 20 دجنبر 1777 والذي يعطي فيه لعدد من الدول امتياز الدخول للموانئ للتنزود بالحاجيات ومباشرة التجارة وكان منها جنوة...

وقد عثرنا على رسالة من القائد محمد بن عبد الملك إلى أمير جنوة يخبره فيها بالعزم على إرسال سفير عن السلطان سيدي محمد بن عبد الله، هذا السفير هو الحاج محمد السراج الذي يصحبه اثنان من الموظفين... كانت هذه الرسالة بتاريخ 11 محرم 1194 = 18 يناير 1780...

(1) راجع المجلد الأول من هذا الكتاب - ص 185 و صفحة 294.

(2) Ibn Azzuz : Pactos 217

(3) Maria Nallino : Documenti Arabi... Rivista degli Studi Orientali XXI p. 51-76



حاكم جنوة يعطي تعليماته لسفرائه - عن أرشيف الدولة جنوة

Il Doge consegna le "Istruzioni" ai "Ministri"

Archivio di Stato di Genova, aut. 5.1.1982 N° 3261 V/9.81

ثم تأتي رسالة أخرى إلى حاكم جنوة، وهي تحمل تاريخ 23 شعبان 1196 = 3 غشت 1782 ويتعلق الأمر باعتماد السفير القائد محمد بن عبد الملك من أجل مفاتحة جنوة في أمر تحرير الأسرى...

ثم رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى عظيم جنوة بتاريخ 24 شوال 1198 = 10 شتنبر 1784، وهي أيضا في موضوع تحرير الأسرى المسلمين حيث يقول العاهل : «إن تحرير مسلم واحد أفضل من كل هدية تقدمها إلي...!».

وها نحن الآن مع أحدهم ممن ينتمي لجنوة ويتعلق الأمر بفرانسيسكو شياب F. Chiappe الذي كان يحرر الرسائل إلى السلك القنصلي باللغة الإيطالية والذي كان رفيقاً لابن عثمان وأبي القاسم الزباني..⁽⁴⁾

وإلى جانب هذا نقف على أمر ملكي للقنصل الفرنسي بابتيسط بتاريخ 3 - 1202 = 1787 - 1788 ليفتدى الأسرى المغاربة في عددٍ من الجهات، منها جنوة ورومة ومالطة.⁽⁵⁾

علاقات المغرب بالطوسكان

وفي إطار السياسة الخارجية للمملكة نجد العاهل سيدي محمد بن عبد الله يكتب بتاريخ 30 رجب 1181 = 8 دجنبر 1767 إلى حاكم طوسكان بيير ليوبولد الأول (Pierre Liopold I) الذي ينعتة ملك المغرب بعظيم الطليان الكراند دوك.

لقد كتب إليه بواسطة التاجر المغربي الحاج علي مدينة التطواني الذي تعرّض المركب الذي يحمل فيه وسقه لعملية قرصلة بالرغم من أنه يحمل علم الطوسكان، إن قانون البحر يقول : «إن البنديرة ضامنة»⁽⁶⁾ ولذلك فإن الملك يطلب من عظيم الطليان أن يعمل على إرجاع متاع الحاج علي مدينة !

(4) د. التازي : العلاقات بين المغرب و جنوة، المؤتمر العالمي الثالث للدراسات التاريخية في جنوة (3 - 5 دجنبر 1987).

Miscellanea di Storia Delle Esplorazioni Studi di Storia Delle Esplorazioni Genova.

(5) المجلد الأول من هذا التاريخ ص 295 - والمجلد الثاني ص 61 - 62.

(6) ورد في المجلد الخامس : «الراية تحمي البضاعة» صفحة 238.

ولم تلبث العلاقات أن تطورت بعد التصريح الذي أصدره العاهل بتاريخ 19 ذي القعدة 1191 = 20 دجنبر 1777⁽⁷⁾ والذي يمنح فيه حرية الرسو بالموانئ المغربية لعدد من الجهات، كان من ضمنها (ليفورن).

وهكذا نجد اتفاقيةً تعقد بين محمد الثالث وبين ليوبولد الأول بتاريخ 8 محرم 1192 / 6 يراير 1778 تحتوي على اثني عشر بنداً : ينص الأول على أنه من يوم التوقيع على هذه الاتفاقية فإنه يمنع العدوان بين رعايا الدوق الكبير للطوسكان ورعايا الأمبراطورية المغربية بحيث يسود الأمن والسلم الدائم بين الطرفين...⁽⁸⁾

ويقدم لنا هوست في تاريخه للسلطان سيدي محمد بن عبد الله معلومات جد مفيدة عن هذا الموضوع حيث يذكر أن الدبلوماسي المغربي الذي كان مفاوضاً هو محمد بن عبد الملك الذي سنرى أنه ستكون له زيارة أخرى لطوسكانا عندما اتجه نحو فيينا على ماقدّمنا عند الحديث عن علاقاتنا مع النمسا...⁽⁹⁾

☆☆☆

نعم على نحو ما قلناه فإن العاهل المغربي عهد مرة أخرى لسفيره محمد بن عبد الملك بمهمة أخرى في طوسكانا قبل أن يأخذ طريقه إلى فيينا...

وبعد قضاء، غرضه في فيينا عاد على مثل طريقه عام 1197 = 1983 حيث وجد في طوسكانا حليفة المغرب المساعدة المطلوبة للعودة إلى المغرب.

وهكذا نعرف خلفيات حديث الأستاذ ابن عزوز عن وجود اتفاقية ثانية للمغرب مع طوسكانا عام 1784 كما نعرف الحقيقة في رد الأستاذ كايي علي ابن عزوز اعتماداً على ما نقله عن مدير الأرشيف في فلورانس.⁽¹⁰⁾

Host : L'histoire de Sidi Mohamed ben Abdellah (7)

Caille : les accords p. 224 (8)

.Host : Histoire... p. 90 (9)

(10) (Caillé : Accords. p.50) - الحسين فوزي من وكالة أنباء المغرب : جريدة الأنباء 22 أكتوبر 1987.

علاقات المملكة المغربية بالبنديقية

لقد عقدت البنديقية اتّفاقيتها مع المملكة المغربية بواسطة أحد مبعوثيها الذي كان من أصل يوناني ويحمل اسم جيوفاني كوماتا (Gionvanni Comata).

وقد أصبحت البنديقية بمقتضى هذه الاتّفاقية التي كانت بتاريخ 25 ذي الحجة 1178 = 15 يونيو 1765 ضمن أصدقاء المملكة المغربية.⁽¹¹⁾

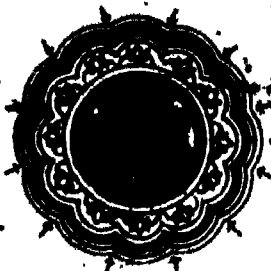
وهي تتألف من ثلاثة وعشرين بنداً نوقشت ووقعت بمدينة مراكش، وقد وقفت على صورتها مع ترجمتها في أرشيف الدولة بفينيزيا وتحمل طابع السلطان الذي ينعت نفسه بأنه ملك تنبكتو وإقليم السودان... على ما أورده في المجلد الأول من هذا الكتاب⁽¹²⁾

وبالرغم من أن هذا الاتّفاقية لا تتضمن ما يشير إلى (الإتاوة السنوية) التي اعتادت الدول الأوروبية أداءها للمغرب في مقابلة ضمان نشاطها التجاري عبر البحر، فإن وجود اتّفاقية إضافية تتعلق بالإتاوة أمر محقق، لأن الكتاب المعاصرين للعاهل المغربي تحدثوا عن وجودها في نفس السنة، وقد وقفت على رسالة جميلة جداً تحمل نفس الطابع الذي تصدر الاتّفاقية المذكورة وهي بتاريخ 3 محرم 1179 = 22 يونيو 1765، وتصبح نص الاتّفاقية بعد المصادقة عليها في مراكش من لدن العاهل المغربي...

Host : L'histoire de L'empereur du Maroc Traduc. Damgaard et Gruignard p. 22. (11)

(12) وردت في الفصل 20 كلمة الفريشك التي ترجمت إلى (Rafrachissement) وأغتنم هذه الفرصة لأجدد شكري لمديرة الأرشيف الدكتورة فرانسيسكا تيببولو M.F. Tiepolo بحث د. التازي أمام مجمع اللغة العربية بالقاهرة حول المعجم الدبلوماسي للمغرب - يبرابر 1988.

بسم الله الرحمن الرحيم في حيازة ثوبه القديسة العذراء



التي تزين بدمعها كواكب السماء والشمس والليل
تسبح قسما ورة غسلت بخرق من العاج
عزتها الله كما ينطق الباشا من رجب وان
يشتمن بساقيه في حيازة ثوبه القديسة العذراء
ابنتنا كحل اليا كحل السوء والعلج وان
التصويرية به يدسوا ربه طاب حيازة ثوبه القديسة العذراء
يكاد يبيننا الطيريب وقته الفجتها مثل هاجم
فهيستل الفسواي شمسها بياوية المنة فصح
الفرادان سرجهر كالمعزولة الزواج ان
بها بيا عليه بياك ان يجه حيازة ثوبه القديسة العذراء
ومائة وان

وقد شهد شهر دجنبر 1768 = شعبان 1182 وصول سفير للبندقية إلى المغرب قال عنه هوست إنه حمل عدداً من الهدايا كان منها خيمة رائعة صنعت في دمشق الشام علاوةً على عدد من التحف البندقية.⁽¹³⁾

وقد وقفت في أرشيف الدولة بالبندقية كذلك على رسالة موجهة من السلطان مولاي اليزيد ابن سيدي محمد بن عبد الله إلى عظيم البلنسيان يخبره بوصول خطاب من حاكم فينيسيا مصحوباً بالعشرة آلاف المترتبة للمغرب على البندقية... ورد ذلك مع القنصل جيروم شياب... وهذا الخطاب مؤرخ بمهل ربيع الأول عام 1206 = 29 أكتوبر 1791.

وبعد جلوس السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله على العرش 1206 = 1792 تجددت الصلات بين أمير البلنسيان وبين العاهل الجديد، وهكذا أرسلت البندقية بأمير الأسطول كرسولٍ معزز بنائبه ليؤكد علاقات الود بين الطرفين ويعلن عن الرغبة في تجديد عقد المهادنة المبرم بين الدولتين... وقد كان جواب السلطان المولى سليمان بالإيجاب على هذه الرغبة سالكاً مسلك سلفه، وقد عثرت على صورة الجواب الذي كان يحمل خاتم السلطان، وقد وجّه من مكناس إلى أمير البلنسيان وهو بتاريخ 26 صفر 1210 = 11 شتنبر 1795 وقد نقله الزميل الراحل السفير خير الدين الزركلي عند ترجمته للسلطان المولى سليمان عن أرشيف الدولة بالبندقية (Vensia) وفيه يذكر طوماسو كوديلمير (Tommaso Condulmer)⁽¹⁴⁾

كما وقفت إضافةً إلى هذا على رسالة أخرى تحمل طابع السلطان مولاي سليمان تؤكد الرسالة السابقة إلا أنها تضيف ستة شروط على الشروط التي تم الاتفاق عليها أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله...

وقد كان المفاوض المغربي في شأن تلك الشروط هو الكاتب الوزير السفير محمد بن عثمان الذي نجده يوقع الاتفاق بتاريخ 29 صفر عام 1210 = 14 شتنبر 1795 على هذا النحو:



(13) هوست ص 13.
(14) كتاب الأعلام ج 3، 191.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَاحْتِزَانًا وَفَرَادًا لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ التُّوَكُّلِيِّ الْعَلِيِّ الْعَلِيِّ الْعَلِيِّ الْعَلِيِّ الْعَلِيِّ



إِلَى أَمِيرِنَا الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِرَبِّهِ عَوْلَةَ الْبَلْبَلِيَّةِ وَعَكِيمَةَ الْمَشَارِقِ وَالْمَشَارِقِ وَالْمَشَارِقِ وَالْمَشَارِقِ

بَعْدَ عِيَانِهِ وَرَدِّ عَلَيْنَا لِقَابِ رَسُولِكَ كَبِيرِ مَرَاتِبِكَ الْكَبِيرِ كَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ تَعْلِيمِنَا

مَنْ مَاتَ عَلَيْهِ وَبَعَثَتْ وَمَوْتِنَا وَرَبَّنَا وَرَبَّنَا وَرَبَّنَا وَرَبَّنَا وَرَبَّنَا وَرَبَّنَا وَرَبَّنَا وَرَبَّنَا وَرَبَّنَا

فِي تَجْرِيدِ الظُّلْمِ وَالْعَدَاوَةِ كَمَا كَانَ فِي دَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ

بَعَثَتْ نَابِكَ عَنْهُ فِي مُقَامِنَا وَتَبْلِيغِ كِتَابِكَ إِلَيْنَا وَفِيهِ بِرَحْمَةٍ وَرَبَّنَا وَرَبَّنَا وَرَبَّنَا وَرَبَّنَا

تَفَضُّلِهِ مِنْ كِتَابِ خَيْرِنَا وَلِكُلِّ الْعَامَّةِ الْكَلِمَاتِ الْكَلِمَاتِ الْكَلِمَاتِ الْكَلِمَاتِ الْكَلِمَاتِ الْكَلِمَاتِ الْكَلِمَاتِ

الظُّلْمِ وَالْعَدَاوَةِ كَمَا كَانَ فِي دَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ وَدَوْلَتِكَ

وَالْمَشَارِقِ وَالْمَشَارِقِ وَالْمَشَارِقِ وَالْمَشَارِقِ وَالْمَشَارِقِ وَالْمَشَارِقِ وَالْمَشَارِقِ وَالْمَشَارِقِ

العلاقات المغربية مع جزيرة سردينية وموناكو

وقد كانت (سردينية) ضمن اللائحة التي صدرت عن السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 20 دجنبر 1777 والتي يسمح فيها بأن تدخل المراكب السردينية إلى شواطئ المملكة المغربية للتزود بما تحتاج إليه⁽¹⁵⁾

وبالإضافة إلى هذا نجد أرشيف الدولة في مدينة تورين (Turin) كما نجد هوست (Host) في كتابه التاريخي عن المغرب كلاهما يتحدث عن نصوص اتفاقية عقدت بين سردينية والمملكة المغربية سنة 1782⁽¹⁶⁾ على نحو ما تمّ مع (بروسيا) وهامبورغ في نفس السنة... وقد حدث بعد هذا أن بعثت سردينية بطائفة من الهدايا لملك المغرب كان من بينها خمسة عشرة أسيراً مغربياً يلبسون أحسن اللباس على ما يقول (هوست).

ولابد أن نذكر هنا أن في جملة السفراء المغاربة الذين توجهوا إلى سردينية من أجل افتداء الأسرى المغاربة والمسلمين على العموم نذكر عبد العزيز فنيش الذي تذكر بعض المصادر أنه أخ للطاهر فنيش...⁽¹⁷⁾

وفي أيام السلطان المولى عبد الرحمن وبالضبط سنة 1240 = 1825 سجل تاريخ العلاقات بين البلدين تعيين الكونت ديجينس (Des-Genys) كسفير للباردو (Sardes) من قبل ملكهم طالباً عقد اتفاقية سلام بين الجانبين - وكانت مملكة موناكو وضعت آنذاك تحت حماية ملك سردينية - فأجاب العاهل المغربي لذلك وكلف الوزير المختار الجامعي بمفاوضة نائب الكونت القنصل جيرو لانو إيرميريو (Girolano Ermirio)، نظراً لمرض السفير فعقد معه «معاهدة من سبعة وعشرين بنداً على ما تذكر المصادر المغربية، وكلها يرجع إلى تمام الصلح ودوام الأمن والمجاملة في التجارات وسائر أنواع المخالطات، والثالث عشر منها

(15) جهاك كايي : الأوفاق الدولية، ص 223.

(16) كايي ص 40 تعليق 2.

(17) Ramon Laurido Diaz : Relaciones Del Alawi Sidi Mohammad Ben Abdellah Con El Imperio Turco en el

Segundo Periodo de su Sultanato 1775 90. Hesp. Tamuda 1986 p. 231

يتضمن إلزام مراكب المسلمين أن تخضع لنظام الكرانطينة» إن تعين موجبها عند دخول مرسى من مراسي الصاردو، وكذلك لأهل صاردو بالمغرب على ما قال صاحب الاستقصا، ويؤكد ابن زيدان أن العاهل أمضى المعاهدة وأوجب العمل بها، ثم أورد نصها في كتابه (الإتحاف) بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير...⁽¹⁸⁾

وقد رأينا أن تاريخ تقييد العقد كان يوم 12 ذي القعدة 1240 = 28 يونيو 1825 بينما كان تاريخ المقابلة بين الأصل يوم 7 صفر 1241 = 21 شتنبر 1825، وكان الذي قام بالمقابلة المذكورة أحمد ابن سليمان برنات والعربي بن محمد الفلوس الحسني وتأخر تسجيلها من طرف القاضي محمد بن يحيى إلى فاتح المحرم 1266 = 17 نونبر 1849.

وبينما يحتوي النص العربي على 27 فصلا... وجدنا أن المصادر الإيطالية تقتصر على ثلاثة وعشرين فصلا، ويظهر أن المصادقة تمت بعد المفاوضات على اختصار العدد... وكان تاريخ توقيعها على ما في هذه المصادر أيضاً هو 6 أكتوبر 1825 = 22 صفر 1241.⁽¹⁹⁾

علاقات المغرب مع مملكة الصقليتين : صقلية و نابولي...

لقد كانت جمهورية (نابولي) ضمن الدول التي تناولها المنشور الملكي الصادر بتاريخ 19 ذي القعدة 1191 = 20 دجنبر 1777 القاضي بمنحها حرية التجارة مع المغرب على نحو روسيا وأمريكا...

وعلى نحو ما قلناه في العلاقات المغربية الإسبانية فقد فتح الفصل العاشر والأخير من اتفاقية أرانخويس (Arenjuez) بتاريخ 30 مايه 1780 المجال لملك الصقليتين للاستفادة من مكاسب الاتفاقية المغربية الإسبانية...

(18) ج 5، ص 203 - الخزانة الحسنية مخطوط رقم ح د 1694 بعنوان : كناش شروط الأجناس.

(19) Della Torre : Trattato... di Sardegna ed il marocco, p. 801

وقد وصل السفير محمد ابن عثمان إلى نابل أواسط شعبان 1196 = غشت 1782 لتنظيم المهمة حيث أقام في ضيافة المملكة النابولية على ما يحكيه في مخطوطته : (البدرا السافر لهداية المسافر... (20)

ولقد وقفت في أرشيف الدولة في نابولي على رسالة لاعتماد محمد بن عثمان، وقد حررت بمراكش بتاريخ 2 ذي الحجة 1195 = 19 نونبر 1781.

وقد تيسر للسفارة افتداء مائة أسير كانوا قد أعدوا للبيع، وكذلك استرجعت السفارة أحد المراكب السلطانية كان السلطان قد بعثه لأمير طرابلس حاملاً القمح فنلقته مراكب نابلية وأخذته، وقد تمكن ابن عثمان من إقناعهم برد ما وجد في المركب سيما بعد انعقاد الاتفاقية بين المغرب والصقليتين.

وتوجد هناك صورة لرسالة التدخل التي سلمها السفير محمد بن عثمان للوزير في شأن المركب وهي محررة بخط يده في نابل بتاريخ 12 رمضان عام 1196 = 21 غشت 1782.

وقد زارت السفارة أثناء إقامتها بنابل بعض الأبنك التي يبلغ عددها سبعة على ما يفصله ابن عثمان الذي تحدث أيضا عن رؤيته للفيل الذي ورد على الملك من بلاد الهند، لقد قال له مروّض الفيل : «إن هذا الحيوان مع عظمته وقوته يخاف خوفاً شديداً من الفار أن يدخل في أذنه فيموت من ذلك !!».

وقد دعى السفير لمقابلة الأميرة ماري كارولين زوجة فيرناندو الرابع، وقد تفاعل السفير المغربي عندما أكدت له أنها ستساعده على أداء مهمته، وخطر بباله هذا البيت الشعري الذي يكشف عن دور المرأة في قضايا الوساطة :

ليس الشفيح الذي يأتيك مؤنزرا مثل الشفيح الذي يأتيك عريانا !!

(20) توجد منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ح 52، ونسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم 1315 لكن الأولى أقدم من الثانية ومن المهم أن نشير إلى أن هذه الرحلة - التي أعدها للنشر - تضمنت ذيلاً نقدياً ممتعاً لبعض رفاقه في هذه السفارة، مما يعطي فكرة عن تمسك ابن عثمان بضرورة احترام الدبلوماسيين لواجبهم كممثلين لأرفع سلطة في بلادهم... د. التازي : صقلية في مذكرات السفير ابن عثمان - مطبعة فضالة 1978 ص 4.

وَأَخْبَرَنَا قَوْلُهُ بِأَبِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَلِيِّ

أَحْمَدُ لِلَّهِ وَحَقًّا

وَيَقْبَلُ بِاللهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ كَانَ اللهُ لَهُ تَرْسِيماً



إِلَى سُلَيْمَانَ تَابِلَسُورِ وَصَفِيَّةَ وَغَيْرِهَا عُرِفْنَا فِي الرَّابِعِ سَلَامٌ عَلَى فَرَاخِ الْعَهْدِ أَمَّا بَعْدُ
فَعَدُّ وَحُصْنُ الْبَيْتِ بِمَا شُكِرْنَا بِهِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ عَلَى سِتْرِنَا كَاتِبٌ أَوْ أَمِيرٌ نَا لَيْسَ شَيْءٌ
بِعِثْمَانَ لِيَجْعَلَ عَرَضَ الشَّيْءِ وَالْمُقَدَّاتِ نَدَا كَمَا جَعَلَهُ مَعَ وَالْيَدِ كَمَا جُعِلْنَا الشُّكْرَانِ

لَهُ وَكَانَ لَوِثُ الثَّلَاثِ حَيْثُ كَانَ عِنْدَهُ بِمَا شُكِرْنَا بِهِ أَفِي الْبَيْتِ وَالْيَدِ وَالْيَدِ مَعَ
الْبَيْتِ كَمَا كُورِ عِلْمٌ أَنْ تَدْعُو مَعَنَا مَعَ وَالْيَدِ كَمَا جَعَلْنَا الْبَيْتِ الْبَيْتِ الْبَيْتِ
الْمَذْكُورِ لِيَجْعَلَ الشَّيْءَ مَعَكُمْ بِأَنَّ كُلَّ قَلْبٍ يَدُوعُ وَيَعْرِفُ شُرُوحَهُ وَكُلُّ قَلْبٍ يَدُوعُ
بِقَبْلِ أَمْرٍ خَيْرًا وَقَبْلَنَا وَكُلُّ مَا يَقُولُهُ لَكُمْ بِكُلِّ مَا قَبْلَنَا مِنْهُ وَإِنَّا نَقُولُ بِحَسْبِ
إِلَيْهِ شَيْءٌ نَعْلَمُكُمْ وَنَبِيْرُكُمْ مَعْتَدًا بِكُمْ فِي وَالْيَدِ كَمَا أَنْ بَلَاءُ نَا كَلَّمَا مَثَلُ بَلَاءِ ك
وَرَعِيْتِكُنَّ إِلَيْهَا مَثَلُ عِيَّةِ وَالْيَدِ مَفْهُومٌ مَكْرَمٌ وَكُلُّ مَا تَرِيدُ بِأَرْكَ وَبِلَايِ
لَعَلَّ يَدُ الْبَيْتِ كَمَا كُورِ وَفِي نَفْسِ الْكُلِّ مَا جَبَّ إِلَيْهِ شَاءَ اللهُ وَالسَّلَامُ مِنْ رَأْسِ

ثَلَاثِينَ الْحِجَّةِ مِنْ عَامِ ١١٩٥

وقد غادر ابن عثمان البلاد يوم 4 محرم 1197 = 10 دجنبر 1782 في
اتجاه الساحل المغربي قبل أن تضطره العواصف البحرية للرسو في جزيرة
صقلية...



كنيسة سان جيوفاني التي تحدث ابن عثمان عن أنها كانت مسجداً - عن مجلة (المشرق)
الإيطالية شتنبر 1987.

☆☆☆

وهكذا كللت سفارة ابن عثمان بالنجاح التام وعاد مزوداً بالتعويض الذي سلمته
نابولي إلى العاهل المغربي مقابلة المركب المغربي الذي تم السطو عليه - وهو
في طريقه لطرابلس - على ما أسلفنا...

ومن جانب المغرب هناك وثيقة ملكية وقفت عليها في أرشيف الدولة
بنابولي وهي تحمل تاريخ متم ربيع الأول عام 1198 = 22 يبرابر 1784 :

«... فقد قبلنا هذا الصلح وأمضيناه ووصلتنا مع البشطور المذكور هديتكم التي بعثتم معه مع قيمة المركب كما هو مذكور في الورقة التي في داخل الكتاب...» (21)

فهل كان ذلك التاريخ آخر عهد ابن عثمان بالصقليتين ؟

لقد رشح ابن عثمان للسفارة مرة ثالثة أوائل سنة 1200 نونبر 1785 بقصد قضاء مهمة في القسطنطينية العظمى.

وكما حدث في المرة السابقة عندما التجأت السفارة المغربية إلى صقلية فقد حدث هذه المرة أن اضطرت السفينة بعد إقلاعها من قرطاجنة وقضائها فترة طويلة بين تلامم الأمواج إلى أن ترسو (بسرغوزة) للتزود بالماء يوم 10 شعبان 1200 = 8 يونيو 1786...

☆ ☆ ☆

واستمرت علاقات الود قائمة بين المملكة المغربية وبين ملك الصقليتين : نابولي وصقلية وهكذا نجد العاهل المغربي السلطان محمد بن عبد الله يهادي ملك الصقليتين بتاريخ 10 جمادى الأولى 1201 = 28 يبرابر 1787 باثنين من عتاق الخيل وأربع كلاب سلوقية فيها اثنان مجلوبان من الصحراء المغربية... (22)

☆ ☆ ☆

وقد تجددت علاقات المغرب بمملكة الصقليتين على نحو ما كانت عليه أيام الملك محمد الثالث ومن ثمت وجدنا معاهدة تعقد بين المملكة المغربية وبين مملكة الصقليتين في عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بتاريخ 19 صفر 1250 = 25 يونيو 1834 وهي تجدد المعاهدة السابقة على عهد الملك المذكور، وتضيف إليها بعض الزوائد، وقد ساق صاحب الإتحاف نصها. (23)

(21) أغتنم هذه الفرصة لأشكر المشرفين على أرشيف الدولة في نابولي، وعلى الخصوص السيدة المديرية ماريا أنطونييتا مارتيلو أرباباكو - Mmaria Antonietta Martullo Arpago كما أشكر مساعدة الأستاذة كلييا سارنيلي سيركا Clelia Sarnelli Cerqua مدير المعهد الجامعي للدراسات الشرقية...

(22) من وثائق مدريد المحفوظة بمكتبة تطوان...

(23) الإتحاف ج 5 ص 214.

علاقات المملكة المغربية بحاضرة الفاتيكان

سنستعرض هنا بعض الملامح للعلاقات التي ربط المغرب بالفاتيكان : على عهد الملوك العلويين الأوئل :

أولاً : في إطار أداء الرهبان لمهمتهم إزاء الجالية المسيحية التي كانت تقيم في المغرب لسبب أو آخر...

ثانياً : في إطار الاستعانة بهؤلاء الفراييلية (Frailles) لتقضاء الأغراض الدبلوماسية التي كانت تعنّ أحياناً والتي كانت مواضعها تقتضي تكليف أولئك الرجال باعتبارهم «وسطاء خبير» لدى هذه الجهة وتلك أيضاً من أجل فك أسير أو حل مشكل...

وقد وقفت في رومة وبالذات في المكان المعروف بـ«ساحة اسبانيا» في المؤسسة الخاصة بتاريخ نشاط الفرانسيكان في بلاد المغرب على ثروة ضخمة تتمثل في تقارير رؤساء البعثات الدينية في كل جهة من جهات إفريقيا أو (بارباريا) كما قد تسمى،⁽²⁴⁾ وتتجلى قيمة هذه التقارير في أنها تعطي صورة دقيقة للحالة السياسية التي كانت تعيش عليها البلاد، كما أنها تقدم لنا نموذجاً عن مظاهر التسامح الذي كان يطبع العلاقات بين المسؤولين المغاربة وبين ممثلي الديانة المسيحية في الوقت الذي كان فيه أولئك المسؤولون أيضاً حريصين كل الحرص على الحفاظ التام على هيمنة العقيدة المحمدية في الوسط المغربي...

Congregazione per l'evangelizzazione dei Popoli o «de Propaganda Fide», Piazza di Spagna, 48, Secondo (24) Piano : Archivio Storico.

وهكذا فقد كان مما وقفت عليه من معلوماتٍ هناك أن سنة 1676 = 1087 هـ شاهدت إرسال مبعوثين ليقوموا بتقديم بعض المساعدات الطبية في بعض المدن المغربية : فاس وتطوان.... وقد ورد الراهب جيرولومو (Girolomo) عام 1679 = 1090 هـ على المغرب وأجرى محادثات مع السلطان مولاي اسماعيل الذي زوده بجواز مرورٍ عبر المدن المغربية التي يوجد فيها مسيحيون...

وبعد هذه الجولة عرض الراهب المذكور على «البروتاباند» (Propaganda) تنظيم شؤون البعثة البابوية في المغرب، حيث عين هذا الراهب مديراً لها ... وبعد هذا عهد بأمر تسيير البعثة للراهب الاسباني ديبكو Diego الذي نال ثقة السلطان مولاي اسماعيل أكثر من سابقه الأمر الذي ساعده على تشييد بعض الكنائس في مكناس وعلى تخصيص مقابر للمسيحيين، وقد تجلّى هذا من خلال الظواهر العديدة التي صدرت عن الملوك العلويين الأوائل...⁽²⁵⁾

وبالرغم من حالة الاضطراب التي عاشها المغرب بعد وفاة السلطان مولاي اسماعيل 1139 = 1727 إلا أننا مع ذلك سنجد عدداً من الظواهر والمراسيم الملكية التي تعبر عن مدى التسامح الذي ظل الملوك يتشبثون به اقتداءً بالسياسة التي كان ينفذها السلطان مولاي اسماعيل...⁽²⁶⁾ يكتب لولده الأمير مولاي عبد الكريم حول التوصية خيراً بالفرايلية «لاتترك من يقربهم ولا من يترامى عليهم»...

وقد تحدثت المصادر البابوية التي وقفت عليها في رومة عن إنشاء دار للضيافة لهم بطنجة عام 1763 وأخرى بالصويرة عام 1769 وثالثة بالرباط عوضاً عن التي كانت بسلا...

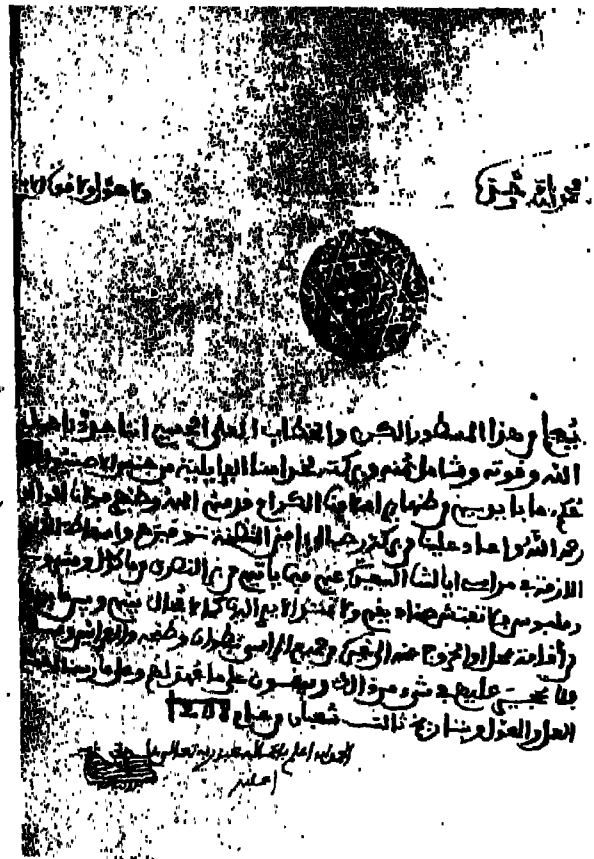
وبجلوس السلطان المولى سليمان على عرش المغرب اتجهت العلاقات نحو استعادة ساحتها القديمة، وهكذا عاد الحوار بين المملكة المغربية وبين البعثة البابوية وجدد الإذن بإقامة البعثة في طنجة وأسفي...

(25) مجلة دار النيابة، العدد الثالث صيف 1984...

(26) مجلة دار النيابة، خريف 1984.

ويكفي أن نشير إلى ظهير صدر عن السلطان مولاي سليمان بتاريخ ثالث شعبان 1208 (5 مارس 1794) في موضوع «خدامنا الفريالية» وإعفائهم من سائر الكلف اللازمة في مراسي إيالتنا السعيدة...

ولقد رأينا أن البابا ليون الثاني عشر يعهد إلى ملك فرنسا شارل العاشر سنة 1826 - 827 بالقيام بمساعيه لدى المملكة المغربية لصالح الملاحة التابعة للبابوية. (27)



ظهير من السلطان المولى سليمان حول البعثة الفريالية، وهي بتاريخ 3 شعبان 1208 = 6 مارس 1794

Jaques Caillé : Sur Les rapports du Maroc avec le Saintsiège. - Hesp - Tamuda 1969 p. 7 (27)



علاقات المملكة المغربية بالولايات المتحدة الأمريكية

القسم الأول

- أمريكا في حديث المغاربة.
- الخطوات الأولى نحو اتصال الطرفين.
- المراسلات بين الكونكريس وبين البلاط المغربي.
- الاتفاقية المغربية الأمريكية بمراكش.
- الرئيس جورج واشنطن يطلب وساطة المغرب مع تونس وطرابلس.
- الرئيس يهدي نسخة من الدستور الأمريكي للعاهل المغربي.
- العلاقات المغربية الأمريكية على عهد السلطان مولاي سليمان.
- الأزمة المغربية الأمريكية.
- اجتماع العاهل المغربي في طنجة بالأميرال بريبل وانفراج الأزمة.
- رسالة للسلطان مولاي عبد الرحمان للسلك القنصلي.

العلاقات بين المملكة المغربية والولايات المتحدة الأمريكية... القسم الأول

«لقد عرف المغرب عن أمريكا قبل أن تعرف هي عن نفسها!!»
هكذا أجبت ذات يوم عن سؤالٍ وجه إلى في أعقاب محاضرة عن العلاقات
المغربية الأمريكية.

وقد كان سندي في هذا الجواب ماكنت قرأته عن اكتشاف المغاربة للقارة
الأمريكية قبل كريستوف كولومب بألف سنة، من خلال نقوشٍ توجد في فكّيك
وفي كوكابونيست...⁽¹⁾

وكأننا يعرف عما قاله الجغرافي المغربي الشهير الإدريسي عند حديثه في
كتابه نزهة المشتاق عن ليشبونة و «المغربين الثمانية» الذين ركبوا بحر الظلمات
ليعرفوا مافيه وإلى أين انتهاؤه...

إن الذين يعرفون عن جولات الأسطول المغربي على ذلك العهد لا يمكنهم
أن يجدوا هوية لأولئك غير الهوية المغربية...

وتستأثر بعض المخطوطات العربية بإفادة لابن خلدون تتحدث عن
محاولة من جنوة ومن المغرب لا ستكشاف ما وراء المحيط على ما قرأناه في
كتاب المقريري : «درر العقود الفريدة...»⁽²⁾

(1) John P. Gallagher And Frederick J. Pohl: 1000 Years Before Columbus, There Were Catholics In Connecticut, (1)
The Catholic Digest, August 1980 p. 49

مجلة البحث العلمي العدد 32 ذي الحجة 1401 = نونبر 1981.
د. عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المجلد الثالث مطبعة فضالة - المحمدية
1407 = 1987 ص 202 - 203 - 204 - 205.

(2) د. التازي : العلاقات بين المغرب و جنوة بحث قدم للملتقى الدولي في جنوة، دجنبر 1987.

وأمامنا طائفة من المراسلات الدبلوماسية المتبادلة بين المغرب وأنجلترا عام 1008 = 1601 تتحدث عن إبرام حلفٍ ثنائي بين السلطان أحمد المنصور وبين الملكة إيزابيث الأولى للنزول في أمريكا...⁽³⁾

وفي مذكراته عن زيارته للبلاد المنخفضة سنة 1021 = 1612 - 13 لم يفت الجبّري المعروف بأفوقاي أن يسمي القارة الأمريكية بالدنيا الجديدة ويذكر سكانها الهنود وديانتهم قبل أن يصلها الأوروبيون.⁽⁴⁾

وعند حديث المؤرخين عن الأسطول المغربي الذي ظل «أسطورة البحار...» لم يفتهم أن يذكروا أواخر عهد دولة السعديين اقتحام قطع الأسطول لجبّج المحيط الأطلسي حتى «لاطيرنوف» (La Terre Neuve) الإقليم العاشر اليوم في كندا!⁽⁵⁾

وإذا ما تحدثت الناس عن مصادر تاريخ اكتشاف أمريكا فسيكون عليهم أن يذكروا التقرير الذي رفعه محمد بن عبد الوهاب الفساني سفير السلطان مولاي اسماعيل لدى كارلوس الثاني ملك إسبانيا (1102 - 1609 - 1691) عندما تحدث بإسهاب عن المدّ الإسباني في القارة الأمريكية.⁽⁶⁾

ويكون على المؤرخين لنشأة الولايات المتحدة الأمريكية أن يقفوا طويلاً عند الصفحة الرائعة التي وردت في تقرير دبلوماسي لسفير مغربي آخر عن فترة ميلاد الولايات المتحدة الأمريكية.

(3) د. التازي : الموجز في تاريخ العلاقات الدولية، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى 404 =

1984، ص 92 202 p. T. 2 (S.I.H.M. ANG. T. 2 p. 202 92)

(4) ناصر الدين على الكافرين لأحمد بن قاسم الحجري الأندلسي تحقيق : محمد رزوق، منشورات كلية الآداب بالدار البيضاء - 1407 ص 95.

(5) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المجلد 2 ص 56 - 57 - العلاقات المغربية الكانادية - العلم 24 يولييه

1981 (لُوبِينِيُون 5 يناير 196/ 1982 Not 1 196/ 147 T. 3 p. 23 / 434 T. 1 p. 373 / 434 S. T. 1 S. I. H. M. FRANCE

Not 1 p. 220 t 4 p. 627

(6) رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تحقيق الفريد البستاني، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو، العرائش 1940 ص 44.

ويتعلق الأمر بمحمد بن عثمان سفير السلطان سيدي محمد بن عبد الله لدى الملك كارلوس الثالث 1193 - 1779 الذي تحدث عن القصة التي تعرف في تاريخ النضال الأمريكي بحفلة شاي بوسطن (Boston Tea Prty). (7)

وخارجاً عن إطار الحديث عن العلاقات السياسية التي سنتناولها... نرى من المفيد أن نذكر هنا أن محمد الثالث الذي نعرف عن اهتمامه ببناء الأسطول قرر (4 شوال 1200 = 31 يولييه 1786) أن ينشئ خطاً بحرياً يربط المغرب بأمريكا، ولما يمض على إمضاء الاتفاقية الثنائية بين البلدين أكثر من أربعين يوماً⁽⁸⁾ وهو ما يؤكد لنا درجة الاهتمام بذلك «العالم الجديد»...⁽⁹⁾

وبعد نحو من ثمانين سنة 1297 = 1880 ظهر تأليف في تاريخ المغرب يحمل اسم (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى) لمؤلفه أحمد بن خالد الناصري⁽¹⁰⁾ الذي اغتنم فرصة المصادفة التاريخية التي جمعت بين طرد المسلمين من الأندلس من جهة وبين امتداد الأطماع الأروبية نحو «الدينا الجديدة» من جهة ثانية، اغتنمها ليقدّم لنا قصة الإكتشاف...

(7) الإكسير في فكاك الأمير لمؤلفه محمد بن عثمان المكناسي، تحقيق وتعليق محمد الفاسي منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط 1965.
د. التازي : تاريخ الولايات المتحدة في المصادر المغربية، مجلة المناهل العدد 12، شعبان 1398 يولييه 1978.

(8) نذكر هنا بأن الاتفاقية المغربية الأمريكية وقعت يوم أول رمضان عام 1200 = 28 يولييه 1786 كما نذكر بأن رسالة أولى مؤرخة يوم 4 شوال 1200 = 31 يولييه 1786 موجهة من العاهل إلى وزير الخارجية المغربية يطلب إليه مفاتحة السلك الدبلوماسي حول مشروعه لوصول قطع أسطوله لأمريكا.. كما نجد رسالة ثانية في الموضوع بتاريخ 3 شعبان 1202 = 9 يولييه 1788 د. التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطبعة المحمدية ج 1 1406 - 1986 ص 198. هوست : تاريخ سيدي محمد بن عبد الله ص 149.

(9) تاريخ الضعيف، لمحمد الضعيف الرباطي 1165 = 1233 هـ، 1752 = 1818 تحقيق وتقديم ذ. أحمد العمري، نشر دار الماثورات - الرباط 1406 = 1986 ص 326 - 327.

د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 171 - 172 174.

(10) الاستقصا : مطبعة دار الكتاب - الدار البيضاء 1955 ص 107 - 108.

ويعرضي روح من الزمان (1346 = 1927 - 1928) ليطلع علينا كتاباً تاريخياً وأدبياً معاً هو (فواصل الجمان في أبناء الزمان» للكاتب محمد غريبط الذي يقدم لنا الرئيس الأمريكي جوهن أدامس⁽¹¹⁾ على أنه رجل عصامي...

وقد اهتم التأليف المغربي أيضاً بالجانب الجغرافي من القارة الأمريكية والولايات المتحدة على الخصوص ويتعلق الأمر بالأطلس الملون الذي ألفه أبو العباس أحمد شهبون الذي قدم معلومات مفيدة عن الولايات المتحدة في القسم الذي عنوانه بصورة أرض الميريكان...⁽¹²⁾

فكيف تمت الخطوة الأولى من أجل اللقاء ؟

إنني على مثل اليقين من أن القائد الطاهر فنيش سفير السلطان سيدي محمد بن عبد الله لدى لويز الرابع عشر (يناير 1778) حول المشروع المغربي المتعلق بالقضاء على الأمر - اجتماع في فرساي - بالبعثة الأمريكية التي كانت تشرف على المفاوضات الفرنسية الأمريكية، لأن رسالة الاعتماد التي كان يحملها فنيش كانت تنص على ما يلي، - والخطاب فيها لملك فرنسا - :

«... وجهنا لكم خديمنا القائد الطاهر فنيش ليتكلم في أمر اقتضاه نظرنا السديد معكم و مع جميع قونصوات أجناس النصارى الذين بإيالتكم من المصالحين معنا وغيرهم، علي يدكم، وهو أن كل أسير أسير آياً كان فداؤه مسلم «رأس برأس...»

ولقد قام العاهل المغربي، في هذه الأثناء، بمبادرة حيث نراه يصدر من مكناس منشوراً بتاريخ 19 ذي القعدة 1191 = 20 دجنبر 1777 يتعلق بالإذن لعدد من الدول في ممارسة نشاطها التجاري مع المغرب، وكان من ضمنها أمريكا... وقد اعتبرت هذه المبادرة اعترافاً بسيادة أمريكا واستقلالها...⁽¹³⁾

(11) فواصل الجمان، الطبعة الأولى 1346 طبع على نفقة عبد العزيز بوطالب المطبعة الجديدة، فاس ص 251 - 252.

(12) عبد الرحمن ابن زيدان : الدرر الفاخرة - المطبعة الاقتصادية، الرباط 1356 = 1937 ص 95 - 96.

(13) رفع هذا المنشور إلى الدول بطنجة نائب القنصل الهولاندي ويسطير بلونت (Webster Blount). Jacques Caille : Les Accords Internationaux Du Sidi Mohammed Ben Abdellah 1960 p. 223

Multitudes

J'ai l'honneur de vous avoir l'honneur de
S. M. J. D. G. pour vous avoir que vous vous
saviez en Europe que la lettre Majesté
donnerait dans les ordres dans ses ports
aux suivantes Nations, savoir à celle de
Andrie, de Malthe, de Sardaigne, de Venise,
de Naples, de Hongrie, de Livourne, de Gènes,
de Allemagne, et des Américains, donnant
ordre à ses capitaines de laisser passer leurs
navires librement, les quels pourrout
prendre des provisions dans tout les ports de ces
Royaumes, et avoir les mêmes privilèges
que les autres Nations avec les quelles
la Majesté a la paix. Vous observerez
que la présente lettre sera signée par la
Majesté sur le Conseil de l'Etat
J'ai l'honneur d'être

المغربيين
1779/10/15

وبعيد هذا التاريخ كلف سلطان المغرب تاجراً فرنسياً مقيماً بسلا بمهمة القيام بقنصل عن الدول التي لا قنصل لها! وكان هذا الفرنسي إيتيان دو ديبيير كاي (Etienne d'Audibert Caillé) الذي عهد له بمهمة الاتصال بسائر الدول التي لا تمثيل لها بالمغرب،⁽¹⁴⁾ وهي وظيفة فريدة من نوعها باعتبارها تسهر على حقوق وواجبات المتغيّبين والمتخلفين على ما أشرنا إليه في مقدمة الكتاب.

وقد قام السيد كايي بالكتابة يوم 6 شتبر 1779، بتعليمات من سلطان المغرب، برفع كتاب إلى الكونكريس بواسطة بنجامين فرانكلين بباريز، يخبرهم فيه بتسميته قنصلاً لهم..!

وقد دفعت تلك الدبلوماسية البطيئة بالجانب المغربي لاتخاذ موقف أكثر صرامة، من السفن الأمريكية التي تعبر الطريق في ظل «المؤقت الدائم» دون أن تؤدي الواجبات التي يخضع لها سائر الدول !!

وهكذا فقد حدث 16 أكتوبر 1784 أن أصدر العاهل أوامره بحجز سفينة أمريكية بطنجة كانت معروفة تحت اسم (Betsey) إلى أن تكون للولايات المتحدة اتفاقية مع المغرب!

(14) وفتت في (الأرشيف الوطني) بواشنطن على ملف ضخ من الوثائق التي تتعلق بنشاط هذا الوكيل مع مختلف الدول وبخاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية كما وفتت في تاريخ هوست لسيدي محمد بن عبد الله على أن الراية التي كان يرفعها هذا الدبلوماسي على مكتبه كانت «بيضاء وفي وسطها نسر»، فهل معنى هذا أن شعار الخارجية المغربية كان على ذلك المنوال !!؟

وبطلب من المستر ويليام كارميشل (W. Carmichael) القائم بالأعمال الأمريكي في مدريد، تدخلت اسبانيا التي كانت لها علاقات طيبة آنذاك مع المملكة المغربية...

ولابد أن نسجل هنا المبادرة التي قام بها السلطان العظيم سيدي محمد بن عبد الله من أجل تشجيع الدبلوماسية الأمريكية لاتخاذ الخطوات اللازمة...

فقد بعث العاهل المغربي بتاريخ أول شعبان 1199 = 9 يونيو 1785 إلى عظيم اسبانيا كارلوس مع السفير الإسباني فرانسيسكو ساليناس إ. مانينو (Francisco Salinas y Manino) يخبره بالإفراج عن تسعة من الأسرى الأمريكيين كانوا وقعوا مع مركبهم في أيدي البحارة المغاربة... ويقول بالحرف :

يصلكم مع باشادوركم فرنشيشك صلنس إ. منن عشرة من نصارى صبانية مع تسعة من النصارى الماركانوس بمراكبهم وكل ما تجعل معهم من المهادنة والصلح قبلناه وأمضيناه...⁽¹⁵⁾

وقد ذكرت بعض المصادر المعاصرة نقلاً عن وثائق ردها الزعيم الأمريكي مالكوولم إيكس (Malcolm x) إن العاهل المغربي كان يشترط لمسالمة الولايات المتحدة الأمريكية أن تعمل على الإفراج عما يوجد في أمريكا من الأسرى الأفارقة الذين كانوا يقعون تحت سطو المغيرين عندما يتقصدونهم على الساحل الإفريقي....

وقد صدر يوم 5 أكتوبر 1785 أمر من جيفرسون وأدامس بتعيين طوماس باركلي قنصل أمريكا في باريز للتفاوض مع المغرب، وزود بوثيقة تتضمن مشروعاً للاتفاقية أعد من طرف المبعوثين المذكورين...

ولقد ورد ثوماس باركلي مصحوباً برسالتين اثنتين إلى ما كان يحمله من هدايا : الأولى من رئيس الكونكريس الأمريكي والرسالة الثانية من كارلوس الثالث عظيم اسبانيا، وكلتاها إلى السلطان محمد بن عبد الله، وقد اقتصر خطاب الملك الإسباني على تقديم المبعوث الأمريكي والتماس قبول وساطة

(15) د. التازي : جانب المجاملات في العلاقات المغربية الأمريكية، محاضرة في الندوة التي نظمتها شعبة القانون العام بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالرباط 13 - 14 أبريل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَا جَبُولَ وَلَا قَوْلَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَدْلِ الْعَلِيمِ
مَنْ حَبَّبَ إِلَهُ اللَّهِ مُتَعَبِّدًا بِرُحْمَةِ اللَّهِ الْمُتَوَكِّلِ عَصَا اللَّهِ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ هَؤُلَاءِ



إِلَى عَظِيمِ إِضَائِهِ كَأَن لَوْ فِي حُرُوفٍ فِي لَاحِظٍ
إِضَائِهِ حُرُوفٍ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلَى مَرَاتِبِ اللَّحْمِ أَمَا قَوْمٌ فِي صَلَاحٍ مَعَ بَأْسِهِ
رُكْمٌ فِي شَيْئِهِ حَظْرًا مِنْ عَشْرًا مَرَاتِبِ
حَبَابِهِ مَعَ تَمَعْتِهِ مِنَ النَّحْلِ الْمَارِ كَأَن لَوْ فِي لَاحِظٍ
تَمَعْتِهِ مِنَ النَّحْلِ أَيْ وَالصَّحْبُ هِيَ أَلَا وَأَمْتِيَّةٌ وَكَلِمَا
بَعَثَ عَلَيْهِ بِأَسْمَاءٍ وَكَلِمِ الْمَدِينَةِ كَوْرَقِيَّةً لَهَا وَرِيَاءُهَا وَنَعْنَى
مَعْتَدٌ عَلَى الْمَعْلُومَةِ وَاللَّحْمُ التَّلَامِيهِ وَالسَّلَامُ وَكَلِمَتُهُ
فِي أَوَّلِ شَعْبَانَ الْمَبَارَكِ فِي عَامِ تَمَعْتِهِ وَتَسْعِيرِ مِائَةٍ وَالْعَب

1129

اسبانيا بينما كانت رسالة الرئيس جورج واشنطن تخطب ود المغرب في عباراتٍ مليئةٍ بالعواطف والتقدير...

وبعد الاتصالات الأولى في طنجة وإبلاغ القائد فنيش الخبر للسلطان بمهمة (باركلي)، أذن العاهل للمبعوث الأمريكي في القدوم إلى مراكش، وهناك تم أولاً استقباله من طرف السلطان حيث قدم إليه أوراق الاعتماد...

وبعد هذا تقدم بمشروع الاتفاقية التي أحالها السلطان على لجنة لمدارستها.

وقد كتب السلطان سيدي محمد بن عبد الله جوابين مؤرخين في نفس اليوم الذي ختمت فيه الاتفاقية الأمريكية المغربية أعني أول رمضان عام مائتين وألف (28 يونيو 1786) : كانت الأولى إلى عظيم اسبانيا كارلوس الثالث ملك اسبانيا وصقلية والهند...

كما حرر العاهل المغربي رسالة ثانية إلى رئيس الولايات المتحدة يقول فيها بعد البسملة والحوقة أيضاً :

من عبد الله محمد بن عبد الله كان الله له أمين.

إلى كبير اصطادوس الماركانوس البريزضنت، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فقد وصلنا كاتبك طوماس بركلي وبیده كتابك وكتاب عظيم اسبانيا كارلوس فقرأناهما وعرفنا ما فيهما من طلبكم الصلح معنا مثل أجناس النصرى المصالحين معنا، فقد قبلنا ذلك وجعلنا بيننا وبينكم الصلح والمهادنة برأ وبحراً على الشروط التي طلبتم منا فقبلناها وأثبتناها لكم في الدفتر ووضعنا عليها طابعنا الشريف وأمرنا جميع خدامنا الذين بمراسينا أن مراكبكم وتجاركم التي ترد لمراسينا يفعلون معهم مثل ما يفعلونه مع الاصبنيول، والمرسة التي أعجبتكم من مراسينا من تطوان إلى وادي نون يدخلون إليها مراكبكم ويرسون فيها على الأمن والأمان ويبيعون ويشترون ويقضون أغراضهم ويتوجهون، وبهذا أجبنا عظيم اسبانية كارلوس على كتابه الذي كتب لنا على شأنكم ونحن

معكم على المهادنة والصلح التأمين والسلام، صدر الأمر بهذا في أول رمضان المبارك عام مائتين وألف. (16)

وبين أيدينا الآن نصوص المعاهدة التي كتبت بحضرة مراکش في الخامس والعشرين من شعبان المبارك عام مائتين وألف (23 يونيو 1786)، هذه المعاهدة التي تعتبر من أبرز الاتفاقيات الهامة في القرن الثامن عشر على عهد الدولة العلوية... وان القاء نظرة على فصولها تشعر بالرغبة في الاستعانة بنصوص الترجمة الإنجليزية، ترجمت بأسلوب لا يخلو من معاناة على ما ذكره في «الملاحق».

ومهما يكن فإن مقارنة بين بعض النصوص وبعضها باللغتين لا بد منها لمن يريد أن يقف على حقيقة الأمور سيما إذا عرفنا أن النص بالإنجليزية هو من إنشاء توماس جيفرسون محرر وثيقة الاستقلال...



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْرًا مَدِينِيًّا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْرًا مَدِينِيًّا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْرًا مَدِينِيًّا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْرًا مَدِينِيًّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْرًا مَدِينِيًّا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْرًا مَدِينِيًّا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْرًا مَدِينِيًّا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْرًا مَدِينِيًّا

16) كان من هدايا جورج واشنطن ساعة جدارية على شكل صندوق شفاف يظهر منه عصفور كناري يعلن الساعات... وقد أهداها العاهل بدوره في نفس العام 1786 إلى دونامارية ملكة البرتغال على ما أشرنا إليه في العلاقات المغربية البرتغالية...

الولايات المتحدة تطلب وساطة المغرب...

وقد رأينا الكونكريس - بعد أن عهد للمستتر جوهن لامب (John Lamb) بالتفاوض مع داي الجزائر - يقوم برفع طلب رسمي إلى الملك محمد الثالث بتاريخ 23 يونيو 1787 يضمنه التماس الرئيس الأمريكي جورج واشنطن بأن يقوم ملك المغرب بالتوسط لدى بأن تونس وباشا طرابلس مؤكداً أن الشعب الأمريكي سيظل مدينا للمغرب بما يحققه من تقدم ورخاء...

وعن هذه الرسالة بالذات أجاب السلطان سيدي محمد بن عبد الله برسائلته المشهورة إلى الرئيس جورج واشنطن بتاريخ 15 ذي القعدة 1202 (17 غشت 1788).

وقد جاء هذا الملتمس بعد فشل طلب من أمريكا لسفير طرابلس في لندن أثناء حديث طويل جرى بين أدامس وزير أمريكا المفوض، وبين الحاج عبد الرحمن أغا...

وفي هذه الأثناء كانت أمريكا تعيش ظروفاً عصيبة، فإن التنظيمات الداخلية من جهة والاضطرابات من جهة أخرى لم تنته بعد...

لأجل ذلك نلاحظ مرور فترة من الزمن دون أن يتمكن الرئيس الأمريكي من إجابة العاهل المغربي على رسالته بتاريخ منتصف ذي القعدة عام 1202 (17 غشت 1788)، وهكذا فلم يتيسر الجواب إلا بتاريخ فاتح دجنبر 1789.

لقد قال جورج واشنطن في الرسالة الجوابية :

إلى جلالة أمبراطور المغرب

صديقي الهمام العظيم

منذ تاريخ خطابنا الذي رفعه الكونغريس الأخير بواسطة رئيسه إلى جلالته، فضلت الولايات المتحدة تبديل حكومتها بأخرى جديدة تتفق والدستور الذي أشرف بإرفاق نسخة منه مع هذا، وإذا لم يتوصل جلالته بالإعلامات

العادية ولا بعبارات الاعتبار من الولايات المتحدة رغم صداقتكم ومسلكتكم الشجاع تجاهها مما يبرر توقعكم، فخير عذر وعلّة نرفعهما إلى جلالتم هو الوقت الذي استغرقت تلك المهمة الشاقة، ثم الارتباك الشديد الذي تخلف عن هذه الثورة رغم سلميتها.

وما أن أجمعت الولايات المتحدة على تعييني على رأس السلطة التنفيذية العليا لهذه الأمة، حتى توصلت بخطاب جلالتم المؤرخ 17 أغسطس عام 1788 الذي ظل بدون جواب بسبب سقوط الحكومة السابقة كما توصلت بالخطابات التي تلطفتكم جلالتم بتحريرها لصالح الولايات المتحدة إلى باشوات تونس وطرابلس، وارفح إلى ساحتكم شكر وامتنان الولايات المتحدة لهذه الالتفاتة الكريمة الدالة على صداقتكم لها.

ولنا أن نتأسف حقيقة على التصرفات العدوانية لتلك الإيالات تجاه هذه الأمة التي لم تمسهم بسوء، تلك التصرفات التي لم يمكن دفعها ودياً.

وأراضينا لا تتوفر على مناجم ذهب أو فضة، وهذا الشعب الفتى ما كاد يبرأ من خراب ودمار حرب طويلة، ولم يمهل حتى يكون ثروة ما عن طريق الزراعة أو التجارة... إلا أن أرضنا سخية وشعبنا صناعي، ولنا أن نمني أنفسنا بأننا سنتمكن تدريجياً من أن نصبح مفيدين لأصدقائنا.

وكان للتشجيع الذي تفضلتم جلالتم به على تجارتنا مع مملكتكم، والدقة التي راعيتها في عقد المعاهدة معناً، والإجراءات المنصفة الكريمة التي اتخذت في قضية الكابتن بروكتور،⁽¹⁷⁾ كل هذه الأشياء تركت أثراً عميقاً في الولايات المتحدة، ووكدت احترامها وتعلقها بجلالتم.

ويسرني في هذه المناسبة بأن أؤكد لجلالتم، أنه طالما سأكون على رأس هذه الأمة، فلن أتوانى عن تشجيع كل وسيلة من شأنها أن تدعم الصداقة والانسجام القائمين - لحسن الحظ - بين أمبراطوريتكم وبيننا، بل وسأعتبر نفسي سعيداً، كلما تمكنت، من إقناع جلالتم بالتقدير الكامل الذي أكنه لشجاعتم وحكمتم وأريحيتمكم.

(17) من وثائق الأرشيف الوطني للولايات المتحدة 1 Roll - 61 - 260 p. Caillé : les accords.

ولما تجتمع الهيئة التشريعية (التي كانت تدعى بالكونكريس سابقا)،
خلال الشتاء المقبل، فسأعمل على أن لا تتعطل المراسلات المتبادلة بين بلدينا،
وأن تسير بالكيفية التي تروق جلالتم وترضي جميع مطالبها.
وأدعو الله تعالى بأن يبارك جلالتم - أيها الصديق الهمام العظيم، ويشملكم
دائماً بحفظه ورعايته.

حرر في مدينة نيويورك في غرة دجنبر عام 1789.

*It gives me pleasure to have this opportunity of
assuring your Majesty that, while I remain at the head
of this Nation, I shall not cease to promote every measure
that may conduce to the Friendship and Harmony which
so happily subsist between your Empire and mine, and shall
esteem myself happy in every occasion of convincing your
Majesty of the high sense (which is common with the whole
Nation) I entertain of the Magnanimity, Wisdom, and
Benevolence of your Majesty.*

وعندما نعى طوماس جيفرسون سيدي محمد إلى أعضاء الكونكريس طلب
إليهم التفكير في التدابير الواجب اتخاذها لضمان سير العلاقات الطيبة بين
المغرب وأمريكا، وقد تكلم طويلاً عن الأهمية البالغة التي يعلقها على الصداقة
مع المغرب مؤكداً بأن تجارة أمريكا مع الدول التي تقع على المحيط وعلى
المتوسط لا بد أن تتأثر بفاجعة موت محمد الثالث الذي كان اممه يملأ الدنيا !

ولما تربع السلطان المولى سليمان على كرسي الحكم وصلت التقارير إلى
الولايات المتحدة من قناصلها المعتمدين بالثغور المجاورة للمغرب بأن الحالة
في المغرب رجعت إلى حالتها الطبيعية وأن مولاي سليمان أخذ بزمام الحالة وأن
واجب أمريكا يقضي بأن تعجل بإرسال مندوب عنها جديد...

وهكذا عهد كاتب الدولة (Edmond Randolph) بتاريخ 28 مارس إلى الوزير المفوض الأمريكي في البرتغال الكولونيل (David Humphrie) بأن يقوم بالمساعي اللازمة مع المغرب من أجل الحصول من السلطان مولاي سليمان على تجديد الاعتراف بالاتفاقية الأمريكية المنعقدة في 1786...

وهكذا اعترف مولاي سليمان باتفاقية 1786، وذلك في رسالة بتاريخ أول صفر 1210 = 18 غشت 1795 موجهة منه إلى الرئيس الأمريكي كان مما جاء فيها : «نحن على السلم والمهادنة معكم على نحو ما كان بينكم وبين والدنا المقدس...».

ولقد تليت رسالة مولاي سليمان على أعضاء الكونغريس فكانت بشري بالنسبة للأعضاء وقد تم فعلاً تعيين قنصل جديد لأمريكا بالمغرب، ولم يكن هذا غير (Jaimes Simpson) الذي التحق بالعاصمة الدبلوماسية طنجة حيث تقيم البعثات السياسية...



رسم لطنجة من فيينا مع تجديد الشكر للمشرفين على الأرشيف الوطني

الأزمة المغربية الأمريكية

بيد أن الأحوال لم تلبث أن تغيرت فقد مرت العلاقات المغربية الأمريكية بظروف دقيقة بسبب الحرب التي شبت بين أمريكا من جهة وبين طرابلس من جهة أخرى...

وهكذا ففي أيام طوماس جيفرسون 1801 - 1809 وأثناء حصار طرابلس من قِبَل الأمريكيان ورد سفير من طرابلس على بلاد المغرب سنة 1802 يطلب من السلطان مولاي سليمان مركباً مشحوناً بالقمح...

إن المغرب بحكم ارتباطه بأخوته وجيرته كان يعتمد على أن الشرط السادس من المعاهدة المغربية الأمريكية يتضمن إشعاراً صريحاً بأن المغرب يعتبر المسلمين - ولو كانوا من غير إيالته - في أمانه وعلى صلح دائم معه !

وتيجة لرفض الضباط الأمريكيان - للاستجابة المغربية قام المغرب - بإشهار الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية على ما تؤكد المصادر الأمريكية... وهكذا نزلت إلى البحر السفينتان المغربيتان مبروكة وميمونة...

لكن العملية اكتشفت عندما كان الكابتن بينبريدج (Bainbridge) رئيس السفينة (فيلاديلفيا) يقوم بمطاردة المراكب الطرابلسية حيث واجهت (مبروكة) (فيلاديلفيا) يوم 9 جمادى الأولى 1218 = 26 غشت 1803 ولقد لاحظ الكابتن أن (مبروكة) تجر معها مركباً من بوسطن ذا شراعين كانت أسرته، وهو يحمل اسم سييليا (Celia). (18)

لقد تبين أن الأمر صدر لرئيس السفينة المغربية ابراهيم لوباريس (19) من عامل طنجة أشعاش بالقبض على السفن الأمريكية...

(18) كان هذا الكابتن رئيساً للسفينة (Betsy) التي كان العاهل المغربي أصدر أمراً بحجزها في مرسى طنجة...

(19) جلين تكرر Glein Tucker : معارك طرابلس، تعريب عمر الديراوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني ص 301 - 302، حرب القرصلة، ترجمة منصور عمر الشتيوي، طرابلس، ص 156 - 157.

وبعد أن خلص المركب الأمريكي وأفرج عن ربابنته قام بينبريدج بحجز (مبروكة) وقادها تحت القوة إلى جبل طارق على ما تذكره الوثائق الأمريكية التي وقفت عليها في الأرشيف الوطني بواشنطن... (20)

وقد وقفت على رسالتين اثنتين باللغة الإنجليزية كلتاها تحمل تاريخ 20 جمادى الثانية 1218 = 8 أكتوبر 1803 يتأكد أنهما حررتا والسلطان مقيم بمدينة طنجة التي دخلها يوم الخميس⁽²¹⁾ 18 جمادى الثانية 1218 خامس أكتوبر، وهما تخملان الطابع الملكي، الأولى إلى القنصل الأمريكي جواباً عن رسالة سابقة منه : يؤكد له فيها أن ما حدث لا ينبغي أن يضر بصفو العلاقات بين بين المغرب وأمريكا ويضيف قائلاً: «إن الذين وردوا علينا من إخواننا المسلمين مستنجدين بنا كان من الصعب علينا أن نرد طلباتهم، وحتى لو فرضنا أن الطرابلسين أعداء لكم، فحيث إنهم وصلوا إلى دارنا فقد كان عليكم أن لا تمسوهم رعايةً لجانبنا وعلى وجهنا، وإن الرايس الذي وقف إلى جانبهم إنما فعل ما تمليه عليه عاطفته..» وتختتم الرسالة بإعطاء موعد لاستقبال السفير وقائد الأسطول...

أما الرسالة الثانية فهي موجهة إلى العامل الجديد في طنجة محمد بن عبد الصادق وهي تأمره بأن يشرف على الإفراج عن سائر المحتجزات الأمريكية، ويقوم بإرجاع الأغراض إلى أصحابها دون تضييع أو تفريط وأن تمون السفن الأمريكية بما تحتاج إليه من زاد قبل سفرها...

وفي اليوم الموالي لتاريخ الرسالتين المذكورتين بعد استقبال مولاي سليمان للأميرال بريبل (Prible) يوم 7 أكتوبر حرر ظهير شريف صادر عن السلطان مولاي سليمان حول تجديد اعترافه باتفاقية والده، وهو يحمل تاريخ 21 جمادى الثانية 1218 = 9 أكتوبر 1803 وهذا نصه :

(20) تصفه المصادر الأمريكية بأنه كان قنصلاً للمغرب في اسبانيا...

\ Survey of United States Relations With Morocco Nov. 1957. Historical Division Departement of State (21 p. 25 – Luella – J. Hall, The United State and Morocco 1971, p. 61.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

ليعلم الواقف على هذا المسطور الشريف عن عمّالنا وولاية أمرنا ورؤساء
مراكبنا أن جنس المركان لا زال على ما كان عليه من الصلح والمهادنة مع
جانبنا العالي بالله، ومراكبه مؤمنة ببحراً وبراً، وتجارة كذلك، ولم يتغير الصلح
بيننا وبينه، وما كان أحدثه الحال مع مراكبنا فإنما هو من المراكب وقع ذلك؛ وأما
الجنس المذكور فهو عندنا على ما كان عليه من التوقير والأمان عليه وعلى
مراكبه، فنأمر الواقف عليه من عمالنا وولاية أمر مراسينا ورؤساء مراكبنا بأن
يعمل بمقتضاه ولا يحدو عن مذهبه، ومن خالفه نعاقبه أشد العقاب، صدر الأمر
به في 21 جمادى الثانية عام 1218.

وبعيد هذا التاريخ 24 جمادى الثانية 1218 = 12 أكتوبر 1803 أي في اليوم
الذي غادر فيه العاهل طنجة حررت رسالة من السلطان المولى سليمان إلى
الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون، ومجلس الشيوخ الأمريكي : «ان ما وقع من
وحشة - تقول الرسالة الملكية - بين سفننا وما وقع من ترامي رؤسائها بعضهم
على البعض الآخر استدعى إصدار أمرنا لإحضار الجميع بمرسى طنجة حيث
تحققنا بأن هذه القضية تافهة لا أهمية لها، وقد حلت المشكلة، وقد أخبرناكم بما
وقع إعراباً عن تأكيد الصداقة والسلام معكم على نحو ما كان عليه الأمر في
اتفاقية عام 1200، وإن العهود التي انعقدت بين البلدين ما تزال جارية...» (22)

☆ ☆ ☆

وقد وقف الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون يخبر البرلمان يوم
20 شعبان 1218 = 5 دجنبر 1803 بأن كل المصاعب قد وقع التغلب عليها
بصفة ودية، وأن العاهل المغربي قد جدد اعترافه بمعاهدة 1786، وبهذا دخلت
حوادث الأمس في التاريخ !! (23)

هناك نصّ في «تاريخ الضعيف» حول الأزمة الأمريكية المغربية، أشرنا له
في المجلد الأول من كتابنا وقد احتوى على عددٍ من العناصر التي افتقدناها في

(22) يحكي شاهد عيان هو علي باي أن خطيب الجمعة في اليوم الموالي حمل بشدة على التجارة مع
الأجانب اعتماداً على فتوى التسولي....

(23) وقفت على نسخة من هذا التصريح في مطبوع خاص يحمل تاريخ 5 دجنبر 1803 وعنوانه :
Message From The President of The United States... Amicable Adjustm ent of Differences Between The
United States and The Emperar of Morocco. W. Roiman وبهذه المناسبة أشكر الأستاذ و. رولمان



المصادر الأوروبية فعلاوةً على صحة التواريخ الواردة في كتاب الضعيف ودقة المعلومات التي استقى منها، نسمع حديثاً عن «الأوراق التي تشير إليها الرسائل المخزنية، والتي كانت البحرية الأمريكية تريد الوقوف فيها على الجهة التي زوّدت الرايس لوباريس بالتعليمات...

ويعتبر الضعيف من المصادر القليلة التي تحدثت عن زيارة السلطان المولى سليمان لمدينة طنجة (أكتوبر 1803) إذا ما استثنينا تلك التي أشارت لهذه الزيارة عند حديثها عن باديا لوبليش Badia Lebllich واجتماع هذا الأخير بالعاقل المغربي...⁽²⁴⁾

لقد عادت العلاقات إلى طبيعتها الأولى حيث سجلنا رسالة بعثها السلطان المولى سليمان إلى الرئيس الأمريكي جيمس مونرو (James Monroe) جواباً على اعتماد القنصل الأمريكي الجديد الكبالير (جوهن مولوني (John Mullony) الذي عين مكان سيمبسون، وقد ورد في هذه الرسالة التي حررت بفاس يوم 16 رمضان = 1236 = 17 يونيو 1821، نعت الرئيس الأمريكي برئيس الديوان...

ولما كان القنصل قد حمل معه هدية للعاقل من رئيس الولايات المتحدة فقد طلب إليه الملك أن يبقى الهدية تحت يده حتى تسنح الفرصة لمقدمه... أو يرسل من يصدر له الإذن بتسليمها...⁽²⁵⁾ وقد ختمت الرسالة بأخبار القنصل بأنه سيجد طي هذه الرسالة نصّ جواب ملك المغرب على رسالة الرئيس الأمريكي جيمس مونرو...

وقد راجت أقوال عن هبة الولايات المتحدة الأمريكية مقراً لبعثتها.

وهكذا نجد الوثائق الأمريكية تسوق نص الرسالة التي بعث بها السلطان المولى سليمان إلى عامله بطنجة يقول فيها : نأمركم أن لا تأخذوا أي كراء من القنصل الأمريكي جوهن مولوني من أجل الدار التي يسكنها والتي يمكنه أن

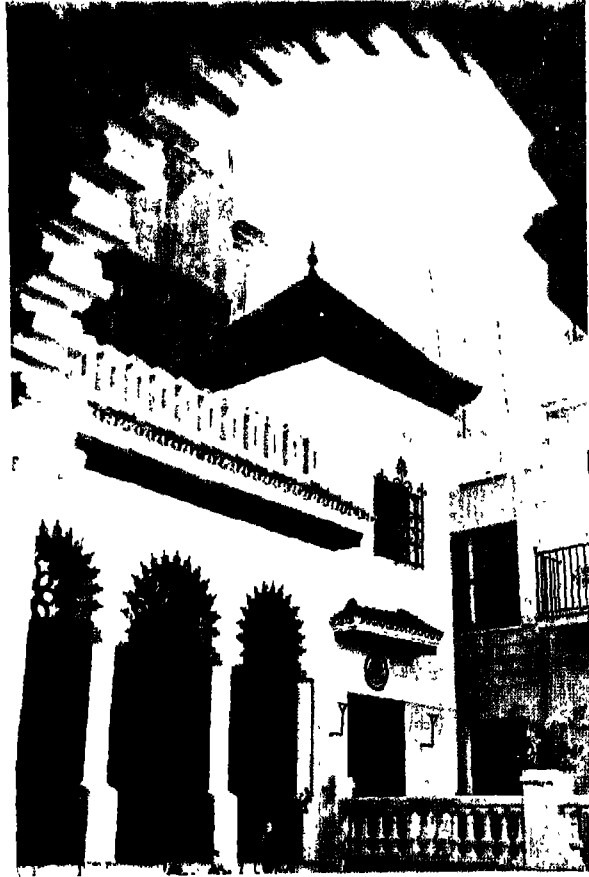
⁽²⁴⁾ Badia Lebllich : Viajes Por Marruecos / Edition Preperada Par Salvador Barbera Madrid I.E.A 1985 p. 169

⁽²⁵⁾ كان من جملة الهدايا لمولاي سليمان ساعات ذهبية وصناديق موسيقى...

يتصرف فيها كما لو كانت له، ففي استطاعته أن يقوم بإصلاحها على أن يكون من ماله الخاص...»

وبهذا تكون هذه البناية أقدم هبة تملكها الولايات المتحدة على وجه الكرة الأرضية. (26)

وان هذا العطاء هو الذي تؤيده وثيقة مغربية مصدقة حررت بعد هذا التاريخ بنحو ربع قرن تذكر أن الدولة الأمريكية تملك «زينة الدار»...



26) محمد بن الحسن الوزاني : جريد الرأي العام المغربية عدد 27 يولييه 1951 - محمد الفاسي دعوة الحق عدد 1967 ص 30. د. التازي : الحسن الأول ملك المغرب والرئيس الأمريكي كليفلاند محاضرة في الجامعة الصيفية - المحمدية - المغرب، ذي القعدة 1407 هـ = يولييه 1987م.

وعلى العادة المتبعة فقد وجّه السلطان المولى عبد الرحمن فور جلوسه على العرش 1238 = 1822 كتاباً إلى سائر القناصل المعتمدين بالعاصمة الدبلوماسية يؤكد فيه سيره في سياسته الخارجية على نفس الخط الذي كان عليه عمه السلطان المولى سليمان، وقد جاء في هذا الكتاب على الخصوص ما يلي :

«إلى كافة قنصوات الأجناس المصالحين معنا الذين بطنجة وهو قونص الإنجليز وقونص الافرنسيس وقونص الاصينيول وقونص البرديز وقونص السويد وقونص دنمارك وقونص مركان وقونص سردانيه، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد فاعلموا أن الله تعالى قادنا أمر المسلمين بالمغرب والمهادنة التي كانت بين سلاطين أجناسكم وبين عمنا السلطان مولانا سليمان رحمه الله لازلنا عليها والشروط والمكتوبة بينهم وبينه لازلنا عليها ولا يرون بحول الله وقوته منا إلا ما يسرهم. فنأمركم أن تكتبوا لملوككم بما قررناه لكم، وعلى هذا يكون عملكم والسلام بتاريخ ربيع الثاني من عام 1238 الموافق لثالث عشر دجنبر العجمي 1822.

إمحمد لله وحده
 ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

Seal

هذه نسخة من كتاب السلطان مولانا عبد الرحمن فتح الله وهو خلد ملكه بعد وضع الختم به

الركابة فنصوات الاجناس المصالحين معنا الغير بكنجة وهم قونص الانجليز وقونص الافرنسيس وقونص الاصينيول وقونص البرديز وقونص السويد وقونص فرانك وقونص مرطان وقونص سردانيه سلام على من اتبع الهدى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
 مولانا سليمان رحمه الله لازلنا عليها والشروط المكتوبة بينهم وبينه لازلنا عليها ولا يرون بحول الله وقوته منا الا ما يسرهم. فنأمركم ان تكتبوا لملوككم بما قررناه لكم وعلى هذا يكون عملكم والسلام بتاريخ ربيع الثاني من عام 1238 الموافق لثالث عشر دجنبر العجمي 1822

صلة المغرب مع : دُوبروفنيك - مالطة - اليونان في صدر الدولة العلوية

- تصريح الملك محمد الثالث في أعقاب الأخبار التي وصلت عن سلوك بعض مراكب جمهورية دوبروفنيك مع الحجاج المغاربة...
- وساطة الباب العالي وانفراج الأزمة.
- علاقات المغرب بالجمهورية من خلال الأرشيف.
- السفارة المغربية في مالطة من أجل تحرير الأسرى.
- مذكرات ابن عثمان في مالطة...
- خطاب الباب العالي للسلطان مولاي سليمان في شأن التوصية خيراً بالجزر اليونانية التي انفصلت عن البندقية...

العلاقات بين المملكة المغربية وجمهورية دوبروفنيك على عهد السلطان محمد بن عبد الله

بالرغم من أن جمهورية دوبروفنيك (Dubrovnik)⁽¹⁾ أو (راكوزة) كما تسميها أحياناً الوثائق المغربية - كانت على هذا العهد محمية الباب العالي فقد حفظ التاريخ عدداً من الوثائق المتبادلة بينها وبين المغرب.⁽²⁾ ويتعلق الأمر بصفه خاصة بالاتصالات التي جرت في أعقاب اتهام إحدى السفن التابعة للجمهورية بتقصيرها في واجب نقل الحجاج المغاربة إلى بلادهم وإنزالهم عوض ذلك بميناء طرابلس وتونس مخلةً بالشروط المتفق عليها بين المواطنين المغاربة وبين بحرية دوبروفنيك !

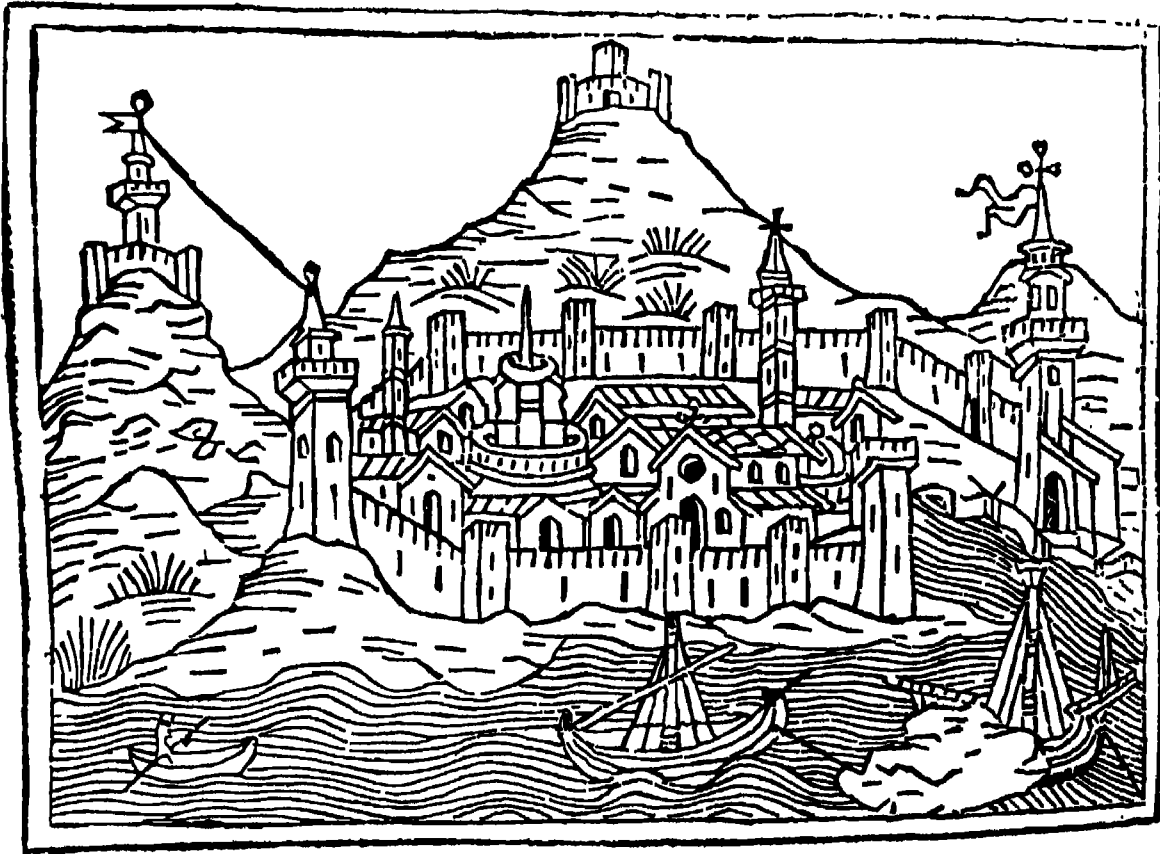
وهكذا حرر السلطان محمد بن عبد الله تصريحاً بتاريخ 24 شعبان 1191 = 27 شتنبر 1778 باللغة الفرنسية بواسطة سومبيل (Sumbel)، يذكر فيه أنه يشعر القنصل الأجنبي بأنه يعتبر نفسه في حالة حرب مع جمهورية راكوزة ويعطي الأسباب لذلك...⁽³⁾

- (1) تقع دوبروفنيك (Dubrovnik) على ساحل البحر الأدرياتيكي جنوب سنجق البوسنة وسنجق الهرسك كما تسميها وثائق العثمانيين، عقب سقوطها في أيديهم عام 1463... نياز محمد شكريج : الفتح العثماني وانتشار الإسلام ونشأة المؤسسات الإسلامية في البوسنة والهرسك (يوغوسلافيا) في القرنين الخامس عشر الميلادي.
- (2) رسالة تقدم بها الأستاذ شكريج إلى جامعة بغداد في تشرين الأول 1971 وحضرت مناقشتها.. يتحدث كتاب تاريخ الأتراك في شمال إفريقيا (ج 2 ص 43) عن رسالة بعث بها العاهل المغربي إلى البلاط العثماني مع السفير عبد الكريم أراغون، وكانت تتعلق بدوبروفنيك.
- (3) توجد، رسالة بتاريخ 24 أبريل 1780 من العاهل المغربي إلى قابطان راكوزة يتحدث فيها السلطان عن أداء واجبه لبحري من نفس الجنسية.

Jacques Caille : A Propos d'un Document Inedit de Moulay Yazid Hesp p. 239 .

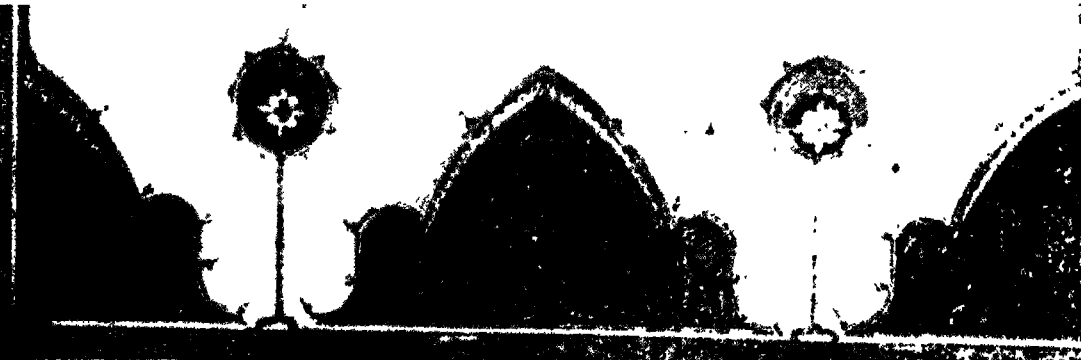
وقد ورد على المغرب في ربيع الأول 1184 = أبريل 1780 سفيران من جمهورية دوبروفينيك⁽⁴⁾ هما قنصل قادس دوديرو (Dodero) والقابطان كازيلاري (Casilari) وهما مبعوثان من الباب العالي من السلطان عبد الحميد وكانا يحملان أنفس الهدايا...

وقد وصل الوفد إلى مراكش لمقابلة العاهل المغربي محمد الثالث حيث وصل الطرفان إلى اتفاق وصدر تصريحان بتاريخ 6 جمادى الأول 1194 = 10 مايو 1780 جعلاً حداً للأزمة، وذلك بعد أن قدمت السفارة حُججاً معززة بشهادة من شيخ تونس تدل على أن السفينة المتهمه ليست من دوبروفينيك !

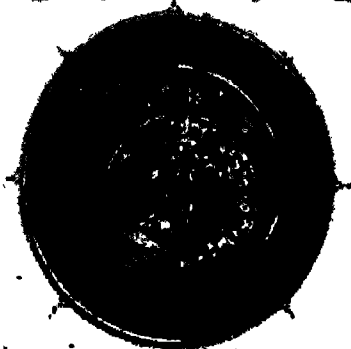


رسم لمدينة دوبروفينيك

(4) باسم قورقوت : الوثائق العربية في دار المحفوظات بمدينة دوبرفينيك سراييو 1960
يوغوسلافيا، الكتاب الأول ج 1 - 2 .



بسم الله الرحمن الرحيم في ليلته في ليلة الأثنين العاشر من شهر



الذي هو من جنس وبنو بني قديس الملك على من أضع الشرف أما بعد فقد بعثنا
معه كارلو ماريه وأنطونيو كازيلاري والأدوية والحقائق مع عتاق أهلنا
هؤلاء خفتهم جميعاً لا يشاءوا أن يتركوا من الغنم والأشجار والحقائق
فلا ينزلهم إلا بالحق والبرهان وقد علمنا من كتابهم في هذا العام والهدم
قبله الحجاج وأنزلوه من يسوسة ومغافص وكان كتابهم أثملاً علمنا بالأمم
فبعد أن سلمنا من أنرا كينجنيك من الذين حملوا من ولداً أو نذرنا كتبنا التولية
أن تغضوهم والآن نحن نأخذنا كبر ورمنا الناس الكرم والاضحى بقوه والشاهة أيضاً
مراكبهم أن يعلوا الحجاج الأهل تشكر أن يوطئهم لوليس أيها القائل معكم على
المعاهدة والتخلف وكما يسألك جميع التونطوبان غرضنا احذر من الأخطار تلبس
جماهير الأهل عام أربعة وستين ومائة وأربعون **1780** التواريخ وما يشتمل
على ما يدان وتنبه جهانيه والعب

6 جمادى الأولى 1194 = 10 - 5 - 1780

كتاب من محمد الثالث إلى ديوان دوبروفنيك يخبرهم أن كتابهم المتشفح الذي يحمله كارلو ماريه وأنطونيو كازيلاري... وأنه يتجاوز عن الهفوة التي ارتكبوها حيث أخذوا الحجاج المغاربة من الأسكندرية وعض أن ينزلوهم بالمراسي المغربية أنزلوهم في سوسة و صفاقص... كانت المسامحة بعد سنتين من التوسلات، وكانت السلطات منذ خمس سنوات أخطرت سائر الدول بواجبها.

لكن المشاكل لم تلبث أن عادت للظهور وبالضبط بتاريخ 7 ذي الحجة 1194 = 14 دجنبر 1780 حيث أعلن العاهل أنه يعتبر نفسه في حالة حرب مع راكوزة...!!

والواقع أن بعض ربابنة السفن من الأروبيين كانوا لا يترددون في الإقدام على مثل هذه المخالفات وقد حدث أن أنزلت سفينة من تلك السفن جماعة أخرى في مالطة حيث ظلّ المغاربة هناك يعانون من البرد والجوع...⁽⁵⁾

لكن الظروف لم تلبث أن عادت بالعلاقات إلى سابق عهدها بسبب بعض المبادرات التي جدّت من لدن دوبروفنيك...

وعندما أصبح المولى يزيد ملكاً على بلاد المغرب كتب بتاريخ 9 يولييه 1791 إلى بحريّ من دوبروفنيك يطلب إليه إرسال أحد الربابنة، وبتاريخ 6 دجنبر 1797 توجه السلطان المولى سليمان إلى بحريّ آخر من (راكوزة) يعيد إلى ذاكرته أنه تبعاً للقواعد المتفق عليها، فإن راكوزة كانت التزمت بأن تجعل عدداً من السفن تحت تصرف العاهل سيدي محمد بن عبد الله كلما دعت حاجة المغرب إلى ذلك...

وقد اتبعت هذه «القواعد» إلى شهر يبرابر 1798 حيث نجد تسع سفن من (راكوزة) تذهب من الصويرة إلى الأسكندرية محملةً بالحجاج الذين قصدوا مكة...

وأخيراً ففي بداية القرن التاسع عشر سُمع عن طائفةٍ من المغاربة ذهبت إلى الديار الشرقية والحجاز بالذات بواسطة باخرةٍ من راكوزة على نحو ما يرويّه سفيرٌ نمساوي ورد على مكناس عام 1805...

(5) هناك دعاء يجري على ألسنة العوام في المغرب «الله يعبّيك لمالطة لا فراش لا غطا!!» يدعون به على من يكرهون سلوكه وهو يشير دون شك لحالة معينة من حالات أولئك الأسرى الذين عادوا يحكون على ما حلّ بهم من محن... وربما كان للمثل علاقة بهؤلاء الحجاج الذين غرّر بهم بعد أصحاب السفن فأنزلوهم في مالطة عوض إنزالهم في طنجة على ما أشرنا إليه في المجلد الثاني ص 299.

وتحتضن دار المحفوظات عشرات الوثائق التي تتناول القضايا ذات الاهتمام المشترك بين المغرب ودوبروفنيك، وسنشير إلى بعضها مؤملين إيراد الباقي في «الملاحق»...

خطاب الملك محمد الثالث إلى ديوان دوبرونيك بتاريخ 6 جمادى الأولى 1194 = 10 مايو 1780... يبشرهم بأن سفارتهم لديه، المؤلفة من كارلو ماريه وأنطونيو كازيلاري قد أدت مهمتها وأنه يتجاوز عن الهفوة التي كانت قد نسبت إلى دوبرونيك بسبب إنزالهم الحجاج المغاربة في سوسة وصفاقص.

رسالة من الباب العالي إلى السلطان مولاي يزيد بن محمد أواخر محرم 1206 = 29 شتنبر 1791 تستوصيه خيراً بطائفة من المواطنين الدوبريين باعتبارهم رعايا للباب العالي وقد عثرت على هذه الوثيقة في أرشيف رئاسة الحكومة باستانبول...

رسالة من السلطان مولاي سليمان إلى رئيس ديوان (الراكوزة) بتاريخ 13 محرم 1210 = 13 - 7 - 1795 يخبرهم بوصول سفيرهم ببيطرة دجوان (Petar Dovanijer) حول المركب المغنوم ويخبر بأن المشكلة قد سويت حسب ما تقتضيه علاقات الودبين الجانبين.

كتاب بتاريخ 8 ذي القعدة 1205 9 يولييه 1791 ينعى فيه الأمير المولى يزيد والده السلطان سيدي محمد إلى ديوان دوبرونيك... وأنه سيتبع سياسة والده المسالمة معهم وفي الوقت نفسه صرّح أمام السلك الدبلوماسي في طنجة بأنه سيراجع موقفه إزاء سائر الدول باستثناء دوبروفنيك وأنجلترا...

العلاقات بين المغرب ومالطة

على عهد الدولة العلوية

منذ أن أخرج روجي العرب من مالطة سنة 1091م 1484 هـ أمست مشاركة لصقلية في مصيرها إلى أن كانت سنة 1530م 937 هـ حيث نرى شارل كينت يتنازل عنها لفائدة مضيبي سان جان الذين أخذوا لقب «الفرسان» والذين جندوا أنفسهم لمقاومة المجاهدين البحريين في المتوسط.

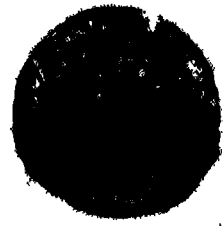
واهتمامهم تابعون الى دولتنا العلية وراعيون رعايتهم على ذمت السلطنة السنية فسامحهم مراعاة لظواهرهم والليل
 عجب فلقم الخيل كما هو بدية الوفاة والوفاة والوفاة والوفاة والوفاة والوفاة والوفاة والوفاة والوفاة والوفاة
 الى سديتنا السنية في ذلك الوقت الواسع وصدره هو ابراهيم من طرف غنما الوصل الوحيد والظهير من طرف غنما الوصل
 وادان هوبرهم من تلك الكيفيات وادرج فيه ما غنمهم من غرد النوحات وودور خلاوت وودورهم وودورهم وودورهم
 بوصايا عتية حسب شئناهم المظنة وان لو يطلبوا منهم السفين لخدمة في كل دنة احترامنا لتفوق وانماهم
 الى حياطة العتية واكراما وايضا لو نوسايم والظواهر الى سديتنا السنية لوزم غنمهم البنا محسبونهم علينا
 فقبل ان يمشوا من استحقاقهم محسبونهم فلما شرف سرتنا الملكة جودهم الشريفة ووزن الركة
 الكريمة من طرفنا الاوغلهم ذلك الطائفة كما صق غنما سبكم الكرم في الطائفة الطائفة
 الطائفة الكريمة ووزنهم في رعايتكم وهيا نكلم لون طائفة وودورهم وودورهم وودورهم
 الى سديتنا السنية محسبونهم على غنما الوصل وهم قوم من اهل ذمتنا وطائفة من اصناف رعتنا وانظورهم
 تحت حمايتنا وواحدون الى غنما غنمهم في حوزة حراستنا وورعون في حمارها نينا فالامور من سببكم الرعية
 والظواهر من سببكم الرعية ان ينظر اليهم بعض الغاية والرعاية وان يحكم في حوزة الحماية والظواهر السنية
 في ذمتكم العتية وشنشكم المظنة ان لو يطلب السفين لخدمة في كل سنة لوزم قوم ضعفاً وخطا السنية
 لرحم الغناء لغنمهم تجارة السفين مقصوده وخصم معاشهم الضروري وتكبل اشغالهم المفرد في الغنم
 بذلك المقصود وان اهدت غنم السفين في كل العام بوجب الغدر لهم من الخاص والعام ويحصل السنين
 من سببنا السنية ويروض النقيصة لساننا الخاق في لون الطائفة المرسومة تابعون البنا غنمهم في القرب والعيد
 واجد علينا ومراعاة ظاهر الوفاة من شية الوفاة ومحافة فاموس الوفاة وديان الوشاف والكراخي
 متوقرون ابيكم باكل النوحات ويخطفون انظا واما فضل العطفات وتراعي حقوق اعدتكم الدينية وتحافظونهم
 السنية كما صدر من صدر النبوة كل مؤمن اخوة ويجب في اخر الزمان انما والمؤمنين خصوصاً تعاون المرأة المسلمين
 شرقاً وغرباً وتوقه تلومهم بعداً وقرباً والمطلوب بعد هذا من جانبكم الوصي ان لو نوسوا من العتية الحسية به
 والتوصيات القلبية ادام الله عزكم واحترامكم والعدوة على النبي المختار وعلى اله الوفاة والظواهر الوفاة

١٢٠٦

مزياني افاضم شني

أواخر محرم 1206 = 29 شتنبر 1791
 من رسالة الباب العالي إلى السلطان يزيد بن المولى محمد تستوصي خيراً بطائفة النصارى
 الموجودة في دوبروفينيك باعتبار أنهم تابعون للباب العالي ومن جملة رعاياه.

بسم الله الرحمن الرحيم
والله اعلم بالصواب



في شهر ربيع الثاني سنة 1210 هـ الموافق 1795 م
بمكة المكرمة
بسم الله الرحمن الرحيم
والله اعلم بالصواب

13 محرم 1210 = 30 - 7 - 1795

رسالة من السلطان مولاي سليمان إلى رئيس ديوان جمهورية (الراكوزة) يخبرهم بوصول سفيرهم بيطر
دجوان (Petar Dovanizer) حول المركب المغنوم ومن كان به من الرجال... وقد تم الفصل في الموضوع
رعياً لسابق معرفتكم بسيدنا الوالد...

ومن هنا وقع عدد من الأسرى في أيدي «الفرسان» فاحتفظوا بهم في مقابلة الإفراج عن أسراهم لدى الإيالات العثمانية في الجزائر وتونس وطرابلس والبلاد الشرقية...

ولما كان عهدُ السلطان سيدي محمد بن عبد الله أخذ على عاتقه الإفراج عن سائر المسلمين الأسارى من غير تمييز بين جنسياتهم، قرر توجيه سفارة مغربية إلى حاكم مالطة للقيام بعملية الافتداء، ورصد لذلك أموالاً باهضة...

ولكنه قبل أن يبعث بالسفير محمد بن عثمان على رأس بعثة مغربية تتألف من السادة عبد الكريم بن قريش ومحمد المير السلاوي والطيب ابن جلول والتهامي البنائي، أرسل بالكاتب السيد محمد بن عبد الهادي⁽⁶⁾ الحافي، ليقوم بعملية جرد الأسرى المسلمين، وكان السلطان محمد الثالث مهد لهذا بذكر مالطة ضمن الدول التي يسمح لها بالتجارة مع المغرب على نحو ما فعل مع روسيا وأمريكا في منشوره بتاريخ 20 دجنبر 1777...

وقبل الإشارة إلى مقام سفارة ابن عثمان في مالطة نجمل هنا خبر الرسالة التي بعث بها الطاهر بن عبد الحق فنيش إلى وزير كارلوس الأعظم الكوندي دي فلوريدا بلانكا : إن المالطيين الذين احتجزوا بالمغرب ادعوا أنهم كانوا يتوفرون على باسبورط كارلوس... والواقع يقول فنيش : إن سيدي لم يكن

(6) خص الأستاذ ماريانو أريباس ببالا وهذا الدبلوماسي المغربي الرباطي بدراسة جيدة مستوعبة حول مهمتيه الاثنتين في مالطة : الأولى التحق به محمد بن عثمان عام - 1781، والثانية قام بها وحيداً عام 1789، وكلتا المهمتين تنصبّ على افتداء الأسرى المعتدبين في مالطة... وسيظهر من خلال حديث ابن عثمان عن الحافي أن هذا لم يكن في مستوى مهمته بينما يظهر من شهادة الإسبان أنه كان معروفاً بحسن السلوك وجمال المظهر الأمر الذي يفتر معنى قول الكتّاب : «المعاصرة حجاب !!».

وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة «القنطرة» الإسبانية م 5، ف 1، 2 مدريد 1984 ص 203 - 233، وقد عربتها الأستاذة آمنة اللوه، الباحثة في معهد البحث العلمي، ويقرأ حول الحافي كذلك مقال في المجلة الإيطالية «دراسات مغربية» - نابولي 1974 ص 171 - 173.

عنده خبر بشيء، والدليل على ذلك أنني لما أخبرته بما وقع أجنبي بما يؤكد ماقلته إلى آخر الرسالة الملكية التي أرخت يوم 17 شعبان 1194 = 18 غشت 1780.⁽⁷⁾

ودائماً وفي إطار تسوية مشكل المركب المالطي وقضية الأسرى المغاربة نجد رسالة أخرى بتاريخ 9 جمادى الأولى 1195 = 3 مايه 1781 من القائد محمد بن أحمد إلى حاكم مالطة وهو جواب عن رسالة بعث بها الحاكم في أعقاب توصله برسالة القائد الطاهر فنيش...

إن الباشدور السيد محمد بن عبد الهادي الحافي في طريقه إلى مالطة وعندما يقضي الغرض الذي توجه له عندكم «يرجع ومعه المالطية الذين ضاعت بضاعتهم في مركب Dubro Veniciano⁽⁸⁾ حيث سيرد لهم ما ضاع لهم لوجه باسبورت الري كارلوص...

وقد توجه ابن عثمان سنة 1196 = 1782 للجزيرة المذكورة... مزوداً بالتعليمات الملكية من البداية في الابتداء بالنساء والصبيان والشيوخ وذوي الأعدار، وقد أمرهم بالمكث هناك حتى ترد عليهم خمس مراكب جهادية : يركب الأسرى في أربعة منها بينما تتوجه السفارة في المركب الكبير إلى نابولي بعد انتهاء مهمتها في مالطة التي يتكلم أهلها «سبعة ألسن» على ما يقول ابن عثمان !

وقد وعدهم الحاكم بإرضاء اقتراح العاهل المغربي وعين وكيله لديهم، وهنا شرعت السفارة في عمليات الافتداء...

وفي أثناء هذا راجت إشاعة في البلد مفادها أن السفارة جاءت لإحداث انقلاب في البلاد !! فإن الأسرى الذين كانوا مؤدبين بالأمس مع السكان أمسوا يعاملون الناس بغلظة وعنف..! وإن السفارة تنتظر ورود خمس مراكب بحرية ونجاز هذه المؤامرة !! كما نقرأه في «البدر السافر».

(7) مجلة دراسات مغربية، المعهد الجامعي للدراسات الشرقية، نابولي، وبهذه المناسبة نجدد شكرنا لمديرة المعهد الزميلة الأستاذة كلييا سارنيلي سيركا (C. Sarnelle).

(8) هكذا تُرجم وأعتقد أن القصد إلى (دوبرفنيك) - يوغوسلافيا).

ويذكر السفير ابن عثمان في كتابه هذا أن الحاكم كان يبعث إلى الدبلوماسيين المغاربة في مدة مقامهم لحضور الحفلات بقصره ويطلعهم على ما اشتمل عليه القصر، وقد رأى في إحدى القبب رخامةً مستطيلة في عرض نحو شبر وطولها قدر عرض القبة، مقسمة على عدد شهور السنة، وكل قسمة معلّمة بخطوطٍ على عدد أيام الشهر وفيها الإبراج المصورة على أشكالها مثل السرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والحوت وغير ذلك... وفي أعلى السقف طاق قدر الأنملة تدخل منه الشمس عند الزوال في سائر الفصول وتستمر مع تلك الرخامة في سائر أيام السنة...⁽⁹⁾

وقد ودّعوا المدينة في سابع شعبان 1196 = 18 يولييه 1782 وساروا إلى المرسى مع الأعيان الذين هبوا لوداعهم وركبوا في السفينة التي قدموا عليها في اتجاه نابولي...

ولم ينس العاهل بقية الأسرى في مالطة، وهكذا توجه برسائل هامة إلى ملك اسبانيا حول الموضوع : وقفت على واحدة بتاريخ 20 شوال 1196 = 28 شتنبر 1782 تتحدث عن توسل بقية الأسرى بابن عثمان وهو يتأهب لمغادرة مالطة وقرار العاهل بإرسال الفداء إليهم...⁽¹⁰⁾ كما وقفت على ثانية بتاريخ أواخر شعبان 1197 = 30 يولييه 1783 تتحدث عن أن المالمطين «رجعوا عن بيعهم الذي كانوا تعاقدوا عليه مع ابن عثمان وكانت الثالثة بتاريخ

(9) تحدث جوهن ويندس J. Windus الذي ورد ضمن سفارة إنجليزية إلى مكناس عن قبة فلكية كانت بمكناس على عهد السلطان مولاي إسماعيل : «شاهدنا قبة عجيبة الصنع سقفها مصبوغ بالأزرق فيه نقط ذهبية تمثل النجوم وفي وسطها دائرة من الذهب تمثل الشمس...»

A Journey To Mequinez... in the year 1721, London 1725

ابن زيدان : الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة. المطبعة الاقتصادية - الرباط 1356 = 1937 ص : 101.

(10) من المهم أن نشير إلى ما نقله السفير المغربي ابن عثمان في كتابه «البدر السافر» عن ظروف الأسرى المغاربة في بعض البلاد الأروبية : كانوا يعمدون إلى قطع من حديد يحمونها ويضعونها على لحم الأسير حتى يحترق ثم يضعون فوق ذلك قطعة من الزفت ! وانهم كانوا يربطون يدهم في مركب، بينما يربطون رجله في مركب آخر ويأمرون أصحاب المركبين فيشترق أحدهما ويفترق الآخر !!

10 جمادى الأولى 1201 = 28 يبرابر 1787 وهي تطلب من ملك اسبانيا أن يتوجه لولده في نابولي حتى يقوم بالاتصالات مع حاكم مالطة... وقد عهد بالمهمة إلى عبد النبي بن وعود ومحمد الزرهوني.

علاقات المغرب باليونان

ونظراً للروابط التي كانت تجمع المملكة المغربية بالباب العالي فقد كانت القسطنطينية العظمى تستوصي خيراً بسائر الأقاليم التي كانت تقع حمايتها حتى لا يصلها أذى من قريب أو بعيد، وقد كان المغرب يستجيب لتلك التوصيات لأنه يراها محققة لأهداف الصلة الروحية التي تجمعها بالعثمانيين... لقد قرأنا عن هذا في علاقات المملكة المغربية مع جمهورية دوبروفنيك...

وقد رأينا المغرب يستجيب لاستصراخ الباب العالي ضد حملات نابليون على مصر ويبعث بنجداته ومساعداته.. ورأيناه قبل هذا يقف إلى جانب الإيالات العثمانية في الشمال الإفريقي متى نزلت بها ضائقة...

وكان هذا نفس الموقف بالنسبة لجزر يُونيين السَّبعة (Les îles Ioniennes) التي انفصلت عن البندقية ووضعت يدها في يد العثمانيين...

لقد كتب الباب العالي - وهو في غمرة صراعه لنابليون - إلى السلطان مولاي سليمان بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله بتاريخ 8 ذي القعدة 1214 = (2 أبريل 1800 يخبره بشروط وأسس علاقات الباب العالي بالجزر السبعة المذكورة ويطلب أن يشملها العاهل المغربي برعايته، وهذه الجزر هي المسماة : بقورفة (Corfu) وزانطا (Zanta) وكفالونية (Cèphalonie) ومادرة (Madouri) وباقسو (Paxi) وإتاكي (Ithaque) ونفوقة (Naf Paktos)⁽¹¹⁾

(11) تقع (كورفو) على مدخل بحر الأدرياتيك ويقال عن (زانطا) إنها جزيرة الشعراء والموسيقيين، وتعتبر سيفالونية أوسع الجزر السبعة... ويقصد بمادرة جزيرة Lencade حيث توجد جزيرة صغيرة تحمل اسم (Mabouri) وقد افترضنا أنه يقصد بجزيرة باقسو إلى باكسي (Paxi) وهي جزيرة صغيرة ضمن جزيرة كورفو...

كما يتحدث الخطاب عن علاقات الباب العالي بجمهورية دوبروفنيك

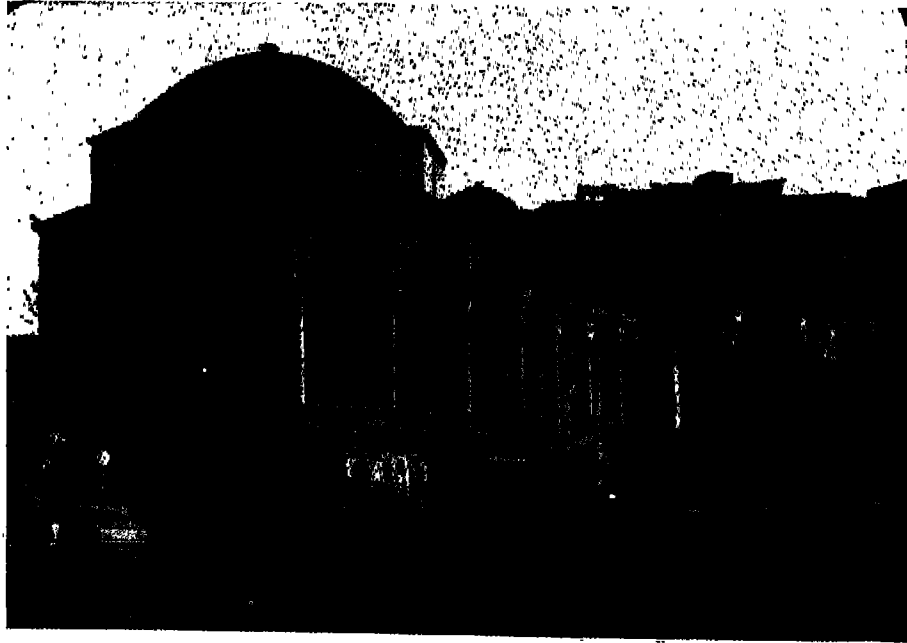
...(Dubrovniku)

ونظراً لأهمية هذه الرسالة من الناحية الوثائقية أقدم جانباً منها هنا وقد وقفت عليها في أرشيف استانبول...

في لائحة الخاتمة من رعاياهم التي كان كرسية ولا يكتفي على ولا يتوكلهم بوجه من الرعية لهم بفتح الجهد المذكور على ما هو متعارف لهم
ان يقولوا كل واحد من المذكورين دولة معينة في سنة يكون من جزائهم وغير ذلك من التغيير بعد نظر الحكومات ورضائنا بسببها
في حقهم من الترخيص لهم ونظراً الى ذلك انهم لم يوافقوا على ما ذكرنا في الرعايا ودفعنا منهم من قبلنا مائة شيبا اسلما به وما لك
موردية ثمانية المالك ورضائنا على ذلك كما استعملنا بالاسم في الرعايا منهم لثبات على ذلك مصدر الاذن لهؤلاء
الذين المراد من اجل الترخيص بالاسم في ذلك بالقبول والمراد في جميع سوا ذلك من الرعايا المذكورة ويكونوا مستفيدين
استعملنا في انهم في انهم كما استعملنا في ذلك بالاسم في الرعايا المذكورة والمدروسين رعايا بنا واجل ذلك في انهم
هو راسم الاطلاقة والقبول في ذلك في انهم في رعاياهم ايضا في رعاياهم الملاحية والذرية
مراعات الجمهور ووجه ويترك في جميع الاستحقاق والاشياف وذلك اننا ما يجرى في حق اموالهم ووجه ذلك تراخيصهم في رعايا
الموردية من الرعايا يكون جازيا في حقهم ايضا في رعاياهم في حماة وصيانة في رعاياهم وسوا ذلك في رعاياهم في رعاياهم
والدورات ليس في حق رعاياهم في رعاياهم ايضا ومقدار ما يعطى ووجه ذلك من رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم
رعاياهم المذكورة ايضا في رعاياهم في رعاياهم ايضا في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم
يعطون مقدار ذلك من رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم
من رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم
في امن وراحة يكون من بعد ذلك على ذلك في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم
واذا بهم المضمومة بهم ولا يلبس منهم ما ليس بايا ولا يلبس منهم احد في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم
وليس في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم
السلطان الموننج مطلقا ولنا في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم
رنا في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم
وبارواح اجدادنا لتمام انا رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم
المزيدة وان صدر رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم في رعاياهم
وبوجه ليس ولقد صدر هذا المنشور في اليوم الثامن من ذي القعدة سنة ١٢١٤ من سنة اربع عشر وثمان مائة
من شهر من له الف والثلث فانا وصل بالسر والسعادة الى طريق سعادته جنابكم العاطف فالاموال العلى بموجب ما فيه لعلنا
لا نقفنا بانه اننا ودد احد من اهلنا الجمهور المذكور الى تلك الاطراف يكون في حمايتكم ورضائكم ولا يترتب له احد في تلك
الاطراف هنا هو الاموال من جناب الجهاب لازل كنه الحاجات وموطن الساعات والاموال

عنه عليا سلطان به بنه اميرالطرف لرفعت نواردين بر فطه نامه نك زجه سبدر ١٥٢٠ وعلنج

والجدير بالذكر أن هذه الرسالة التاريخية من الباب العالي إلى السلطان مولاي سليمان كانت سابقةً للاتفاقية العثمانية مع الجمهورية الفرنسية التي أبرمت بتاريخ 23 صفر سنة 1217 = 25 يونيو 1802 والتي تقضي بأن تعود مصر إلى الدولة العثمانية مع كافة ما كان لها من الحقوق وأن تقام في جزائر اليونان جمهورية مستقلة تحت حماية الباب العالي - وكان ذلك بالاتفاق مع روسيا - وتعهدت الدولة العلية بردّ ما صودر من أملاك الفرنسيين ببلادها ومنح فرنسا جميع امتيازاتها السابقة المضمونة لها بمعاهدة سنة 1740 وأن يكون لمراكبها التجارية حق الملاحة في البحر الأسود أسوةً بمراكب روسيا.⁽¹²⁾



رسم أخذته لأحد المساجد القديمة في أثينة وقد تحول إلى متحف

(13) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص 186.

إنتهى المجلد التاسع
ويليه المجلد العاشر
ويبتدئ بالقسم الثاني
من العلاقات الدولية للمملكة المغربية
على عهد الدولة العلوية...

فهرس الصور والوثائق

الموضوع	صفحة
النسب العلوي من إملاء السلطان مولاي سليمان	10
رسالة السلطان العثماني إلى العاهل المغربي	15
جانب من الخطاب العثماني	19
رسالة السلطان المولى عبد الله وهي مترجمة إلى التركية	24
رسالة السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الصدر الأعظم في الدولة العثمانية	27
أوراق اعتماد السفير بن امبارك بن هداد والحاج عبد الله الشربي	28
خطاب السلطان عبد الحميد حول المصاحف المحلاة بالذهب	32
جامع السنة حيث تم استقبال السفير اسماعيل أفندي	35
جانب من تقرير اسماعيل أفندي أيام محمد الثالث	38
رسالة السلطان عبد الحميد إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله	39
رسالة واردة على السلطان سيدي محمد بن عبد الله	42
رسالة إخبار المولى سليمان بهجوم نابليون الأول على مصر	46 - 45
صورة المسجد الكبير بسوسة	46
رسالة عن محمد الثالث إلى لويز الخامس عشر	50
صورة السفير الطرابلسي عبد الرحمن أغا	52
خريطة المغرب منذ بداية الدولة العلوية	58
رسالتان من السلطان مولاي سليمان إلى أمير نيجيريا	64 - 63
رسم لحصار مدينة سلا	70
صورة السفير المغربي محمد تميم	73
رسالة السلطان مولاي اسماعيل إلى لويز الرابع عشر	76
قصر فيرساي	78
صورة استقبال المولى اسماعيل للسفير الفرنسي	79
رسم لعبد الله بن عائشة سفير المغرب بفرنسا سنة 1699	81
توقيع السفير بن عائشة	82
رسالة المولى اسماعيل إلى لويز الرابع عشر	84
لوحة للأميرة الفرنسية دوكونتي (De Conti)	85
رسالة لويز الرابع عشر إلى السلطانة خنائة	89
مسجد محمد الثالث بباريز	91
رسالة محمد الثالث إلى لويز الخامس عشر	92

الموضوع	صفحة
رسالة محمد الثالث إلى لويز الخامس عشر	93
لوحة للطاهر فنيش السفير المغربي بباريس	94
رسالة محمد الثالث إلى لويز السادس عشر	95
رسالة السلطان المولى سليمان إلى المجلس التنفيذي الفرنسي	98
رسالة السلطان المولى سليمان إلى نابليون الأول	100
إقرار للسلطان المولى عبد الرحمان	101
أحد المدافع التي تركها الإسبان في العرائش	106
أول رسالة من ملك المغرب إلى ملك اسبانيا	118
رسالة الأمير مولاي اليزيد إلى العاهل الإسباني	125
رسالة السلطان مولاي هشام إلى كارلوس الرابع	127
لوحة علي باي العباسي	130
قصبة فضالة (المحمدية)	132
حاملي قراب الماء	136
أقدم صورة لضريح سيدي بليوط	139
أقدم رسم لمدينة ليشبونة	139
من آثار البرتغال في مدينة الجديدة	143
البند الأخير من الاتفاقية المغربية البرتغالية	143
رسالة السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى ملك البرتغال	145
رسم لضرب السكة	146
رسالة الملك مولاي سليمان إلى ملك البرتغال والبرازيل	150
رسالة وزير خارجية المغرب محمد بن عثمان إلى نظيره البرتغالي	153
السلطان مولاي اسماعيل	159
توقيع محمد بن حدو	160
رسالة اعتماد محمد بن حدو ومحمد الحافظ ومحمد لكاش	161
لوحة للسفير محمد بن حدو	162
لوحة لمؤتمر طبي بطنجة	163
رسالة مولاي اسماعيل إلى ملك إنجلترا	165
نموذج من أختام الملك محمد الثاني	172
توقيع السفير عديل	174
رسالة الملك محمد الثالث إلى ملك إنجلترا	175
رسالة مولاي سليمان حول محاولته استرجاع سبتة	179
وثيقة حول الاتفاقية المغربية الفلامينكية الهولندية	186

الموضوع	صفحة
رسالة إلى ولاية هولاندا	188
رسالة المولى اسماعيل	189
اتفاقية مغربية هولندية	190
رسالة المولى اسماعيل	192
رسالة السلطان مولاي عبد الله إلى الولايات العامة	194
رسالة السلطانة خنائة إلى الولايات العامة	195
لوحة للدوك دي ريبيردا من أكابر رجال السياسة في لاهاي	196
رخامة باب قصبة أكادير	197
اتفاقية مغربية هولندية	198
رسالة سيدي محمد بن عبد الله إلى جماعة الاصطادوس	200
رسالة سيدي محمد بن عبد الله إلى الولايات العامة	202
رسالة السلطان مولاي اليزيد إلى الولايات العامة	206
رسالة من الأمير مولاي الطيب	207
من الوثائق المغربية الهولندية	208
رسالة محمد الثالث إلى القيصر يوسف الثاني	214
رسم السفير محمد بن عبد المالك يقدم أوراق اعتماده	216
وثيقة من إسطنبول	217
الصفحة الأولى والثانية من الاتفاقية المغربية النمساوية	222 - 221
من رسائل السلطان مولاي سليمان إلى أمبراطور النمسا	224
رسالة مولاي سليمان إلى قيصر الثاني	225
رسم لسفارة فلوكل لدى ملك المغرب بمكناس	227
ضريح «تربة» بابا أحد رؤساء الفرق الصوفية	228
رسم متخيل للسلطان مولاي رشيد	229
رسالة سيدي محمد بن عبد الله إلى الوزير الأول الروسي	231
رسالة إلى الوزير الأول الروسي من السفير محمد بن عبد الملك	233
رسالة إلى أمبراطورة روسيا	236
جواب أمبراطورة روسيا إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله	237
اتفاقية مغربية دانماركية	245
اتفاقية مغربية دانماركية	246
رسالة «محمد الثالث» إلى ملك الدانمارك	247
رسم للسلطان سيدي محمد بن عبد الله يستقبل بعثة دانماركية	248
وثيقة	250

الموضوع	صفحة
وثيقة	251
صورة الصقر	253
مذكرات الأسير السويدي	257
اتفاقية مغربية دانماركية	258
صورة لقنصل السويد بطنجة	261
رسالة مولاي زيدان إلى دوك جنوة	266
حاكم جنوة يعطي تعليماته لسفرائه	268
ظهير تعيين كياب الجنوي في خدمة المخزن	270
رسالة العاهل المغربي إلى حاكم طوسكان	271
رسالة من المغرب إلى البندقية	274
رسالة السلطان مولاي سليمان إلى دوك البندقية	276
رسالة اعتماد ابن عثمان سفيراً في نابولي	280
صورة لكنيسة سان جيوفاني التي كانت مسجدا	281
ظهير السلطان المولى سليمان حول البعثة الفريالية	285
ظهير حول إنشاء خط بري يربط المغرب بأمريكا	292
وثيقة	296
خطاب الملك محمد الثالث إلى الرئيس جورج واشنطن	298
صورة لأول معاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية	299
رسم لطنجة	303
وثيقة حول تأكيد الصلح بين المغرب وأمريكا	307
أقدم هبة تملكها الولايات المتحدة الأمريكية	309
رسالة السلطان مولاي عبد الرحمن إلى سائر القناصل	310
رسم لمدينة دوبروفينيك	314
كتاب من محمد الثالث إلى ديوان دوبروفينيك	315
رسالة الباب العالي إلى السلطان يزيد بن المولى محمد	318
رسالة السلطان مولاي سليمان إلى رئيس ديوان جمهورية الراكوزة	319
رسالة في أرشيف استانبول	324
رسم لأحد المساجد القديمة في أثينة	325

فهرس الموضوعات

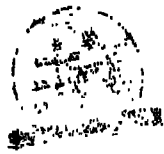
الموضوع	صفحة
علاقات المملكة المغربية بالأمبراطورية العثمانية على عهد العلويين	9
العلاقات المغربية الفرنسية في بداية الدولة العلوية	65
العلاقات المغربية الإسبانية في صدر الدولة العلوية	103
العلاقات المغربية البرتغالية في صدر الدولة العلوية	133
العلاقات المغربية الإنجليزية في صدر الدولة العلوية	155
علاقات المملكة المغربية مع البلاد المنخفضة	183
العلاقات بين المغرب وبين بروسيا - النمسا - روسيا	209
علاقات المملكة المغربية مع الدانمارك - السويد - النرويج	241
علاقات المملكة المغربية مع : جنوة - طوسكان - البندقية - سردينية وموناكو - صقلية ونابولي - حاضرة الفاتكان	263
علاقات المملكة المغربية بالولايات المتحدة الأمريكية	287
صلة المغرب مع : دوبروفنيك - مالطة - اليونان	311



الهيئة العامة
للكتاب والمعلومات
بمملكة الكويت

رقم الإيداع القانوني : 1986/25

تم طبع هذا الكتاب بمطابع فضالة - الحمديّة



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران

HISTOIRE DIPLOMATIQUE DU MAROC

(DES ORIGINES À NOS JOURS)



Tome 9

L'époque alaouite

1

Par

ABDELHADI TAZI

MEMBRE DE L'ACADEMIE DU ROYAUME DU MAROC

1408 - 1988